إستير فيلار

التلاعب بالرجل



ترجمة: تركي العنزي

مراجعة وتقديم: نورا الجبوري

التلاعب بالرجل

إستير فيلار

ترجمة : تركي العنزي
مراجعة وتقديم: نورا الجبوري

المحتويات

"هذا الكتاب مخصصٌ لكل من لم يتم ذكرهم فيه: للقليل من الرجال الذين يرفضون التلاعب بهم، والقلائل من النسوة غير الفاسدات، المحظوظين بما يكفي لفقدان قيمتهم في سوق البشرية إما لأنهم كبار السن، أو قبيحين جدًا أو مريضين جدًا".

إستير فيلار

علَى عُجَالَةٍ

اعتمد المترجم على النسخة الإنكليزية المترجمة عن اللغة الألمانية، وهي اللغة الأصلية للكتاب المنشور عام ١٩٧١م تحت عنوان «*Der dressierte Mann* | التلاعب بالرجل | إستير فيلار»، ونُشِرَ في الولايات المتحدة الأميركية عام ١٩٩٨م بواسطة أيفا بورنيمان.

لقد تحدثت المترجمة الإنكليزية عن نقل المادّة من النسخة الأصلية بأمانة بالغة، ونحن على ما لاقيناه من صعوبات جمّة تتعلق ببعض الفصول المُكلزَّة حرفيًّا، ومن مشقّة التعريب عبر لغات عدة، فإننا نقلنا تلك الوديعة كما هي، مع بعض التصريفات والتحريرات التي تُلزمنا بها بنية العربيّة فيما لا يخل بالمعنى الأصلي، وقد زودناها ببعض هوامش الإيضاحات، ثم أثرينا عمل المترجم بإدراج نصّ مقابلة مع الكاتبة منشورة في صحيفة «*Zeit*» الألمانية، وبتوطئة يسيرة للتثقيف بالمعرفة التي تتبناها مؤلفة العمل، كي لا نسهم برمي الزبد في مستنقع آسن.

راجين المولى -تقدّس علوه- أن تسهم في نفع حيواتكم ويصلنا فضلها في أواخرنا.

نبذة عن المؤلفة

كاتبة أرجنتينية، تعود أصولها لعائلة ألمانية زراعية، اضطر والدها إلى الهجرة إلى بوينس آيرس (عاصمة الأرجنتين) باعتباره يهوديًا ألمانيًا. ولدت عام ١٩٣٥م، سافرت إلى ألمانيا عام ١٩٦٠م لدراسة الطب وعلم النفس وعلم الاجتماع، ومارست الطب قبل أن تكرّس نفسها للكتابة والأدب، وكانت أيضاً مترجمة وبائعة، وعاملة في خط التجميع في مصنع لقياس الحرارة، وعارضة للأحذية وسكرتيرة. تزوجت من المؤلف الألماني كلاوس فاجن لمدة عامين ولديهما ولد وحيد.

أبرز إنتاجات إستر فيلار: ثلاثية من الكتب نُشرت لها تباعاً تتعلق بالصراع الجنسي الذي أشغل الرأي العام في أوربة بعد الثورة الجنسية في مايو ١٩٦٨م، أول تيك الكتب كتابُنا هذا الذي أشرفنا على ترجمته «١٩٧١ ***The Dressed Man*** | التلاعب بالرجل» وسنبيّن موضوع الكتاب في صفحات قادمة، ثم كتابها الثاني «١٩٧٤ ***The Polygamous Gender*** | المرأة الأخرى ويصح ترجمته بـ ”تعدد الزوجات“» وهو كتاب تسرد فيه جنسانية الرجال الملحّة لوجود امرأة ثانية دائمًا في حياتهم وجودًا حقيقيًّا بصفتها عشيقة أو زوجة، أو مجازيًّا باعتياش الكثير منهم على المجلات والأفلام الإباحية، والتي توفر لهم خيال حبيبةٍ منعتهم مواردهم المادية من الوصول إليها حقيقةً، وثالثهما « ***The End of Dressage*** ١٩٧٧ | خاتمة التلاعب»، وهو يصوغ الحل الذي قدمته فيلار لإصلاح الجنس الإنساني والقضاء على الصراع بين الرجال والنساء، وفيه إجابة لما عرضته في كتابها -الذي بين أيديكم- من استغلال يتعرض له الرجال بواسطة النساء.

ظهرت المؤلفة في برنامج عُرض على التلفزيون الألماني لمناقشة الكتاب مع أشرس نسوّية عرفها القرن المنصرم «أليس شفارتسا»، فأحدث ذلك اللقاء ضجة كبيرة ظاهره المناقشات العقلانية بين نسوية راديكالية -ترى في الرجال عصبة أوغاد سلطويين أنانيين وسببا لكل البلايا، فسنّ عبرها نمط الخطاب الراديكالي للنسويات اللاتي جئن بعد-، وبين أخرى(المؤلفة) كتبت كتابا تقول فيه لهن: إنكن مستغلات

وفاسدات، ومنحطات خلقيا وعلميا وعمليا، وتعشن حياتكن على عاتق الجنس الآخر، فأثبتت كل ذلك بنفس الأدوات التي نسبت فيها تلك الصفات إلى الرجال!

تعرضت فيلار نتيجة آرائها المضادة للنسويَّة لحملة ازدراء طالتها أربعين عامًا، بدأها نسويات أشبعنها ضربًا، ثم تهديدات مستمرة بالتصفية البدنية، مما جعلها تقدم على ترك ألمانيا إلى سويسرا ثم إيطاليا، وحاليا تتنقل بين لندن وإيرلندا.

وأنقل لكم هنا، حوارًا أجرته إستير فيلار مع مجلة تسايت الألمانية «*Zeit*» مع أيومة مانغولد بشهر ديسمبر/ ٢٠١٢، تحت عنوان «*Ich explodiere mehr nach innen*» أنا أنفجر أكثر من الداخل):

- مجلة تسايت: سيدة فيلار، في كتابكم «التلاعب بالرجل» الذي ظهر في العام ١٩٧١، تبنيتم النظرية التي تقول بأن النساء لسن هنّ من يتعرضنّ للقمع الجنسي، إنّما الرجال هم المعرضون لذلك، وبهذا فقد أثرتم استفزاز مناصري حقوق المرأة.

- فيلار: يمكن قول ذلك، لقد هُدّدتُ بالقتل، وكنت مجبرةً أن أذهب بحماية الشرطة إلى جلسات التلاوة، كما تعرض منزلي لهجمات من قبل مناصري حقوق المرأة. أنا امرأة متحفظة وأحب أن أعيش بعيدة عن الأضواء، لكن هذا الكتاب قد شهرني بين ليلة وضحاها، والناس أصبحت تعرفني على الطريق وتتهجم عليّ.

- لا يمكن نسيان ذاك البرنامج التلفزيوني عام ١٩٧٥، حينما تناقشتم مع السيدة أليس شفارتسا، وقد غضبت شفارتسا حينها.

- نعم، لقد أدهشني ذلك أيضًا.

- والدك بصفته يهوديا ألمانيا اضطُرّ للهجرة، بعد ذلك وصفتك شفارتسا بكونك «نازية» بفعل آرائك تلك؟

- أليس شفارتسا لم تعرف كيف تهاجمني، لذلك لجئت لأسهل تهمة متوفرة!، كان من سوء حظها أيضًا، ليس لي فقط.

- ألم يزعجكم ذلك؟

- ردة الفعل العنيفة لا تنفع بشيء عند أي أحد. لقد أجريت مناقشات حول كتابي في الكثير من البلدان، وهكذا فقد اعتدت أن أبقى هادئة، أنا أنفجر أكثر من الداخل.

- أوجزوا موقفكم رجاءً للشباب في هذه المناقشة.

- لم أكن أجده منطقيًا، أنّنا نحن النساء دائمًا ما نَشتم الجنس الذي يسخّر كلّ حياته من أجلِ أن يتعلّم مهنة يحافظ بها علينا وعلى أبنائنا. ثمة شيء كان يسير على نحو خطأ، ففي الوقت الذي تقرر فيه النساء دور الأجناس –لأن التربية تقع على عاتقهنّ، حيث يضعن البصمة المبكرة –لم تكن كرامتي تسمح بأن نضع أنفسنا نحن النساء موضع الضحية.

- الذي كتبتموه آنذاك يُعدّ اليوم عنفًا بالغًا، «الرجل يشعر بالأمان فقط كعبد، وهو يحتاج المرأة لكي يكون ذليلاً عندها». أما زلتم ترون ذلك حتى الآن؟

- نعم، وهذا إن هو إلا مثال لرغبتنا بعدم الحرية (موضوعي الأكبر)، نحن نعمل جهدنا كي نتخلص من حرّيتنا، إذا ما انتهى حبٌّ بحثنا عن آخر كي نترك أنفسنا داخله، نحن نفضّل جعل الآخرين مسؤولين عنا.

- لم تعد هذه هي المشاكل الراهنة!

- لقد حُلّ جزء منها عندما بات أكثر النساء يعملن، لكني لم أقابل امرأة واحدة منهن كانت مستعدة لأن تنفق من دخلِها على شريك حياتها وعلى أبنائها كما يفعل الرجال طوال الحياة، فهذا ما ينتظره المرء حتى الآن من الرجل تمامًا، في حين لا يُنتظر شيء تقريبًا من النساء.

- لقد عدّتكم أليس شفارتسا خائنين، في حين أنكم نظرتم إلى أنفسكم بصفتكم مناصرين لحقوق المرأة.

- أنا لم أخض صراعًا مع أحدٍ من أجل أن تعود المرأة إلى المطبخ، إنما أردت أن أقدم نموذجًا لوقت العمل يسمح لكلا الجنسين بأن يمتلكا وقتًا للعمل ووقتًا للحياة، وقتًا أقصر للعمل ولكن العمل للجميع، وهذا سيكون أفضل لكلا الطّرفين، باستثناء الرجال الذين أَلِفوا حياة العمل، فإنهم يرون ذلك كارثة، وإذًا يُفترض عليهم أن يعتادوا على نظامٍ آخر.

- أنتم تفترضون أن العمل مصيبة والأولاد هم زينة، بينما يرى المجتمع أنّ المعنى الفعلي للحياة يكون بالعمل.

- أنتم تملكون عملاً رائعًا، هل تودون العمل بعد ذلك كسائق حافلة يقود حافلته يوميًا ست مرات على نفس المسار؟ ٨٠ بالمئة من الأعمال غير مريحة، وهذا ما أشتاقني، لأن تقاسم النساء مشاعرها الجنس الآخر.

- بعد كل ذلك الهجوم والانتشار، سرعان ما تركت الموضوع وراءك. لماذا؟

- لقد قلت كل شيء ولدي انطباع بأنني سأكرره أن تحدثت مرة أخرى به، كتبت أشياء مختلفة تمامًا، روايات، وقصص قصيرة، ومقالات. عن الغباء، عن الدين. في الآونة الأخيرة، كنت أكتب المسرحيات فقط تقريبًا. تم عرض مقطعي السيد والسيدة نوبل لأول مرة في فيينا.

مقدمة المراجِعة

لعل معظم الثورات الاجتماعية التي تعصف بمجتمعٍ ما، تخلّف وراءها انقلابا على قيمه القديمة التي كان يسير عليها بغية التجديد المواكب للتغيرات السياسية والاقتصادية التي صارت. ولعلنا نخصُّ الكلام عمّا حلّ بعد الثورات العربية من توغّلٍ للخطاب النسوي بين عامّة الناس، حينما كان محصورًا بين فئة الأكاديميات والباحثات.

أما السؤال الذي نولي الإجابة عنه في نهاية هذا العقد الملحمي من التغيرات: هل كل تغيير هو- بالضرورة- صالح وعملي ويعود نفعه على المجتمع والأفراد؟

النظرية النسوية الثانية في السبعينات تستند بشقّها الفلسفي إلى تنظيرات الماركسية الكلاسيكية في القضاء على الطبقية والتباين بين الأفراد، وتلك فلسفة ليست نبيلةً لبرهان سهل ممتنع: هو أنّ محاولتها أن تقضي على الطبقية والاختلاف وإفساح المجال لمجتمع المساواة، ظلمَت الطبقة المزودة بهبات قَبْلية، تستطيع -عبر استثمارها في عمل نبيل- أن تدعم الطبقة «المعاكسة/ المباينة» لها، وهو لفظ أولى من لفظ «الأدنى»، فما كلّ تباين منقصة.

وكما أطَّرَ ماركس وأنجلز، ومن ثم صاح لينين وتروتسكي: «لا ثورة دون تحرير الأنثى» من اضطهاد الرجال القديم لها عبر حبسها في البيت، أو استغلالها في تكثير وسائل الإنتاج التي تزيد الرأسمالية توحّشًا، فيتقدم الرجال وتتطور مواهبهم وعقولهم، كما يفعل الرأسماليون من طحن عظام العمّال لكنْزِ مدخلاتهم، ولأن الآخرين ثاروا لأجل تحقيق المساواة، فإن المرأة ستثور أيضاً، لأنها -بقدحة الوهم- اكتشفت أن هناك تلاعبًا ذكوريًّا في عقلها يطمس هُويتها ويعيق تقدّمها، ومجتمع لا تتقدم فيه المرأة-بمعايير الرجال المادية- ما زال يعيش في حِقَب الرجعية!

نادت نسويّات تلك العهود البائسة (من الستينات وحتى التسعينات من القرن الماضي) بكل لوثة تُنكّس فطرة الإنسان، حتى ساقته لانقراض حتمي تعيشه القارة الأوربية العجوز اليوم.

بدأت شرارتها عندما خلتْ أوربة من رجالها بين الحربين العالميتين، فتولّت النساء مهمة المسؤول والمشكّل لهويته الجديدة، واستغلت ذلك الثغر حركات المرأة لتدعيم أجندتهن، ورغم شراسة خطابهن آنذاك وعلو موقفهن وتأثر الناس بهنّ فقد سُلّط عليهنّ من يواجههنّ بطريقة المحاكاة الساخرة من تلك الأوهام المتخيَّلة التي أصبحت نصوصًا مقدسة مدموغة بالدم، يُحكَم على منتقدِها أنه من عداد الموتى.

لستُ مُبالِغة قط، فقد واجهَتْ مؤلفتنا -كما قرأتَ- حياة ازدراء مدة أربعين عامًا فضلا عن التهديد بالقتل، لا لشيء إلا أنها قالت: «إن الحقيقة ليست كما تدعون! الرجال هم المضطهدون الحقيقيون» والنساء تتلاعب بهم عبر سلسلة طويلة من الخطط التي تورّثها لجنسها عبر منظومتها التقليدية من التباكي وادعاء الضعف والحاجة الدائمة لوجود راعٍ لها، تلك كذبة كبيرة، فهي تستغل الرجال وتطعمهم خيالًا من الذهب، ما هو إلا عفَن يعيشون به ويرفضون -طوعًا- الصحو منه، يحبون أن يظلوا عبيدا عند المرأة، لأنها تسقيهم وهْم التفوق.

هكذا صاغت إستير فيلار محاكاتها الساخرة بأدوات ماركسية مشابهة لادعاءات جماعات حقوق المرأة، تريد إيصال برقية ظاهرُها الذي فهمته النسويات مضادٌّ لتقدّم الإنسان، ذلك التقدم الذي ربُط بالتحرر من كل نظام قديم، حتى إن كان يقوم في أصله على حقائق مطلقة، أما باطنها فقائم على اعتماد منهج ليبرالي (خاص بالدراسات النسوية) يرى أن التقدم لن يُحرز إلا بتكافؤ الفرص والواجبات، لأنها -أي فيلار- نشأتْ في عصر الجندرة التي تنفي كون الفوارق بين الجنسين فوارق خَلْقية يصوغ المجتمع الأدوار وفقها، وهذا حتمًا من هذرات ذلك القرن العائدة لعقيدة «اللوح الأبيض» (الإنسان يولد كصفحة بيضاء والمجتمع من يُشكّل هويته!)، لتنهي انتقادها المبني على قاعدة المساواة الفاسدة بطرح بديل ختمتْ به كتبها الثلاثة: لن تنتهيَ النساء عن اضطهاد للرجال حتى يخرجن كلهن للعمل معهم بنفس الظروف وبنفس الساعات.

ونؤكد أن ترجمة هذا الكتاب ليس هدفها تصديق مقالته الماركسية في وهم الصراع بين الجنسين، ولا لتبنّي حلول الكاتبة التي تمارسها النساء منذ أربعين عامًا في الدول الصناعية والنامية بل وحتى الفقيرة، وهن خارجات للعمل مع الرجال-بلا شك، تحت ظروف عملٍ أقل وطأة- وما زلن عاجزات عن تحقيق المساواة ونهاية الاضطهاد= بل لأن العقل العربي اعتقلت كلّ تصوراته عن مشاكل العالم-لو سلّمنا بأن

التباين مشكل يستدعي حلا!- الترجماتُ اليسارية التحررية التي قدمت الجانب المتعلق باعتبار المرأة ضحية دائمة على طيل وجودها -الذي هاج اليوم عندنا- ذاته سار بالمرأة الأوربية الأرستقراطية لتبني طقوس بدائية في التعبير عن الرأي، كما تفعل حركة *Feman* المتطرفة من تعرية الأثداء في شوارع فيينة وباريز.

فلو أدى هذا الكتاب وظيفة صغيرة تتمثل (١) بتسييل الاعتقاد النسوي الماركسي أمام اعتقاد آخر مشابه له، لكفانا إيصال الرسالة وتحطيم عقدة الاضطهاد الأنثوي الذي تتعرض له طيلة وجودها من قبل الجنس الآخر، الجنس المعيل والداعم والحامي الأول لها، ذلك الرجل النبيل الذي أقام الصروح وشيد النظم وأرسل بالخبر.

(٢) وأن ذلك التقدم الذي تهلوس به الفلسفات والمجتمعات الحديثة -مثل قاعدة المساواة الضاربة بعنقِ الحقائق- ليس مفهوما حتميا يجب أن نهم به، فننقلب لتفكيك منظومة القيم والأدوار القديمة وتقسيمات العمل بين الجنسين كما فُعل بالدين ومنظومة التقاليد، وإذا لم تجدْ موضوعًا لتنشط عقلك به، فلا تهدم ما بناه أسلافك بملاحظة وتجربة عتيدة!

الرجال خارجًا لنحت المادة، والنساء داخلا لصناعة الإنسان، وما دام أصل الاختلاف طبيعيًّا فلن تكون المساواة يومًا، هذه الحقيقة القائمة على كل ما هو نبيل وسماوي يحفظ الإنسان من بعض شرور عقله، وليس كل تغير بالضرورة هو تغير سليم، بل قد يكون بداية التخبط، ونهاية الصراط المستقيم.

نورا الجبوري

بغداد ٢٠٢٠

التّلاعب بالرجل

مقدمة المؤلفة:

ها قد مرَّت أكثرُ من خمسة وعشرين عاماً منذُ نشر كتابي «الرَّجُل المتلاعب به» -وهو كُتيّبٌ مرصوصٌ بغضبٍ شديد ضدَّ احتكار الحركة النسويَّة للرأي العام، ذلك التصميمُ الجريء الذي تمَّ تصوير النساء به كضَحايا للرِّجال لم يكُن ذلك مهيناً فقط بل غير واقعياً أيضاً، إذا كان شخصٌ ما يريد إصلاح جنسَنا الأنثوي -رغبة كانت لديّ آنذاك كما هي لدي اليوم- فعليه أنْ يُحاول القيام بذلك بمزيدٍ من الصدق والأمانة وربَّما أيضاً مع القليل من الفُكاهة لا على ما حدث من مخادعة.

وها هي الفُرصة أُتيحت أمامي مع إعادة إصدار الكتاب، يتعين عليّ الإجابة على سؤالين لطالما طُرحا بإلحاح، هل سأكرِّرُ نفس التجربة؟ حسنا، أجده الأصوب، غير أنَّ واقع اليوم قد قضى على تلك الشجاعة التي كانت تُعزى فقط إلى الاندفاع وقلَّة تقدير ما سأواجه من ردودِ أفعال، لم أكُن أتخيَّلُ حقا القوة التي كنت أعارضها -اللوبي النسوي- إذ لم يعُد مسموحاً بالغضب، فانتقادُ النساء لابدَّ له من نفس طويل وهدوء -كامرأة- ولا تأتي الموافقة عليّ إلا من وراء الأبوابِ المُغلقة.

ولأننا كنساء، نملكُ بفضل حياتنا الخالية نسبياً من الإجهاد معدَّل عُمرٍ متوقع أعلى من الرجال وبالتالي نُشكِّل غالبية الناخبين في الأمم الصناعية الغربية، لا يمكن لأيِّ سياسي أن يسيء إلينا، كما أنَّ وسائل الإعلام ليست مهتمة بمناقشة القضايا المعنية، فمنتجاتها يتم تصريفُها من خلال الإعلانات عن السِّلع الاستهلاكية، وإذا قرَّرنا نحنُ النساء أن نتوقف عن قراءة صحيفة أو مجلة معينة لأن سياستها التحرُّيرية تزعجنا، فإن الإعلانات التي تستهدفُنا تختفي أيضاً.

وعلى الطرف المقابل، لم أولي أهمية كبيرة إلى مخاوف الرجال من إعادة تقييم موقفهم، فالطَّردية التي حكمت على حياتهم المهنية تُسيطر عليهم، أي كلما زادت السيادة التي يفقدونها في حياتهم المهنية -كلما زاد عملهم عفوية، وكلما أصبحت أجهزة الكمبيوتر أكثر تحكمًا، كلما أصبحت البطالة المتزايدة تجبرهم على

تبني سلوك عنفواني تجاه العملاء والرؤساء- والأهمُّ من ذلك هو الحفاظ على وهمهم بأنهم ليسوا هم العبيد بل أولئك الذين يخضعون لأنفُسهم لمثل هذا الوجود.

وبقدر ما يبدو الأمرُ سخيفاً، فإنَّ رجال اليوم يحتاجون إلى الحركة النسائية أكثر بكثير مما تحتاج إليها زوجاتهم. النسويات العدوانيات هنَّ آخر من لا يزلنَ يصفن الرجال بالطريقة التي يحبون أن ينظروا بها إلى أنفسهم: كأنانيين، مهووسين بالسُّلطة، لا يرحمون وبدون موانع عندما يتعلَّقُ الأمر بإشباع غرائزهم، ذاك عزَّز مأزق النسوية الليبرالية في الجهد المبذول من طرفها لمُحاولة الحفاظ على الوضع الرَّاهن أكثر من أي شخصٍ آخر، تتنازل -مُجبَرَةً- عن تلك الصورة الإعلامية للرَّجُل الجشع المفتول العضلات، فمشاهد الواقع الفعليَّة لا ترينا الرجال إلا مجموعة من الحملان أو الذبائح المستسلمة الذين لم تعد تتدفَّق جموعهم إلى المصانع بطاعة كما ذي قبل (تقصد إضرابات العمال عن العمل سابقاً بسبب تدني الرواتب).

هذا الخيالُ الذي افتقدته في تقدير العواقب والعزلة التي كنت سأجدُها بعد كتابة هذا الكتاب، حتى تعدَّى ذلك إلى اقتحام حياتي الخاصة عن طريق التهديدات المتواصلة حتى اللَّحظة.

ذلك التلازُم الذي تفرضه الجماهير المتتبِّعة للأوضاع، يحكم على المرأة التي دافعت عن العدوِّ الأكبر -الرجل- الذي لم يجعل الحياة المنزلية مرادفاً للحبس الانفراديّ وأنَّ كل المتعة في مرافقة الأطفال تنفي عنه سمة العبء، بالضَّرورة أن تصبح «كارهة للنساء»، وحتى «رجعية» و«فاشية»، تلك الجماهير التي تُهيمن عليها النَّظرة الماركسية التي جعلت النساء الأكثر عُرضة للاضطهاد، ترى أنَّ تلك التي لا تريد تقديس جنسها معارضة أيضا للمساواة في الأجورِ وفرص التكافؤ. لو كنتُ أعرف وقتها ما أعرفه اليوم، فربما لم أكن لأكتب هذا الكتاب، هذا هو السَّبب بالضبط الذي يجعلني سعيدة جدا بإعادة كتابته، وأودُّ أن أغتنم هذه الفرصة بالشكر للذين آزروني في عملي، بالطَّبع كان جلهم من النساء.

أما السُّؤال الثاني الذي طُرح عليّ حول موضوعيَّة الآراء المُعبَّرِ عنها آنذاك: إلى أي مدى لا يزالُ ما وصفته منذ أكثر من خمسة وعشرين عاماً ذا صلة بـ «المرأة الحديثة» و «الرجل الحديث»؟

وفيما يلي قائمة بالمشكلات التي سطَّرتُها في الكتاب الأصليّ على أنها من أهمِّ عيوب الرجل مقارنة بالمرأة:

١- تم تجنيد الرِّجال وإرسالهم للقتال في الحروب بينما النساء لا يذهبن.

٢- يتقاعدُ الرِّجال بعد النساء (مع أنه وبسبب انخفاض معدل العُمر المتوقع لهم، يجب أن يكون لهم الحق في التقاعد أبكر من النساء).

٣- الرجال ليس لديهم أيُّ تأثير على تكاثرهم (بالنسبة للذكور، لا توجد حبوب منع الحمل ولا الإجهاض - يمكنهم فقط الحصول على الأطفال الذين تريد النساء منحهم إياهم).

٤- الرجال يدعمون النساء؛ والنساء يدعمن الرجال مؤقتا أو لا يدعمنهُم على الإطلاق.

٥- يعملُ الرجال طوال حياتهم، بينما تعملُ المرأة مؤقتا أو لا تعمل مطلقا، وعلى الرُّغم من ذلك فالرجال يستعيرون أطفالهم فقط، بينما يمكن للمرأة الاحتفاظ بهم، فيُسلب الرجل تلقائيا حقَّهُ في أطفاله عند الانفصال، بحجة وجوب عملهم.

وكما ترون الآن فقد تمَّ منح الإناث الحق في السلطة، وأصبح عملها في الجيش مقررا -دون تجنيد إجباري- كما تساوى الحق في تمديدِ سنوات العمل، أما بالنسبة للنقطة الخامسة فمازالت المرأةُ تتمتع بحق الاحتفاظ بالأطفال دون تعارض ذلك مع رغبتهن وسعادتهنَّ في العمل، مع وجود قلَّةٍ قليلة منهن على استعداد لتقديم حياةٍ مريحةٍ للأطفال وآباءهم على حد سواء، مدعومات برواتب كبيرة في كثير من الأحيان؛ وهناك من هنَّ على استعداد للتخلي عن رفاهيتهن المُكتسبة من الزَّوج السَّابق وعن أطفالهن لفسح المجال للمعجب التالي ودعمه بما تبقى من دخلهن.

التحرُّر جيد ولكن بالنسبة للرجل فإنَّ التحفظ من قِبل امرأة لا يزال غير مقبول، فلا يجدر بالرجل الحقيقي التَّصدر للتدبير المنزلي وتربية الأطفال، فالمحزن حقا هو هذا الحال في المملكة المتحدة UK من تلاعُبِ النِّساء بالرجال كما كان الحال عليه آنذاك، فوضع حدٍّ لهذا التلاعُب يستوجب اتخاذ تدابير تصبُّ في صالح كلا الجنسين. ومع ذلك هناك عددٌ قليلٌ من النسويات ما زلن يتحدثن عن الرِّجال باعتبارهم بشرا، الأمرُ الذي يجبرنا على التقليل من صخب النقاش، فالصراخ والصوت العالي لم يعد مُجدٍ.

إستير فيلار، أغسطس ١٩٩٨

سعادة العبد

تنزلق سيارة MG صفراء اللون عبر الطريق وتتمكن المرأة التي تقودها من إيقافها بطريقة ما (يا لحسن الحظ!) نزلت منها لتجد الإطار الأمامي الأيسر مثقوباً وبدون إضاعة لحظة لمحاولة إصلاحه، راحت تتطلع إلى السيارات المارة كما لو كانت تتوقع شخصاً ما. اعترافاً بهذه العلامة الدولية القياسية التي تشير إلى وجود امرأة في محنة (أنثى ضعيفة تخذلها التكنولوجيا الذكورية)، تقترب سيارة، يلقى سائقها نظرة خاطفة ويقول بنبرة مطمئنة: «لا تقلقي، سنقوم بإصلاح ذلك في لمح البصر! لإثبات قدراته يسألها عن الرافعة خاصّتها، لا يسأل عما إذا كانت قادرة على تغيير الإطار بنفسها، فملابسها الأنيقة ومكياجها يوحي بأنها في العقد الثالث من العمر وبالتالي ليست قادرة، لم ينتظر كثيرا أثناء بحثها عن رافعة السيارة خاصتها، فأدواته جاهزة في صندوق سيارته. بعد خمس دقائق تم الانتهاء من المهمة وإصلاح الإطار المثقوب بشكل صحيح، يداه مغطاة بالشحوم، تعمد إلى منديل مطرز لتقدمه إليه، يرفضه بأدب فلديه خرقة لمثل هذه المناسبات في صندوق أدواته! تشكره المرأة بحرارة وتعتذر عن عجزها «الأنثوي». وتقول إنها لربما بقيت هناك حتى الغسق لو لم يتوقف! لا يرد. تعود إلى السيارة يغلق باب سيرتها أمام وجهها بعنفوانٍ، من خلال النافذة ينصحها بإصلاح إطارها فوراً وتعده بإحضار أحد لرؤيته في ذلك المساء، ثم تنطلق.

عندما يجمع الرجل أدواته ويعود إلى سيارته يتمنى أن يغسل يديه، حذاؤه -كان واقفاً في الوحل أثناء تغيير الإطار -ليس نظيفاً كما ينبغي (فهو بائع وأكثر من ذلك سيتعين عليه أن يستعجل للحفاظ على موعده المقبل) عندما يشغل المحرك يفكر: «النساء!» إحداهن أشد غباءً من الأخرى. يتساءل عما كانت ستفعله لو لم يكن هناك للمساعدة؟ يضع قدمه على دواسة البنزين وينطلق -أسرع من المعتاد، عليه أن يعوض التأخير. بعد فترة من الوقت يبدأ في الدندنة لنفسه بطريقة ما هو سعيد.

أي رجل تقريباً كان سيتصرف بنفس الطريقة -وكذلك معظم النساء، دون تفكير (بصفته منقذاً لضحية)، ببساطة لأن الرجال هم الرجال والنساء يختلفن عنهم، ستستفيد المرأة من الرجل كلما سنحت لها الفرصة. ماذا يمكن أن تفعل المرأة عندما تتعطل سيارتها؟ لقد تم تعليمها الحصول على رجل للمساعدة!

وبفضل علمه كان قادراً على تغيير الإطار بسرعة -دون أي تكلفة على نفسها. صحيح أنه أفسد ملابسه وعرض عمله للخطر وعرض حياته للخطر من خلال القيادة بسرعة كبيرة بعد ذلك، ولو وجد شيئاً آخر معطلاً في سيارتها لكان قد أصلح ذلك أيضاً. هذه هي فائدة معرفته بالسيارات.. لماذا يجب أن تتعلم المرأة تغيير إطار عندما يكون الجنس الآخر (نصف سكان العالم) قادراً على القيام بذلك من أجلها؟ النساء يجعلن الرجال يعملون من أجلهن، ويفكرون لهن، ويتحملون مسؤولياتهن -في الواقع، إنهن يستغللنهم، نظراً لأن الرجال أقوياء وأذكياء ومبدعون، في حين أن النساء ضعيفات ومحدودات الخيال وغبيات، فلماذا لا يستغل الرجال النساء؟

هل يمكن ألا تكون القوة والذكاء والخيال من الشروط المسبقة للحصول على السلطة بل مجرد مؤهلات للعبودية؟! هل يمكن أن يكون العالم لا يحكمه خبراء بل كائنات لا تصلح لأي شيء -أي من قِبل النساء -؟ وإذا كان الأمر كذلك، فكيف تتدبر النساء أمرهن حتى لا يشعر ضحاياهن بأنهم يتعرضون للغش والإهانة، بل ويعتقدون أنهم أسياد الكون؟ كيف يمكن للمرأة أن تغرس في الرجال هذا الشعور بالفخر والتفوق الذي يلهمهم لإنجازات أعظم من أي وقت مضى؟ لماذا لا تُكشف حقائق النساء أبداً؟!

ما هو الرجل؟

الرجل هو الإنسان الذي يعمل ومن خلال العمل يدعم نفسه وزوجته وأطفال زوجته. المرأة من ناحية أخرى إنسان لا يعمل -أو على الأقل في بعض الأحيان فقط. معظم حياتها لا تدعم نفسها ولا أطفالها ناهيك عن زوجها. أي صفات في الرجل تجدها المرأة مفيدة، تدعوها صفات رجولية، وجميع الصفات الأخرى، التي لا تجد فيها فائدة لها أو لأي شخص آخر في هذا الشأن اختارت أن تسميها مخنثة. يجب أن يكون مظهر الرجل ذكورياً إذا كان يريد أن ينجح مع النساء، وهذا يعني أنه يجب أن يكون موجهاً إلى سبب وجوده الوحيد وسبب وجوده هو-العمل-. يجب أن يتوافق مظهره مع كل مهمة يتم تكليفه بها، ويجب أن يكون قادراً دائماً على تنفيذها. إلا في الليل عندما يرتدي معظم الرجال بيجاما مخططة مع زوجين من الجيوب، يرتدي الرجال نوعاً من الزي الموحد مصنوع من مواد متينة ومقاومة للبقع باللون البني أو الأزرق أو الرمادي، يحتوي هذا الزي المدرسي أو «البدلات» على ما يصل إلى عشرة جيوب، حيث يحمل الرجال الأدوات التي لا غنى عنها لعملهم. بما أن المرأة لا تعمل فنادراً ما يكون لباسها الليلي أو النهاري فيه جيوب. في المناسبات الاجتماعية يُسمح للرجال بارتداء اللون الأسود وهو اللون الذي يُظهر علامات وبقع لأن الرجال في هذه المناسبات يكونون أقل عرضة للتلوث. علاوة على ذلك، تظهر الألوان الزاهية التي ترتديها النساء لصالحها. السترات المسائية الحمراء أو الخضراء التي يرتديها الرجال غير مقبولة، على النقيض من ذلك يبدو كل الرجال الحاضرين أكثر ذكورية.

يتم تكييف ما تبقى من مظهر الرجل أيضاً حسب وضعه . يتطلب شعره خمسة عشر دقيقة فقط عند الحلاق كل أسبوعين أو ثلاثة أسابيع. لا يتم تشجيع الضفائر والأمواج والصبغات لأنها قد تعيق عمله! غالباً ما يعمل الرجال في الهواء الطلق أو يقضون وقتاً طويلاً فيه وبالتالي فإن الأنماط المعقدة للشعر ستكون مصدر إزعاج . علاوة على ذلك من غير المحتمل أن تحقق مثل هذه الأنماط نجاحاً كبيراً عند النساء لأنهن، على عكس الرجال، لا يحكمن أبداً على الجنس الآخر من الناحية الجمالية. يدرك معظم الرجال بعد محاولة واحدة أو محاولتين أن النساء غير مباليات بجهودهم ويعدنَ إلى نمط قياسي قصير أو طويل. وينطبق الشيء

نفسه على اللحى. الرجال ذوو الحساسية المفرطة فقط -عادة ما يكونون من ذوي الذرائع الفكرية- هم الذين يريدون أن يبدوا بمظهر فكري قوي عن طريق ترك شعر الوجه ينمو بشكل عشوائي وتطويل لحية غريبة لفترة من الزمن. ومع ذلك سوف تتسامح المرأة معهم، لأن اللحية هي مؤشر مهم على شخصية الرجل وبالتالي على الطريقة التي يمكن أن يُستغل بها بسهولة. عموماً يستخدم الرجل ماكينة حلاقة كهربائية لمدة ثلاث دقائق كل صباح لإبقاء لحيته في وضع جيد. لبشرته، الصابون والماء تعتبر جيدة بما فيه الكفاية. كل ما هو مطلوب هو النظافة وغياب الماكياج حتى يتمكن الجميع من رؤية شكله. أما بالنسبة لأظافره، فيجب أن تكون قصيرة قدر الإمكان للعمل، بصرف النظر عن خاتم الزواج -الذي يتم ارتداؤه لإظهار أنه يتم استغلاله بالفعل من قبل امرأة معينة لغرض معين -لا يرتدي الرجل اللائق أي حلية. ساعته الخرقاء العملية التي يرتديها على المعصم، بالكاد مزخرفة. ثقيلة في التصميم، مقاومة للماء، ومقاومة للصدمات، وتظهر التاريخ الصحيح، وربما لا يمكن تسميته بزخرفة. عادة ما تكون قد أعطيت له من قبل المرأة التي يعمل لحسابها. القمصان والملابس الداخلية والجوارب للرجال الحقيقيين موحدة تماماً بحيث يكون الفارق الوحيد بينها هو الحجم. يمكن شراؤها في أي متجر دون صعوبة أو إضاعة للوقت. فقط في ربطات العنق، توجد درجة من الحرية – وفي هذه الحالة يكون الرجل عديم النفع في الاختيار بحيث يسمح لامرأته بشرائها له.

أي شخص يزور هذه الأرض من كوكب آخر قد يعتقد أنه سيكون هدف كل رجل أن يبدو مثل الآخر قدر الإمكان! ومع ذلك، ولتحقيق أغراض المرأة فإن الذكورة وفائدة الذكور تختلف إلى حد كبير: بالضرورة، لأن النساء اللواتي لا يعملن على الإطلاق بحاجة إلى الرجال من أجل كل شيء. هناك رجال يقومون بمناورة في سيارة ليموزين كبيرة خارج المرأب في تمام الساعة الثامنة صباحاً يغادر آخرون قبل ذلك بساعة، ويتنقلون في سيارات الطبقة الوسطى. هناك آخرون يغادرون عندما لا يكون هناك ضوء بعد، يرتدون ملابس ويحملون صناديق الغداء، للحاق بالحافلات أو المترو أو القطارات إلى المصانع أو مواقع البناء، من خلال خدعة القدر، دائماً ما تكون المجموعة الأخيرة والأكثر فقراً هي التي تستغلها النساء الأقل جاذبية. بخلاف النساء (اللواتي يهمّهن المال) يلاحظ الرجال المظهر الخارجي للمرأة فقط لذلك، يتم دائماً انتزاع النساء الأكثر جاذبية في فئتهن من قبل الرجال الذين يكسبون مالاً أكثر.

بغض النظر عما يفعله رجل معين أو كيف يقضي يومه، لديه شيء واحد مشترك مع جميع الرجال الآخرين - أنه يقضيه بطريقة مهينة! وهو نفسه لا يكسب بها، ليس رزقه هو المهم: يجب عليه أن يكافح أقل بكثير من أجل ذلك، لأن الكماليات لا تعني أي شيء له على أي حال، إنها حقيقة أنه يفعل ذلك للآخرين هو ما يجعله فخوراً جداً. سيكون لديه بلا شك صورة لزوجته وأطفاله على مكتبه، ولن يفوت فرصة ليريها للجميع بغض النظر عن وظيفة الرجل -أمين مكتبة أو طبيب أو سائق حافلة أو مدير عام - فكل لحظة من حياته سيقضيها كمسؤول في نظام ضخم لا يرحم -نظام مصمم لاستغلاله إلى أقصى حد إلى يوم وفاته. قد يكون من المثير للاهتمام إضافة أرقام وتجميعها -ولكن بالتأكيد ليس عاماً بعد عام؟ كم يمكن أن تكون مثيرة قيادة حافلة عبر بلدة مزدحمة! ولكن دائماً نفس المسار، في نفس الوقت، في نفس المدينة، يوماً بعد يوم، سنة بعد سنة؟ يا له من شعور رائع بالقوة أن تعرف أن عدداً لا يحصى من العمال يتحركون بأمر شخص واحد! لكن كيف سيكون شعور المرء إذا أدرك فجأة أنه كان سجينهم وليس سيدهم؟ لقد توقفنا لفترة طويلة عن لعب ألعاب الطفولة. عندما كنا صغاراً، كنا نشعر بالملل بسرعة ونتنقل من لعبة إلى أخرى. الرجل يشبه الطفل المحكوم عليه بلعب نفس اللعبة لبقية حياته!! السبب واضح: بمجرد أن يتم اكتشافه بأن لديه موهبة لشيء واحد يتم جعله متخصصاً فيه ثم لأنه يمكن أن يكسب المزيد من المال في هذا المجال أكثر من أي مجال آخر، فهو مضطر للقيام بذلك إلى الأبد، إذا كان جيداً في الحساب في المدرسة، وإذا كان لديه «رأس يصلح للأرقام»، فسيُحكم عليه بالسجن مدى الحياة للعمل كموظف حسابات أو عالم رياضيات أو عامل كمبيوتر، لأنه هناك تكمن أقصى إمكاناته في العمل. لذلك، سوف يضيف الأرقام، ويضغط على الأزرار، ويضيف المزيد من الأرقام، لكنه لن يكون قادراً على القول: «لقد مللت. أريد أن أفعل شيئاً آخر!» لن تسمح له المرأة التي تستغله أبداً بالبحث عن شيء آخر. بقيادة هذه المرأة، قد ينخرط في صراع يائس ضد منافسيه، لتحسين وضعه، وربما يصبح موظفا رئيسياً أو مديراً عاماً لأحد البنوك. لكن أليس الثمن الذي يدفعه مقابل تحسين راتبه مرتفعاً جداً؟ الرجل الذي يغير طريقة حياته، أو بالأحرى مهنته (لأن الحياة والمهنة مترادفان بالنسبة له) هو رجل لا يمكن الاعتماد عليه. إذا فعل ذلك أكثر من مرة، يصبح منبوذاً اجتماعياً ويبقى وحيداً، يجب أن يكون الخوف من الرفض من قبل المجتمع كبيراً. لماذا سيقضي الطبيب (الذي كان يحب في طفولته أن يراقب الضفادع الصغيرة في مرطبانات المربى) حياته يجري عمليات لأورام وخراجات مقرفة، ويفحص في إفرازات البشر؟ هل يستمتع عازف

البيانو كطفل، أن يعزف على البيانو ويستمتع حقاً بلعب نفس موسيقى شوبان مراراً وتكراراً طوال حياته؟ لماذا لا يواصل السياسي الذي اكتشف عندما كان تلميذاً، أساليب التلاعب بالأشخاص بنجاح، ذلك كشخص بالغ، لماذا يردد كلمات وعبارات شفهية بصفته موظف حكومي ثانوي؟ هل يستمتع بتشويه وجهه ولعب دور الأحمق والاستماع إلى الأحاديث الغبية للسياسيين الآخرين؟ لا بد أن يكون قد حلمَ مرة واحدة على الأقل بنوع مختلف من الحياة. حتى لو أصبح رئيساً للولايات المتحدة، ألن يكون السعر مرتفعاً جداً؟

لا، لا يمكن للمرء أن يفترض أن الرجال يفعلون كل هذا من أجل المتعة ودون الشعور بالرغبة في التغيير. يفعلون ذلك لأنه تم التلاعب بهم للقيام بذلك: حياتهم كلها ليست سوى سلسلة من ردود الفعل المشروطة، سلسلة من الأفعال الحيوانية، والرجل الذي لم يعد قادراً على أداء هذه الأعمال، الذي تقل قدرته على الكسب، يعتبر فاشلاً، سيخسر كل شيء -الزوجة والعائلة والمنزل، وهدفه كله في الحياة -كل الأشياء في الواقع التي توفر له الأمن. بالطبع قد يقول المرء أن الرجل الذي فقد قدرته على كسب المال يتم تحريره تلقائياً من أعبائه ويجب أن يكون سعيداً بهذه النهاية السعيدة -لكن الحرية هي آخر شيء يريده، إنه يعمل كما سنرى وفقاً لمبدأ اللذّة في عدم الحرية. إن الحكم عليه بالحرية مدى الحياة هو مصير أسوأ من العبودية مدى الحياة. بعبارة أخرى: يبحث الرجل دائماً عن شخص ما أو شيء يستعبده، لأنه فقط كعبد يشعر بالأمان -وكقاعدة عامة يقع اختياره على المرأة. من أو ما هو هذا المخلوق المسؤول عن وجوده المتواضع الذي يستغله بطريقة تجعله يشعر بالأمان كعبدها، وعبدها وحدها؟

ما هي المرأة؟

المرأة، كما قلنا من قبل هي على عكس الرجل، إنسان لا يعمل. يمكن للمرء أن يترك الأمر عند هذا الحد لأنه ليس هناك الكثير ليقوله عنها، لم يكن المفهوم الأساسي «للإنسان» غير عام وغير دقيق في اعتناق «الرجل» و«المرأة». تقدم الحياة للإنسان خيارين: الوجود الحيواني -ترتيب الحياة الأدنى -والوجود الروحي. بشكل عام ستختار المرأة الأول وتختار الرفاهية الجسدية ومكاناً للتكاثر وفرصة لتنغمس دون عوائق في عاداتها التناسلية. عند الولادة يتمتع الرجال والنساء بالإمكانات الفكرية ذاتها؛ لا يوجد فرق أساسي في الذكاء بين الجنسين، إنها أيضاً حقيقة أن الإمكانيات المتروكة للركود سيصيبها الضمور، فلا تستخدم النساء قدراتهن العقلية: بل يتركنها عمداً لتضمحل. بعد بضع سنوات من التدريب المتقطع، يعدن إلى حالة من الخدر والسبات العقلي الذي لا رجعة فيه. لماذا لا تستخدم النساء إمكاناتهن الفكرية؟ لسبب بسيط أنهن لسن بحاجة إلى ذلك. فهو ليس ضرورياً لبقائهن على قيد الحياة. من الناحية النظرية من الممكن أن تتمتع المرأة الجميلة بذكاء أقل من الشمبانزي ولا تزال تعتبر عضواً مقبولاً في المجتمع. بحلول سن الثانية عشرة على الأكثر قررت معظم النساء أن يصبحن عاهرات أو بعبارة أخرى، فقد خططن لمستقبلهن والذي يتكون من اختيار رجل والسماح له بالقيام بكل العمل. في مقابل دعمه، هن على استعداد للسماح له بممارسة الجنس معهن في لحظات معينة. في اللحظة التي اتخذت فيها المرأة هذا القرار توقفت عن تطوير عقلها، قد تستمر، بالطبع، في الحصول على شهادات ودبلومات مختلفة هذه تزيد من قيمتها السوقية في عيون الرجال، لأن الرجال يعتقدون أن المرأة التي يمكنها قراءة الأشياء عن ظهر قلب لابد أن تعرف هذه الأشياء وتفهمها. لكن أي احتمال حقيقي للتواصل بين الجنسين يتوقف في هذه المرحلة. طرقهم تفترق إلى الأبد. أحد أسوأ الأخطاء التي ارتكبها الرجل، والأخطاء التي يرتكبها مراراً وتكراراً هي افتراضه أن المرأة مساوية له، أي أنها إنسان له نفس القدرة العقلية والعاطفية، فيمكن للرجل مراقبة زوجته والاستماع إليها والحكم على مشاعرها من ردود أفعالها، ولكن في كل هذا يتم الحكم عليها فقط من خلال الأعراض الخارجية، لأنه يستخدم مقياس القيم الخاص به. إنه يعرف ما سيقوله ويفكر به ويفعله لو كان في مكانها. عندما ينظر إلى طرقها المحبطة في فعل الأشياء، يفترض أنه يجب أن يكون هناك شيء يمنعها من

فعل ما كان سيفعله هو نفسه لو كان في مكانها. هذا أمر طبيعي، لأنه يعتبر نفسه مقياساً لكل الأشياء – وهو محق في ذلك –إذا عرف البشر أنفسهم ككائنات قادرة على التفكير المجرد. عندما يرى رجل امرأة تقضي ساعات في الطهي وغسل الصحون والتنظيف لا يخطر له أبداً أن مثل هذه الأعمال تجعلها سعيدة جداً لأنها في مستواها العقلي. بدلاً من ذلك، يفترض أن هذا الكدح يمنعها من القيام بكل تلك الأشياء التي يعتبرها هو جديرة بالاهتمام ومرغوبة. لذلك اخترع غسالات الصحون الأوتوماتيكية، والمكانس الكهربائية، والأطعمة الجاهزة لجعل حياتها أكثر سهولة والسماح لها بأن تعيش حياة الحلم التي يتوق إليها هو نفسه. لكنه سيصاب بخيبة أمل: نادراً ما تستخدم المرأة الوقت الذي اكتسبته لتولي اهتماماً بالتاريخ أو السياسة أو الفيزياء الفلكية، النساء يخبزن الكعك أو يقمن بكوي الملابس الداخلية ويصنعن الكشكشة والزخارف على البلوزات أو يغطين الحمام بشارات من الزهور. لذلك، من الطبيعي أن يفترض الإنسان أن هذه الأشياء هي المكونات الأساسية للحياة الكريمة. يجب أن تكون هذه الفكرة قد غرستها المرأة، لأنه هو نفسه لا يمانع حقاً في شراء كعكة من المخبز أو أن يكون سرواله الداخلي غير مكوي أو حمامه خالي من الأنماط المزهرة. إنه يخترع مزيج الكيك لتحريرها من الكدح، والمكواة الأوتوماتيكية، وحاملات ورق التواليت المغطاة بالفعل بأنماط الزهور لجعل العيش الكريم أسهل –ولا تزال النساء لا يهتممن بالأدب الجاد أو السياسة أو غزو الكون. بالنسبة لها، يأتي هذا الترفيه المكتشف حديثاً في اللحظة المناسبة تماماً. أخيراً، يمكنها أن تهتم بنفسها: نظراً لأن التوق للإنجازات الفكرية غريب عليها، فهي تركز على مظهرها الخارجي. لكن حتى هذا العمل مقبول للرجل. إنه يحب زوجته حقاً ويريد سعادتها أكثر من أي شيء آخر في العالم. لذلك، فهو ينتج أحمر الشفاه غير الدبق، وماسكارا مضادة للماء، وبلوزات مكشوفة لا تحتاج للكوي، دائماً مع نفس الهدف في الأفق. في النهاية يأمل أن هذا الكائن الذي يبدو أن احتياجاته أكثر حساسية بكثير، وأكثر دقة، ستحصل على حرية في أن تحقق حياتها المثالية التي هي حلمه أيضا: أن تعيش حياة رجل حر. ثم يجلس وينتظر. أخيراً، نظراً لأن المرأة لا تأتي إليه بمحض إرادتها، فإنه يحاول إغرائها لدخول عالمه. يقدم لها التعليم المختلط، كي تعتاد على طريقة حياته منذ الطفولة. مع كل أنواع الأعذار، يدفعها إلى الالتحاق بجامعاته ويطلقها في أسرار اكتشافاته الخاصة على أمل إيقاظ اهتمامها بعجائب الحياة. إنه يتيح لها الوصول إلى آخر معاقل الذكور، وبالتالي التخلي عن التقاليد المقدسة له من خلال تشجيعها على استخدام حقها في التصويت على أمل أن تغير أنظمة الحكم التي نجح في التفكير بها بجدية وفقاً لأفكارها

الخاصة. من المحتمل أنه يأمل في أن تتمكن من إحلال السلام في العالم -لأن النساء، حسب رأيه، لهن تأثير سلمي. في هذا كله، هو مصمم وعنيد للغاية لدرجة أنه لا يرى أي أحمق قد جعل من نفسه – سخيفاً بمعاييره الخاصة، وليس بمعايير النساء، اللائي لا يملكن حس الدعابة إطلاقاً.

لا، لا تضحك النساء على الرجال. في الغالب يتضايقن، من الواضح أن المؤسسات القديمة للمنزل لم تعد قديمة أو مهجورة بشكل واضح لدرجة أنها لا تستطيع تبرير تخلي النساء عن جميع مساعيهن الفكرية والتخلي عن جميع مطالبهن بوظائف أفضل. ومع ذلك، يتساءل المرء ما الذي سيحدث عندما تصبح الأعمال المنزلية أكثر ميكانيكية أو عندما توجد مدارس حضانة جيدة كافية في مكان قريب، أو عندما يكتشف الرجال -كما كان يجب أن يحدث قبل فترة طويلة -أن الأطفال أنفسهم ليسوا ضروريين. لو أن الرجل يتوقف للحظة واحدة في اندفاعه الشاق نحو التقدم يفكر في هذا الوضع، فسوف يدرك حتماً أن جهوده لإعطاء المرأة إحساساً بالتحفيز العقلي قد ذهبت سدى تماماً. صحيح أن المرأة تصبح تدريجيا أكثر أناقة، وأكثر استعداداً، وأكثر «تثقيفاً»، ولكن مطالبها بالحياة ستكون دائما مادية، وليست فكرية أبداً. هل استفادت في أي وقت مضى من العمليات العقلية التي يدرسها في جامعاته لتطوير نظرياتها الخاصة؟ هل تقوم بأبحاث مستقلة في المعاهد التي فتح أبوابها أمامها؟ في يوم من الأيام سيظهر للرجل أن المرأة لا تقرأ الكتب الرائعة التي ملأ بها مكتباته. وعلى الرغم من أنها قد تعجب بأعماله الفنية الرائعة في المتاحف، إلا أنها نادراً ما ستقوم بالابتكار، سوف تنسخ فقط. حتى المسرحيات والأفلام يتم الحكم عليها فقط من خلال قيمتها الترفيهية. لن تكون أبداً الخطوة الأولى للثورة عندما يدرك الرجل الذي يؤمن أن المرأة مساوية له، عدم جدوى طريقة حياتها، فإنه يميل إلى الاعتقاد أنه خطؤه، وأنه لابد من أنه يقمعها. ولكن في عصرنا لم تعد المرأة خاضعة لإرادة الرجل. بل على العكس تماماً. لقد أتيحت لهن كل فرصة للفوز باستقلالهن، وإذا لم يحررن أنفسهن بعد كل هذا الوقت ويلقين قيودهن، لا يمكننا الوصول إلا إلى استنتاج واحد: لا توجد قيود للتخلص منها. صحيح أن الرجال يحبون النساء، لكنهم يحتقرونهن أيضاً. أي شخص يستيقظ في الصباح نشيطا ومستعدا لقهر عوالم جديدة (مع نجاح نادر، لا بد من الاعتراف لأنه يجب أن يكسب رزقه) لا بد أن يحتقر شخصاً لا يهتم بكل بساطة بمثل هذه المساعي. قد يكون الازدراء

أحد الأسباب الرئيسية لجهوده لتعزيز النمو العقلي للمرأة. إنه يشعر بالخجل منها ويفترض أنها هي أيضاً يجب أن تخجل من نفسها. كونه رجلا نبيلاً، يحاول المساعدة.

يبدو أن الرجال غير قادرين على إدراك أن النساء يفتقرن تماماً إلى الطموح، والرغبة في المعرفة، والحاجة إلى إثبات أنفسهن، كل الأشياء التي يعتبرها الرجال أمراً مهما. إنهن تسمحن للرجال بالعيش في عالم منفصل لأنهن لا يردن الانضمام إليهم. لماذا يجب عليهن ذلك؟ هذا النوع من الاستقلالية للرجال لا يعني شيئاً للنساء، لأن النساء لا يشعرن بالاعتماد عليهم. لا يشعرن بالحرج من التفوق الفكري للرجال لأنهن لا يملكن طموحاً في هذا الاتجاه. هناك ميزة واحدة كبيرة لدى النساء على الرجال: لديهن خيار – الاختيار بين حياة الرجل وحياة عنصر ترف طفيلي باهت. هناك عدد قليل جداً من النساء اللواتي لن يخترن هذا الأخير. الرجال ليس لديهم هذا الاختيار. لو شعرت النساء بالاضطهاد من قبل الرجال لتملكتهن الكراهية والخوف منهم كما يفعل المظلومون دائمًا، لكن النساء لا يخشين الرجال ناهيك عن كرههم. إذا شعرن حقاً بالإهانة بسبب تفوق الرجل العقلي فسيستخدمن كل ما في وسعهن لتغيير الوضع. إذا شعرت النساء حقاً بعدم المساواة بالتأكيد في مثل هذا الوقت المناسب من تاريخهن لكنَّ قد تحررن من مضطهديهن. في سويسرا، واحدة من أكثر دول العالم تطوراً، حيث لم يُسمح للنساء حتى وقت قريب بالتصويت، في بعض الأقاليم كما ورد كانت غالبية النساء ضد إعطاء حق التصويت للنساء. لقد تحطم الرجال السويسريون لأنهم رأوا في هذا الموقف غير المناسب دليلاً آخر على قرون من اضطهاد الذكور. كم كانوا مخطئين! تشعر النساء بكل شيء إلا الاضطهاد من قبل الرجال. على العكس من ذلك، فإن إحدى الحقائق المحزنة العديدة حول العلاقة بين الجنسين هي ببساطة أن الرجل بالكاد موجود في عالم المرأة: الرجل ليس قوياً بما يكفي للثورة. إن اعتماد المرأة عليه هو مادي فقط، ذي طبيعة «جسدية»، وهو أمر يشبه اعتماد السائح على شركة طيران، أو اعتماد مالك مقهى على آلة إسبر سو، أو سيارة على البنزين، أو جهاز تلفزيون على التيار الكهربائي. هذه التبعيات بالكاد تنطوي على ألم. إبسن[١]، الذي عانى من نفس المفاهيم الخاطئة مثل الرجال الآخرين، أراد أن يجعل عمله «بيت الدمية» كنوع من البيان الرسمي من أجل حرية المرأة. كان

(١) هنريك يوهان إبسن (Henrik Johan Ibsen؛ ٢٠ مارس ١٨٢٨ – ٢٣ مايو ١٩٠٦) كاتب مسرحي نرويجي كبير، كان من أهم العاملين على ظهور الدراما الواقعية المعاصرة. يعرف بـ «أبو المسرح الحديث».

العرض الأول في عام ١٨٨٠ قد صدم الرجال بالتأكيد، وقد عقدوا العزم على الكفاح بقوة أكبر لتحسين وضع المرأة. بالنسبة إلى النساء أنفسهن، فإن النضال من أجل التحرر كالمعتاد قد ظهر في تغيير الأسلوب: لفترة من الوقت، كن يسعدن في تنكراتهن المضحكة للمطالبة بحق التصويت. في وقت لاحق، تركت فلسفة سارتر انطباعاً عميقاً عن النساء. كدليل على أنهن فهمن ذلك تماماً، تركن شعرهن ينحدر إلى وسطهن وارتدين البلوفرات والسراويل السوداء. حتى تعاليم الزعيم الشيوعي الصيني ماو تسي تونغ كانت ناجحة –مظهر ماو استمر لمدة موسم كامل.

أُفق المرأة

أياً كان ما يفعله الرجال لإثارة إعجاب النساء فهو غير ذي أهمية في عالم النساء. فقط وجود امرأة أخرى هو ما يهم في عالم المرأة. بالطبع ستكون المرأة دائما سعيدة إذا التفت الرجل كي ينظر إليها -وإذا كان يرتدي ملابس جيدة أو يقود سيارة رياضية باهظة الثمن، كان ذلك أفضل بكثير. قد تكون سعادتها مساوية لسعادة أحد المستثمرين الذي وجد أن أسهمه قد ارتفعت! ستكون مسألة لامبالاة تامة للمرأة فيما إذا كان الرجل جذاباً أو بدا ذكياً. من غير المرجح أن يلاحظ المساهم لون شيكات توزيعات الأرباح. لكن إذا التفتت امرأة أخرى كي تنظر-وهو أمر نادر الحدوث، لأن حكمها الخاص عديم الرحمة أكثر مما هو عند الرجل -يصبح يومها مثالياً. لقد حققت المستحيل الاعتراف والإعجاب و «حب» النساء الأخريات. نعم، لا يوجد في عالم النساء سوى النساء. النساء اللواتي تقابلهن في الكنيسة أو في اجتماعات الأهالي والمدرسين أو في السوبر ماركت؛ النساء اللواتي تتحدث إليهن عبر سياج الحديقة؛ النساء في الحفلات أو اللواتي يتسوقن في الشوارع الأكثر عصرية؛ والتي يبدو أن النساء لا يلاحظنها أبداً -هؤلاء النساء هن مقياس نجاحها أو فشلها. تتوافق معايير المرأة مع تلك الموجودة في أذهان النساء الأخريات، وليس مع معايير الرجال؛ إن حكمهن هو المهم حقاً، وليس حكم الرجال. كلمة مديح بسيطة من امرأة أخرى

وكل هذه الإطراءات الرجولية الخرقاء تُلقى على جانب الطريق، لأنها مجرد مدح صادر عن الهواة. الرجال ليس لديهم أي فكرة عما يعنيه عالم المرأة. بالطبع تريد المرأة إرضاء الرجل أيضاً: دعونا لا ننسى ذلك ففي النهاية الرجل يوفر الوسائل المادية. ولكن هذا يتم بسهولة أكبر بكثير. تم تكييف الرجال للتجاوب مع درجة معينة من التمييز: يتوقعون أن تتوافق النساء مع أنواع معينة من رموز الجنس التي تم إنشاؤها بواسطة المكياج وغيرها من الزخارف القياسية: الشعر الطويل، والشفتين المطلية، والسترات الضيقة، التنانير القصيرة، والجوارب الشفافة، الكعب العالي -كل ذلك يتم في لحظة. تلك الأعمال الفنية الحية التي تتجاوز فهم الإنسان -تلك الكائنات التي تسير في شوارع باريس وروما ونيويورك الأنيقة. المهارة في وضع الكحل والظل بخبرة. اختيار أحمر الشفاه واستعماله، مع أو بدون فرشاة، في عدة طبقات

أو فقط في طبقة واحدة؛ الحل الوسط الذي يجب تحقيقه بين إيجابيات وسلبيات الرموش الصناعية، أو مطابقة الفستان، أو المعطف مع الإضاءة -كل هذا فن يتطلب معرفة خبيرة ليس لدى الرجل عنها أي تصور. الرجل يفتقر إلى أي نوع من التقدير لهذا. لم يتعلم تفسير مدى تنكرات الإناث، ولا يمكنه تقييم هذه الأعمال الفنية الماشية على قدمين. لتحقيق الكمال، تحتاج مهارة كهذه إلى الوقت والمال وإلى عقل محدود -ويتم تلبية هذه المتطلبات من قبل النساء فقط. في الواقع عندما ترتدي المرأة ملابسها فإن الرجل له اعتبار ضئيل إلى حد ما – وهو الحد اللازم لاحتجازه وتشجيعه على توفير ما تحتاجه (بمعنى أوسع). كل استثمار آخر يستهدف النساء الأخريات. الرجل له أهمية فقط كمصدر مادي. إذا أرادت إحدى الشركات الحصول على اختصاصي في بعض المجالات، فستغمره وتغريه بكل الطرق الممكنة حتى يضعف. بمجرد توقيع العقد، يمكن لأصحاب العمل الاسترخاء. يستمر نفوذهم عليه بالازدياد. تتصرف المرأة بنفس الطريقة مع الرجل، إنها تعطي رجلها حبلاً كافياً ليضمن أنه سيفضل الحياة بجانبها على أن يلغي عقده معها. في الواقع، يمكن مقارنة المرأة بالشركة بعدة طرق. بعد كل شيء، فإن الشركة ليست سوى نظام غير شخصي يهدف إلى تحقيق أقصى ربح. وماذا تفعل المرأة أيضا؟ بدون أي عاطفة -حب أو كراهية أو خبث – ترتبط المرأة بالرجل الذي يعمل لها. لا تتورط المشاعر إلا إذا هدد بتركها. لأن رزقها يصبح على المحك، ولأن هذا هو رد فعل عقلاني لسبب عقلاني، فلذلك يمكن التعامل معه بعقلانية وتعديله. يمكنها دائماً وضع رجل آخر بموجب عقد؛ كم يختلف رد فعلها عن ردود فعل رجل يجد نفسه في وضع مماثل؟ إنه يعاني من الغيرة والإذلال ومشاعر الدونية والشفقة على النفس -لكنها تتصرف ببرود وانعدام عاطفة. لن تشعر المرأة أبداً بالغيرة في مثل هذه الحالة، لأن الرجل لا يتركها إلا لامرأة أخرى وليس من أجل الحرية. في نظرها انه لا يحسن موقفه بأي شكل من الأشكال. مغامرة حب الرجل لامرأة جديدة ليست أكثر من مصدر إزعاج. إنها ترى كل ذلك من زاوية رجل الأعمال الصغير الذي يفقد أفضل عامل لديه لمنافس. فيما يتعلق بالمرأة، فإن وجع القلب في هذه الحال ليس أكثر من رد فعل على ترك العمل الجيد يذهب إلى مكان آخر.

وبالتالي، من العبث أن يفكر أي رجل في أن زوجته مخلصة لمجرد أنها لا تخرج مع رجال آخرين - رجال أكثر جاذبية في نظره. شريطة أن يعمل بجد ويزودها بكل الأشياء التي تهمها حقاً، لماذا يجب عليها

تركه؟ لا يوجد شيء مشترك بين إخلاص المرأة وإخلاص الرجل. النساء، على عكس الرجال، محصنات من الناحية العملية لمظهر الجنس الآخر. إذا كانت المرأة تغازل أعز صديق لزوجها، فإن نيتها إزعاج زوجته التي تعد مشاعرها مهمة، على عكس مشاعر زوجها. إذا شعرت بشعور عميق تجاه الرجل المعني، فهي لن تظهر عواطفها على الملأ. في الممارسات الجنسية التعددية مثل مقايضة الزوجة، التي استبدلت بها الآن المغازلة باعتبارها هواية، فإن الزوجة الأخرى هي التي تتعرض للهجوم. التاريخ مليء بالحكايات عن رجال يمتعون أنفسهم مع العديد من العشيقات في نفس الوقت، ولكن هناك القليل من هذه القصص عن الإناث. كان هذا هو الحال دائماً وسيظل كذلك. إذا كان رد فعل المرأة على المظهر الخارجي للرجل، فإن كل أفكار الإعلانات الحالية ستكون عديمة الفائدة. وفقاً للإحصاءات، فإن القطاع النسائي من السكان هو الذي ينفق أكبر قدر من المال -المال الذي يكسبه الرجال لأجلهن. لا يحاول المصنّعون تحفيز المبيعات من خلال الإعلانات التي تعرض رجالا وسيمين. على العكس تماما. بغض النظر عما يريدون بيعه - المنظفات والسيارات وأجنحة غرف النوم وأجهزة التلفزيون -كل إعلان يتباهى بامرأة جميلة. في الآونة الأخيرة فقط أدرك منتجو الأفلام أن البطل الوسيم ليس ضرورياً لنجاح الفيلم. النساء راضيات تماماً بنجم قبيح -جان بول بلموندو، والتر ماتاو، أو دستين هوفمان.

ويفضلهم الرجال بطبيعة الحال مع إحساسهم بالنقص البدني بسبب حقيقة أنهم نادراً ما يعتبرون أنفسهم جميلين، يجدون من الأسهل بكثير أن يتعاطفوا مع نجم يشبههم. طالما كان هناك دور بطولة لأنثى جميلة، فستستمتع النساء بفيلم بنجم عادي الجمال إلى حد كبير كاستمتاعهن بفيلم من بطولة روك هدسون. لأنهن في الواقع، مهتمات فقط بالنساء في الفيلم. والسبب في أن الرجال ظلوا عمياناً عن مثل هذه الحقائق لفترة طويلة هو أنهم تعرضوا للتضليل بسبب الهجمات التي تشنها النساء على بعضهن البعض عندما يسمعون امرأة تدلي بملاحظات مهينة عن الأخرى -أنفها كبير للغاية، وصدرها مسطح للغاية، ووركان عريضان جداً، وساقان ملتويتان -الرجال، بطبيعة الحال، يفترضون أنهن لا يتحملن بعضهن البعض أو أن النساء لا يجذبهن جمال امرأة أخرى. ومع ذلك كم هم مخطئون. أي رجل أعمال، على سبيل المثال، يمضي حياته يمتدح منافسيه أمام موظفيه، سيُعتقد أنه مجنون.

قبل أن يمضي وقت طويل، سيكون نصف أفضل العاملين لديه قد انتقلوا إلى الشركة الأخرى. إنها نفس اللعبة التي يلعبها السياسيون. بالطبع يتعين عليهم أن يشوهوا سمعة بعضهم البعض، ولكن إذا حوصر نيكسون في جزيرة صحراوية، فمن المؤكد أنه يفضل رفقة كوسيجين أو كاسترو على الرجل في الشارع الذي انتخبه. ففي النهاية، لديهم القليل جداً من القواسم المشتركة. إذا كانت النساء متحررات من الرعاية المالية، فمن المحتمل أن الغالبية منهن يفضلن قضاء حياتهن في صحبة نساء أخريات بدلاً من الرجال –وليس لأنهن جميعهن مثليات. ما يسمونه الرجال الميول السحاقية ربما لا علاقة له بالدافع الجنسي للمرأة. لا، لا يوجد بين الجنسين أي اهتمامات مشتركة، ماذا، إلى جانب المال، يمكن أن يربط المرأة بالرجل؟

النساء يمثلن رفقاء حياة مثاليات لبعضهن البعض .تتراجع مشاعرهن وغرائزهن إلى المستوى البدائي نفسه، ولا توجد نساء متفردات أو غريبات أطوار ليس من الصعب تخيل الجنة التي سيخلقنها معاً وكيف سيكون وجودهن مثيراً، حتى لو كان المستوى الفكري منخفضاً بشكل مروع .من سيشعر بالقلق حيال ذلك؟

الجنس العادل

لشخص من الفضاء الخارجي بالتأكيد سيبدو الرجال أكثر جدارة بالإعجاب من النساء، لأن الرجل لديه ذكاء وجمال. على مر القرون، أصبح معيار القيم لدى الرجل مشوشاً بشكل محزن، وإلا فلمْ يكن ليُطلق على النساء تسمية الجنس العادل. إن مجرد كونهن أقل ذكاءً من الرجال هو أمر كافٍ للتناقض مع هذا المفهوم، لأنه لا يمكن أبداً اعتبار شخص غبي جميلاً إلا إذا تم الحكم عليه على المستوى الجسدي البحت. ولكن يجب التأكيد على أن الخطأ يقع على عاتق الرجل نفسه، الذي يقدر المرأة وفقا للمعايير التي يكون بها الناس والحيوانات على نفس المستوى. يحتاج الرجل إلى امرأة لأنه كما سنرى، يحتاج إلى شيء يخضع له. ولكن في الوقت نفسه يجب عليه أن يحافظ على احترامه لذاته. هذا يقوده إلى منح المرأة صفات من شأنها تبرير إخضاعه. وبما أن المرأة لم تقم أبداً بأي محاولة لاستخدام ذكائها، فإنه لا يستطيع أن يدعوها بالذكية، لكنه يقترب من ذلك من خلال ابتكار مفهوم «حدس المرأة».

لذلك في غياب أي صفات حقيقية أخرى يدعوها بالجميلة. المعايير الجمالية هي بالضرورة ذاتية أي -خاصة-، وكل حكم جمالي يصدره الفرد هو فعل ناجم عن اختيار شخصي، لكن الذاتية تتحول بسهولة إلى عذر والرجل مسرور للغاية ليسمح لنفسه أن يصبح عبداً. يفترض الرجل أنه بما أن المرأة تزين نفسها بقصد لفت الأنظار نحوها، فيجب أن يكون لديها سبب لتصرفها؛ لذلك يجد الرجل المرأة جميلة لأنها تعتقد أنها جميلة. في الواقع، إنه ممتن للغاية لأنه سمح له بمشاركة هذا الرأي لكن هذه المطالبة الأنثوية بالجمال تدعمها أيضاً الحِيل عن طريق الخدعة. أعظم مثاليات المرأة هو الحياة بدون عمل أو مسؤولية - لكن من يحتاج إلى مثل هذه الحياة سوى الطفل؟ طفل ذو عيون جذابة، جسم صغير مضحك به دمامل وطبقات حلوة من دهون الأطفال وبشرة ناعمة مشدودة -وهي صورة مصغرة محببة لشخص بالغ فتحاول النساء التشبه بالأطفال كضحكهم بسهولة، عجزهم، حاجتهم إلى الحماية، الحرص على رعرعة الطفل حيث لا يمكنه الاعتناء بنفسه. وما تلك الأنواع التي -بغريزتها الطبيعية- لا تعتني بنسلها؟! لابد من ذلك -أو سوف يموت النوع.

بمساعدة مستحضرات التجميل المطبقة بمهارة، والمصممة للحفاظ على مظهر الطفل الثمين وسدّ العجز والثرثرة الجذابة وكلمات مثل «Ooh» و «Ah»، للدلالة على الدهشة والإعجاب؛ مع بعض المحادثات التافهة، حافظت النساء على هذا «المظهر الطفولي» لأطول فترة ممكنة لجعل العالم يواصل الإيمان بالطفلة الصغيرة المحبوبة التي كانت في السابق، وهي تعتمد على غريزة الحماية لدى الرجل لجعله يعتني بها. كما هو الحال مع كل شيء تقوم به المرأة بمبادرة منها فإن هذه المناورة كلها لا تصدق بقدر ما هي غبية. إن أمر نجاحها في الواقع لمدهش؟! كما يبدو أمراً قصير النظر للغاية تشجيع مثل هذا الجمال المثالي، إذ كيف يمكن لأي امرأة أن تأمل في الحفاظ عليه بعد سن الخامسة والعشرين؟ على الرغم من كل خدع مستحضرات التجميل، على الرغم من نصيحة المجلة بعدم التفكير أو الضحك (كلاهما يسببان التجاعيد)، فإن عمرها الفعلي سيظهر حتماً في النهاية، وما الذي يمكن أن يفعله الرجل بهذا الوجه البالغ وقد تم التلاعب به ليعتقد أن تلك الفتيات الصغيرات الجذابات مخلوقات من الجمال؟ ما الذي يجب على الرجل فعله مع المرأة عندما تصبح المنحنيات الملساء إطارات من اللحم المتهالك والجلد المترهل، عندما تصبح النغمات الطفولية صاخبة، ويبدو الضحك وكأنه صهيل؟! ما الذي سيحدث في هذا الوضع عندما لم يعد وجهها يكفر عن مآسيها التي لا تتوقف وعندما تبدأ صرخات «Ooh» و «Ah» في دفعه إلى الجنون؟ هذا الطفل المحنط لن يطلق أبدا خيالات الرجل المثيرة مرة أخرى. قد يعتقد المرء أن انهيار قوتها قد تم أخيراً! لكن لا، فهي لا تزال قادرة على التمكين لنفسها -ولسببين. الأول واضح: لديها الآن أطفال يمكّنونها من الاستمرار في التظاهر بالعجز. بالنسبة للثاني: -ببساطة لا يوجد عدد كافٍ من النساء الشابات ليحوم الرجل حولهن، إنه رهان آمن أنّه في حال كان مخيراً، يتاجر الرجل بزوجته المتقدمة في العمر مقابل نموذج أصغر سناً، لكن بما أن النسبة بين الجنسين متساوية تقريباً، لا يمكن لكل رجل أن يكون لديه امرأة أصغر سناً. وبما أنه يجب أن يكون لديه زوجة من نوع ما، فهو يفضل الاحتفاظ بالزوجة التي يمتلكها بالفعل، هذا سهل البرهان! بالنظر إلى الخيار، سيختار الرجل دائماً امرأة شابة. كانت إليزابيث تايلور ومارلين مونرو غاضبتين عندما لم يعد بالإمكان إخفاء تجاعيدهما بواسطة طبقات المكياج وبالتالي عندما ذهب رجل ما إلى السينما اشترى ببساطة تذكرة لرؤية نجمة أصغر سناً.

لا يمكن تقييد أي شخص قادر على تحمل تكاليف شراء مقاعد في دور السينما. عادة ما يقوم المولون وأبناء رجال الأعمال الصغار بتبديل زوجاتهم المستهلكات بالموديلات الأحدث، وبما أن نفقة الزوجة المطلقة جيدة إلى حد ما، فلا يبدو أن الزوجة العجوز تمانع ذلك؛ في الواقع ربما تكون سعيدة للغاية لأنها قامت بمثل هذه الصفقة الجيدة ولكن هذا ترف للأغنياء وحدهم. إذا قرر رجل فقير، في لحظة من عدم الشعور بالمسؤولية، أن يحول اهتمامه إلى امرأة شابة، فيمكنه أن يكون متأكداً من فقدانها بسرعة كبيرة. لن تكفي أمواله لزوجتين ومجموعتين من الأطفال، لأن الزوجة الثانية ستصر بالتأكيد على إنجابها أطفالاً أيضا وإذا كانت هناك شابة جذابة لديها الخيار، فستختار شاباً في كل مرة شريطة أن يكون مؤمَّناً مالياً. هذا ليس بالطبع لأسباب جمالية مع قليل من الحظ سيكون قادراً على تأمينها لفترة أطول. من ناحية أخرى، إذا تقدم لها رجل ثري في الأربعين من عمره، فإن المرأة ستفضله بالتأكيد على شاب فقير في العشرين، من المؤكد أن النساء يعرفن ما يُردنَ من الرجال ويعرفن بالضبط كيف يخترن الأفضل لهن.

من حسن حظ المرأة البالغة أن الرجال لا يعتبرون أنفسهم جميلين لأن معظم الرجال جميلون. إن أجسادهم الناعمة، وأكتافهم القوية، وأرجلهم المتصلبة، وأصواتهم اللحنية، وضحكهم البشري الدافئ، والتعبير الذكي عن وجوههم، وحركاتهم المدروسة والهادفة، تطغى على نظيرتها عند النساء تماماً، حتى بالمعنى الحيواني البحت. ولأنهم على عكس النساء يعملون يتم بالتالي الحفاظ على أجسادهم للاستخدام المستمر في المستقبل، فالرجال يحتفظون بجمالهم لفترة أطول.

نتيجةً لكسلها وخمولها تفسد أجساد النساء بسرعة، وبعد سن الخمسين فهي ليست سوى أكوام بالية غير مبالية من الخلايا البشرية. (يتعين على المرء فقط مراقبة ربة منزل تبلغ من العمر خمسين عاماً في الشارع ومقارنة مظهرها بمظهر رجل من نفس العمر) لا يعرف الرجال جمالهم ولا يذكره أحد، رغم أن هناك الكثير من الكلام الفارغ المكتوب عن سحر النساء، حتى الأطفال والحيوانات يُعتبرون رشيقين، رائعين، ومبهرين لكن الرجال لا! يتم الإشادة بالرجال في أحسن الأحوال على صمودهم وشجاعتهم وموثوقيتهم -وكلها صفات مفيدة للمرأة، ولا علاقة لها بالمظهر البدني. سيكون من الصعب العثور على وصف لجسم الذكر إلا في كتاب طبي.

وبعيدا عن ذلك، من كان ليحلم بالتفاصيل الدقيقة حول الشكل الدقيق لشفتيه، الظل الدقيق لعينيه تحت نوع خاص من الإضاءة؟ وماذا عن حساسية حلماته أو شكل كيس الصفن والخصيتين -فما عليك سوى أن تتخيل دهشة الرجل وتسليته إذا كان هذا موضوع ترانيم المديح! الرجال ليسوا معتادين على مناقشة مظهرهم.

النساء البالغات كمخلوقات قبيحة لديهن الوقت والفرصة للإعجاب بالرجال، ليس أن المرأة لئيمة أو حسودة؛ إنها تفكر في الرجل كآلة -آلة لإنتاج السلع المادية-. ومن يعتبر الجهاز كموضوع للجمال؟! إنه شيء يعمل والرجال يحكمون على أنفسهم بالمثل، عدا إنهم منهكون للغاية بسبب دورهم في تأمين الماديات وفي سباق أبدي للتفكير في أن يكونوا موضوعيين فيما يتعلق بمظهرهم الخاص. كل هذا نقاش لا معنى له على أي حال لأن الرجال في الأساس لا يهتمون بإمكانية أن يكونوا جميلين فما الأهمية التي سوف يعطيها ذلك لأعمالهم؟ يجب أن تكون النساء هن الجميلات اللائي لا حول لهن، الرائعات، يجب أن يكنَّ في الواقع مفتقرات إلى تعريف أكثر دقة، «الجنس العادل».

إنه عالم الرجل

الرجل.. على عكس المرأة جميل، لأن الرجل على عكس المرأة مخلوق مفكر.

يعني ذلك:

- الرجل لديه تعطش للمعرفة (يريد أن يعرف كيف يبدو العالم من حوله وكيف يعمل).
- الرجل يفكر (يستخلص استنتاجات من البيانات التي حوله) .
- الرجل مبدع (إنه يبتكر شيئًا جديدًا من المعلومات التي توصل إليها بالعمليات المذكورة أعلاه).
- الرجل حساس (نتيجة لمقياسه العاطفي الواسع والمتعدد الأبعاد بشكل استثنائي، فهو لا يسجل فقط المألوف في تدرجات دقيقة، لكنه يخلق ويكتشف قيماً عاطفية جديدة ويجعلها في متناول الآخرين من خلال أوصاف معقولة، أو يعيد إنشاءها كفنان).

من بين كل ميزات الرجل، فإن فضوله بالتأكيد هو الأكثر إثارة للإعجاب، يختلف هذا الفضول بشكل أساسي عن فضول المرأة، فهي لا تهتم إلا بالمواضيع التي لها فائدة شخصية فورية لها. على سبيل المثال إذا قرأت مقالاً سياسياً في الصحيفة فمن المحتمل جدا أنها تريد لفت انتباه بعض طلاب العلوم السياسية وليس لأنها تهتم بمصير الصينيين أو الإسرائيليين أو جنوب إفريقيا، إذا بحثت عن أسماء بعض الفلاسفة اليونانيين في القاموس فهذا لا يعني أنها قد اهتمت فجأة بالفلسفة اليونانية بل يعني أنها تحاول حل الكلمات المتقاطعة، إذا كانت تدرس الإعلانات الخاصة بسيارة جديدة فهي لا تفعل ذلك باهتمام أفلاطوني بميزاتها التقنية ولكن لأنها تريد امتلاكها... إنها لحقيقة أن معظم النساء -بما في ذلك الأمهات- ليس لديهن عموماً فكرة حول كيفية تكوُن الجنين البشري، وكيف يتطور في الرحم، وما هي المراحل التي يمر بها قبل الولادة! بالطبع ليس من الضروري لها أن تعرف عن هذه الأشياء، لأنها لا تستطيع التأثير على تطور الجنين على أي حال! من المهم فقط معرفة أن الحمل يستمر تسعة أشهر وخلال المدة يجب على المرء الاعتناء بنفسه، وفي حالة حدوث مضاعفات، يجب استشارة الطبيب فوراً، والذي سيقوم بالطبع بإعادة كل شيء إلى حالته الأفضل.

فضول الرجل هو شيء مختلف تماماً. إن رغبته في المعرفة ليس لديها أي نظائر شخصية فهي موضوعية بحتة وعلى المدى الطويل تكون عملية أكثر بكثير من موقف المرأة، فلا يحتاج المرء إلا إلى مشاهدة رجل يمر في موقع بناء حيث يتم استخدام آلة تم تطويرها حديثاً على سبيل المثال نوع جديد من الحفارات. لا يكاد يوجد رجل -بغض النظر عن وضعه الاجتماعي -سوف يمر دون أن يلقي نظرة عليها. سيتوقف الكثيرون لإلقاء نظرة جيدة ومناقشة خصائص الآلة الجديدة، ومزاياها وعيوبها، واختلافاتها عن النماذج السابقة. لن تفكر المرأة مطلقًا في التوقف في موقع بناء ما لم يكن الحشد كبيراً بطبيعة الحال لدرجة أنها ستظن أنها قد تفوت شيئا مثيراً ("عامل بناء سحقته الجرافة"). في هذه الحالة ستطالب بمعرفة كل التفاصيل ثم تنظر في الاتجاه الآخر! فضول الرجل عالمي، لا يوجد تقريباً شيء لا يهمه سواء كان ذلك في السياسة أو علم النبات أو الفيزياء النووية أو يعلم الله ماذا أيضاً. حتى الموضوعات التي خارج ميدانه تسترعي اهتمامه مثل تعبئة الفاكهة أو تحضير خليط الكعك أو رعاية طفل! والرجل لا يمكن أن يكون حاملاً لمدة تسعة أشهر دون معرفة جميع وظائف المشيمة والمبيض، لا يراقب الرجال العالم من حولهم فحسب بل يقومون أيضاً بطبيعتهم بإجراء مقارنات وتطبيق المعرفة التي اكتسبوها في أماكن أخرى بهدف أقصى وهو تحويل هذه المعرفة المكتشفة حديثاً إلى شيء آخر، شيء جديد؛ لا يحتاج المرء إلى التأكيد على حقيقة أن جميع الاختراعات والاكتشافات في هذا العالم قد صنعها رجال، ليس فقط في مجالات الكهرباء، والديناميكا الهوائية، وأمراض النساء، وعلم التحكم الآلي، والرياضيات، وميكانيكا الكم، وعلم السوائل المتحركة، وأصل الأنواع.

بالإضافة إلى ذلك، ابتكر الرجال مبادئ علم نفس الطفل وتغذية الرضع، وكذلك البسترة وغيرها من وسائل الحفاظ على الطعام. حتى التغييرات في الموضة النسائية أو غيرها من المسائل التافهة مثل إنشاء قوائم طعام جديدة والفروق الدقيقة في شكل الحنك هي تقليدياً ميدان الرجال. إذا كان أحد يرغب في وليمة طعام مميزة، عموماً لن يحصل عليها في المنزل بل في مطعم حيث بالطبع سيكون الطاهي من الذكور. إن حاسة الذوق لدى المرأة بليدة وميتة بسبب التحضير المتكرر للطبخ اليومي الخالي من الابتكار والذي لا طعم له وحتى لو أرادت تجربة أطعمة جديدة، فإنها لن تكون قادرة على ذلك، لا توجد أنثى خبيرة بالطعام وذواقة، النساء لا يصلحن لشيء تقريباً. بمزاياه العديدة يبدو أن الرجل مناسب بشكل

مثالي عقلياً وجسدياً ليعيش حياة حرة ومليئة بالإنجازات. بدلاً من ذلك اختار أن يصبح عبداً واضعاً اكتشافاته العديدة في خدمة أولئك -غير قادرين- على الابتكار بأنفسهم -في خدمة «الجنس البشري» الذي هو المرادف الذي وضعه الرجل نفسه للنساء، وأطفال هؤلاء النساء. يا لها من مفارقة أن هذا الجنس بالذات القادر على أن يعيش حياة مثالية تقريباً قدر الإمكان مستعد للتخلي عنها لتقديم كل شيء للجنس الأنثوي الذي لا يهتم بمثل هذا الكمال! لقد اعتدنا على الآلية الفظة المتمثلة في الاستغلال المتحيز لمجموعة من البشر من قبل زمرة طفيلية بحيث أصبحت كل قيمنا الأخلاقية منحرفة تماماً. دون التفكير في الأمر حقاً نحن نعتبر جنس الذكور نوعاً ما مثل سيزيف «الذي هو رمز العذاب الأبدي»: لقد جاء إلى العالم للتعلم والعمل وليكون أباً لأطفاله: سوف يتعلم أبناؤه، بدورهم، العمل وإنتاج الأطفال. وهكذا سيستمر الأمر إلى الأبد؛ أصبح من المستحيل تقريباً التفكير في سبب آخر لوجود الرجال هنا، إذا تزوج شاب، وبدأ في تكوين أسرة، وقضى بقية حياته في العمل في وظيفة متلفة للروح، فإنه يعتبر مثالاً للفضيلة والمسؤولية.



لوحة لسيسفوس رسمه تيتيان

سيزيف أو **سيسيفوس** كان أحد أكثر الشخصيات مكراً بحسب الميثولوجيا الإغريقية، حيث استطاع أن يخدع إله الموت ثاناتوس مما أغضب كبير الآلهة زيوس، فعاقبه بأن يحمل صخرة من أسفل الجبل إلى أعلاه، فإذا وصل القمة تدحرجت إلى الوادي، فيعود إلى رفعها إلى القمة، ويظل هكذا حتى الأبد، فأصبح رمز العذاب الأبدي.

النوع الآخر من الرجال، الذي يعيش فقط من أجل نفسه، يعمل فقط من أجل نفسه، يقوم بشيء ما أولا ثم يقوم بشيء آخر لأنه ببساطة يستمتع به ولأنه يجب أن يحتفظ بنفسه فقط، ينام أين ومتى شاء، ويواجه المرأة عندما يلتقي بها، كنظير لها وليس كواحد من أصل مليون عبد لها، هذا الشخص مرفوض من قبل المجتمع؛ الرجل الحر غير المقيد لا مكان له في الوسط. كم هو محبط أن نرى الرجال، عاماً بعد عام، يخونون كل ما ولدوا لأجله. يمكن اكتشاف عوالم جديدة، عوالم لا يكاد يجرؤ أحدنا حتى على أن يحلم بها، بواسطة عقول الرجال وقوتهم وذكائهم.

الأشياء التي تجعل الحياة أكمل وأكثر ثراءً – والتي هي أشياء تجهلها النساء – وقابلة للتطوير بشكل أكثر جدوى: كل هذه الأشياء يمكن أن يقوم بها الرجال. بدلاً من ذلك، هم يتخلون عن كل هذه الإمكانات الهائلة ويسمحون لعقولهم وأجسادهم أن يتم تحويلها إلى مسارات جانبية لخدمة الاحتياجات البدائية البغيضة للمرأة. الرجل لديه مفتاح لكل لغز في الكون في يديه، لكنه يتجاهل ذلك، يدني نفسه إلى مستوى المرأة ويكرس نفسه لصالحها، بعقله وقوته وخياله، التي كان الهدف منها خلق عوالم جديدة، يختار بدلاً من ذلك الحفاظ على القديم وتحسينه. وإذا حدث أن يخترع شيئاً جديداً، فيجب عليه أن يسبقه بحجة أنه سيكون مفيداً في يوم من الأيام «للبشرية جمعاء»، أي للنساء. يعتذر عن إنجازاته، للقيام برحلات فضائية بدلاً من توفير المزيد من وسائل الراحة لزوجته وأطفاله، يتمثل الجانب الأكثر إرهاقاً في التقدم التكنولوجي في الحاجة إلى ترجمته من أجل الإعلانات التلفزيونية إلى لغة أنثوية تتألف من قصص الأطفال وكلام الحب الجميل، يتوسل الرجل إلى المرأة كي تتحلى بالصبر معه ومع اكتشافاته، أو على الأقل كي تشتريها. يبين افتقار النساء الواضح إلى الخيال أنه ليس لديهن حاجة مسبقة لاختراعات جديدة فلو كان الأمر كذلك، فسيخترعن الأشياء في كثير من الأحيان بأنفسهن.

نحن معتادون على قيام الرجال بكل شيء مع النساء من وجهة نظر أن أي شيء آخر هو أمر غير وارد! على سبيل المثال، ألا يستطيع الملحنون ابتكار شيء ما عدا أغاني الحب (التبعية)؟ ألا يستطيع الكُتاب التخلي عن رواياتهم الرومانسية وقصائد الحب (التبعية) ومحاولة كتابة الأدب؟ هل يمكن للرسامين رسم العراة فقط وملامح النساء، مجردة أو واقعية؟ لماذا لا يمكننا الحصول على شيء جديد بعد كل هذا الوقت، شيء لم نره من قبل؟ يجب أن يكون من الممكن حقاً أن ينسى العلماء تكريس أعمالهم لزوجاتهم؛ لأنهن على أي

حال، لن يتمكن أبداً من فهمها. متى سيأتي الوقت الذي لن تعود فيه الأفلام التجريبية مُثقلة بالأجساد الأنثوية المثيرة، عندما لا تعود التقارير الإخبارية المتعلقة بالسفر إلى الفضاء بحاجة لأن تمتلئ بمقابلات مع زوجات رواد الفضاء؟ حتى رواد الفضاء أنفسهم قد يتوقفون عن تشغيل أغاني الحب (التبعية) لهم أثناء رحلاتهم بين الكواكب. ليس لدينا أي فكرة على الإطلاق عما سيكون عليه العالم إذا استخدم الرجال ذكائهم وخيالهم بدلاً من إهدارهما. يُعد اختراع طناجر الضغط التي تطهو بسرعة أكبر، السجاد من الجدار إلى الجدار والأكثر مقاومة للبقع، والمنظفات التي تجعل البياض ناصعاً، وأحمر الشفاه الأكثر مقاومة للماء مضيعة للوقت. بدلاً من إنجاب الأطفال الذين سينجبون بدورهم أطفالًا، وبالتالي يدفعون متع الحياة بعيداً عن متناول أيديهم، يجب أن يحاولوا العيش هم أنفسهم. بدلاً من الغوص في عمق النفس الأنثوية «الغامضة» - «الغامضة» فقط لأنه لا يوجد شيء وراءها -يجب أن يدرسوا أنفسهم، ربما حتى يدرسوا تلك المخلوقات التي تسكن كواكب أخرى، يفكروا في طرق ووسائل جديدة لإقامة اتصال معهم. بدلاً من اختراع أسلحة فتاكة لخوض حروب مصيرها فقط الدفاع عن الممتلكات الخاصة أي ممتلكات النساء، يجب أن يطوروا أساليب أكثر فاعلية للسفر عبر الفضاء -سفر يخبرنا بالمزيد عن عوالم لم نحلم بها أبداً... لسوء الحظ، فإن الرجال القادرين والمستعدين للعمل والتفكير في كل مجال آخر من مجالات البحث قد أعلنوا أن كل شيء يتعلق بالمرأة هو من المحرمات. وأسوأ من ذلك هو أن هذه المحرمات كانت دائماً فعالة لدرجة أننا لم نعد نعتبرها كذلك، حروب النساء، وأطفال النساء، والمدن النسائية -كل هذه أشياء مصنوعة من قبل الرجال. وتجلس النساء فقط ليصبحن أكثر كسلاً وحماقةً وأكثر تطلباً -وفي الوقت نفسه أكثر ثراءً.

إن النظام بدائي ولكنه فعال لبوليصة التأمين[٢]، بوليصات للزواج والطلاق والميراث والترمل والشيخوخة والحياة لتضمن هذه الثروة المتزايدة. على سبيل المثال في الولايات المتحدة نصف إجمالي رأس المال الخاص في أيدي النساء ومع ذلك انخفض عدد النساء العاملات باستمرار خلال العقود الماضية. الوضع لا يختلف كثيراً في أوروبا الصناعية، في هذا الوقت تتمتع النساء بالفعل بالسيطرة النفسية الكاملة على الرجال، لن يمر وقت طويل قبل أن يكون لديهن السيطرة المادية كذلك. يبدو أن الرجال غير مدركين لهذه الحقائق ويستمرون في العثور على السعادة في إخضاعهم. يمكن أن يكون هناك مبرر لموقفهم فقط إذا

(٢) بيان يعطي لصاحبه الحق في طلب التعويض أو صرفه من شركة التأمين، شيء مشابه لمعنى «كمبيالة».

كانت المرأة هي حقاً المخلوقة اللطيفة والرائعة التي يعتقد الرجال أنها هي: أميرة خرافية، ملائكة من عالم آخر، جيدة جداً لأن تكون للرجال أنفسهم أو أن تكون في هذا الوجود الأرضي، إنه أمر لا يصدق أن الرجال، الذين لا حدود لرغباتهم المعرفية في كل المجالات الأخرى، يكونون بالفعل عمياناً تماماً عن هذه الحقائق وأنهم غير قادرين على رؤية النساء على حقيقتهن: بلا أي شيء يقدمنه سوى أجسادهن. إنهن لسن أكثر من تكتلات للمادة، كتل من الجلد البشري المحشو تتظاهر بأنها إنسان يفكر. إذا توقف الرجال فقط لفترة من الزمن عن إبداعهم وفكروا يمكنهم بسهولة تمزيق الأقنعة عن وجوه هذه المخلوقات مع أساورهن الرنانة، والبلوزات الرقيقة، والصنادل الجلدية الذهبية.

من المؤكد أن الأمر سيستغرق منهم يومين فقط، مع الأخذ بعين الاعتبار ذكائهم وخيالهم وتصميمهم لبناء آلة كنوع من الروبوتات البشرية لتحل محل المرأة. لأنه لا يوجد شيء أصيل فيها -لا في الداخل ولا في الخارج -لا يمكن استبداله. لماذا يخاف الرجال من مواجهة الحقيقة؟!

المرأة-إلهية عن طريق حقها في الغباء

المستعبدون فقط، هم من يملك أي حاجة حقيقية للحرية، ولكن بمجرد أن يصبحوا أحراراً - وشريطة أن يكون لديهم الذكاء لوزن حريتهم مقابل العواقب المحتملة -فإن هذه الحاجة تتغير. يرجع التوق السابق للحرية إلى شعور بالخوف يمازجه شوق شديد لأن يكون الشخص مقيداً وآمناً. لا يكون الرجل حراً أبدا في السنوات الأولى من حياته إنه محكوم بقواعد الكبار، ولأنه لا يتمتع بأي خبرة في السلوك الاجتماعي لإرشاده، فهو يعتمد على هذه القواعد كلياً ونتيجة لذلك، يصبح في داخله رغبة شديدة للحرية ويشعر أن فيه مطلب ماس ليهرب من سجنه في أول فرصة سانحة. بمجرد أن يصبح الإنسان حراً، وإذا صادف أن يكون هذا الإنسان غبياً إلى حد ما (والنساء غبيات)، فسيكون سعيداً جداً بحريته ويحاول الاحتفاظ بها، نظراً لأن الإنسان الغبي غير قادر على التفكير المجرد، فهو لن يشعر أبداً بالحاجة إلى ترك منطقته المألوفة وبالتالي لن يخشى أبداً من أن وجوده بحد ذاته عرضةً للتهديد. إنه لا يخاف الموت لأنه لا يستطيع أن يتخيله، ليست هناك حاجة لإيجاد معنى أو سبب للحياة: تتحقق رغباته في وسائل راحته الشخصية، وتوفر هذه الوسائل سبباً كافياً للعيش، حتى الحاجة إلى الدّين غير معروفة نسبياً بالنسبة لشخص ذي ذكاء متدنٍ، وإذا ظهرت لديه هذه الحاجة، فإنه يتم إرضاؤها بسهولة شديدة. الشخص الغبي لديه قدرة غير متناهية على العشق الذاتي، إذا اختارت المرأة أن تؤمن بالله، فهذا لسبب واحد فقط: إنها تريد أن تذهب إلى الجنة.

الوضع بالنسبة للشخص الذكي: أي الرجل مختلف جداً، كيف ذلك؟ في البداية هو يرحب بحريته المكتشفة حديثاً بشعور من الراحة، ثملا برؤيته ومنظوره للحياة الماثلين أمام ناظريه، ولكن في اللحظة التي يضع فيها هذه الحرية قيد الاختبار، أي بمجرد رغبته في ارتكاب فعل معين قد يرسله في اتجاه معين، فإنه يخاف: نظراً لأنه قادر على التفكير المجرد، فإنه يعلم أن كلاً من أفعاله لها سلسلة من العواقب المحتملة، التي لا يمكن التنبؤ بها كلها. إذا قرر التصرف بناءً على إرادته الحرة، فستكون المسؤولية على عاتقه وحده، في تلك اللحظة سيكون من دواعي سرور الإنسان أن يكف عن كل أفعاله، لكن لأنه رجل

ولأن قدر الرجل هو أن يتصرف، يبدأ في التوق إلى قواعد طفولته، يتوق لشخص يخبره بما يجب القيام به، لإعطاء معنى لأفعاله الفارغة التي لا معنى لها الآن.

هذه الأفعال لا معنى لها لأنها تخدم راحته، ولكن ماذا يخدم هو؟ عند هذه النقطة سينقب عن معبود جديد، معبود يحل محله والدته، التي هي إله طفولته. في اللحظة التي يجدها فيها يصبح عبدها الذليل، وإن كان يملك حرية الاختيار، فإن الإنسان يفضل بالطبع أن يكون الإله قوياً وعادلًا وحكيماً وعليماً بكل شيء -مثل إله المسيحيين واليهود والمحمديين[٣]. لكن بما أنه كائن ذكي، فهو يعلم أن مثل هذا الإله لا يمكن أن يوجد، وأن كل شخص بالغ بحكم تعريفه هو إله نفسه الخاص الذي يجب عليه وضع قواعده الخاصة، يجب أن يرضي كل شخص بالغ، أي كل رجل شغفه بعدم الحرية، الذي هو تراجع إلى نوع من التبعية الطفولية التي تمنحه السعادة، ويمكنه القيام بذلك فقط من خلال فرض قواعد (الآلهة) على نفسه، وهو ما يشرع في صنعه. عندما يخلق الإنسان القواعد فإنه يقارن دون وعي تجاربه مع تجارب الرجال الآخرين وبالعثور على شيء مشترك معهم فهو يستنتج التعميمات، ثم تتحول هذه «القواعد» إلى قوانين للسلوك «المعقول» في المستقبل (وبعبارة أخرى، قوانين تعود بالنفع على شخص آخر غيره) والتي سيخضع لها طواعية، فتصبح الأنظمة التي تم إنشاؤها بهذه الطريقة بشكل جماعي وفردي قابلة للتطبيق على نطاق أوسع، وسرعان ما تصبح معقدة لدرجة أن التفاصيل الفردية لا تعود قابلة للتمييز: إنها تحقق الاستقلالية وتصبح «قوانين إلهية». لا يمكن للمرء إلا أن يؤمن بهذه القوانين -تماماً كما يجب أن يكون الطفلُ قليلُ الخبرة مؤمناً بقواعد والديه التي يكون بعضها معقولاً وبعضها الآخر بلا معنى. إن المعارضة تهدد بالإقصاء من المجتمع وفقدان الأمن. تطورت الماركسية والإنسانية والعنصرية والقومية بهذه الطريقة، الرجل الذي تُلبى حاجته الشخصية للدين من خلال هذه النظم الكبيرة سيكون في مأمن نسبياً من الخضوع لحكم الفرد (المرأة). يفضل غالبية الرجال إخضاع أنفسهم لإله حصري، المرأة (ويسمون هذا الخضوع حباً). هذا النوع من الآلهة الشخصية لديه مؤهلات ممتازة لتلبية الاحتياجات الدينية. المرأة موجودة دائماً ونظراً إلى افتقارها للحاجة الدينية، فهي إلهية ومقدسة. وبما أن لديها مطالب مستمرة لا يشعر

---

(٣) يبدو أن الكاتبة ضمنت الاسم من كتابات المستشرقين و"يعني المسلمين، وهذا اللفظ يردد دائما على ألسنة الغلاة من المستشرقين؛ لأنهم يتصورون أن علاقة المسلمين بمحمد كعلاقة النصارى بعيسى عليهما السلام وهذا خطأ لأن الاسم الذي ارتضاه الحق جل وعلا للأمة هو اسم المسلمون) وكذلك يرفضون قول المحمدية. انظر: دفاع عن العقيدة والشريعة ص٨٩ الشيخ محمد الغزالي.

الرجل بأنه منبوذ. إنها تحرره من الآلهة الجماعية، الذين سيضطر إلى التنافس مع الآخرين لصالحهم. يثق بها لأنها تشبه والدته، آلهة طفولته، يتم إعطاء حياته الفارغة معنى مصطنعاً عبرها، لأنه يكرس كل أفعاله لراحتها ولاحقا لراحة أطفالها. كإلهة، هي لا تستطيع فقط أن تعاقبه (عن طريق سلبه إحساسه بالانتماء)، بل يمكنها أيضاً مكافأته (من خلال منحه المتعة الجنسية).

لكن أهم متطلبات ألوهية المرأة هو ميلها إلى التخفي وغباؤها. يجب على النظام إما أن يغمر أتباعه بحكمته الفائقة أو أن يشوشهم ويربكهم باستعصائه على فهمهم. بما أن الاحتمال الأول غير متاح للنساء، فإنهن يستفدن من الاحتمال الثاني. تنكّرهنَّ وتخفيهنَّ يجعلهنَّ تبدينَ غريبات وغامضات للرجال؛ أما غباؤهنّ يجعل التدقيق في أمرهنَّ مستعصياً. بينما يتجلى الذكاء في أعمال معقولة ومنطقية، مما يسمح بالقياس وإمكانية التنبؤ والتحكم، فإنَّ الغباء يتجلى في أعمال غير معقولة تماماً ولا يمكن التنبؤ بها ولا يمكن التحكم فيها، تتمتع النساء بالحماية عن طريق قناع الفخامة والأُبّهة والتصنع والغموض مثل البابا أو الديكتاتور: لا يمكن كشفهن وسوف يزدن من قوتهن دون عوائق، ويكتسبن القوة كلما تقدمن أكثر. في المقابل وطوال هذه المدة، يُضمن للرجل الآلهة التي يؤمن بها بعمق.

الإخضاع

للتأكد من أن سعادة الرجل في كونه خاضعاً مذعناً يتم تحقيقها من قبل «المرأة حصراً» وليس من قبل رجال آخرين أو من قبل نوع ما من الحيوانات، أو حتى من قبل أحد النظم الاجتماعية المذكورة أعلاه، يتم بناء سلسلة من التدريبات في حياة الرجل، التي تبدأ ممارستها في سن مبكرة جداً. من حسن حظ المرأة أن الرضيع الذكر يخضع لسلطانها القضائي لأنه من الأسهل تدريبه في حينها. ومن خلال عملية الاختيار الطبيعية، فإن النساء الأكثر ملائمة لتدريب الرجال هن النساء القادرات على إعادة إنتاج أنفسهن؛ الآخرون غير قادرين على إعادة إنتاج أنفسهم. إن مجرد اعتياد الرجل منذ سنواته الأولى على وجود النساء حوله، وأن يجد أن وجودهن «أمر طبيعي» وأن غيابهن «أمر غير طبيعي» يميل إلى جعله يعتمد على النساء في حياته اللاحقة. لكن هذه التبعية لن تكون خطيرة، لأن الحياة بدون النساء في هذه الحالة لا يعني أكثر من تغيير المشهد، تماماً مثلما قد يذهب شخص مولود في الجبال ليعيش في السهول: على الرغم من أنه قد يشعر بالحنين إلى موطنه في الجبل، فمن غير المرجح أن يعود إليه. أشياء أخرى تصبح أكثر أهمية في حياته، لن يكون من مصلحة النساء إذا ألهمن الرجال فقط بحنين رومانسي غامض، لا يشعرون به إلا في أيام الأحد أو عندما يكونون بعيدين عن المنزل، دون أي نتائج مباشرة. إنهن يحرصن على تدريب الرجل مباشرة لهدف معين: يجب عليه العمل ووضع ثمار عمله تحت تصرف المرأة! قامت المرأة بهذا الهدف من وجهة نظرها طوال تنشئة طفلها، وخلقت فيه سلسلة من ردود الفعل المكيفة التي تجعله يفعل كل شيء لتلبية احتياجاتها المادية. إنها تفعل ذلك عن طريق التلاعب به منذ السنة الأولى من حياته وبالتالي عندما يكمل تعليمه سيحكم الرجل على قيمته من خلال تقدير المرأة لمدى فائدته؛ سيكون سعيداً فقط عندما يكون قد حاز على الثناء وقدّم شيئاً ذا قيمة بالنسبة لها. يصل المرء لاعتقاد أن المرأة تصبح نوعاً من مقياس القيمة! في لحظة معينة يمكن للرجل الرجوع إليها والحكم على جدوى أو عدم جدوى أفعاله، إذا كان يقضي بعض الوقت على شيء لا قيمة له من وجهة نظر هذا المخطط ككرة القدم على سبيل المثال فسوف يبذل قصارى جهده للتعويض بسرعة عن هذه النقطة السلبية بزيادة نشاطه على الجانب الإيجابي من المقياس –وهذا ما يفسر عدم اعتراض النساء بشدة على كرة القدم أو غيرها من الألعاب الرياضية.

واحدة من أكثر العوامل المفيدة في تكييف الرجل هو الثناء. تأثيره أفضل وأكثر دواماً بكثير من الكلام والجنس لأنه قد يستمر طوال حياة الرجل. علاوة على ذلك إذا تم استعمال الثناء بالجرعة الصحيحة فلن تلجأ المرأة أبداً إلى التأنيب، فأي رجل معتاد على جرعة مشروطة من الثناء سوف يفسر غياب هذا الثناء على أنه استياء! يتمتع التدريب باستخدام الثناء بالمزايا التالية:

* يجعل هذا التدريب الشخص الذي هو «موضوع» الثناء خاضعاً وتابعاً (لكي يكون الثناء ذا قيمة، يجب أن يكون صادراً من مصدر أعلى، وبالتالي فإن «موضوع» الثناء يرفع من يمنحه الثناء إلى مستوى أعلى).

*إنه يخلق مدمنا (بدون مدح، لا يعود بإمكانه معرفة ما إذا كان شخصاً ذا قيمة وينسى القدرة على التماهي مع نفسه).

*إنه يزيد من إنتاجيته (لا يتم تحقيق الثناء بفعالية عظمى عند تحقيق الإنجازات نفسها، وإنما للإنجازات التي تكبر بشكل متزايد).

في اللحظة التي يكافأ فيها الطفل الذكر بابتسامة دافئة وذاك النوع المألوف من التشجيع الذي يكون في حديث البالغين مع الطفل لاستخدام صحنه الخاص وعدم تبليل فراشه، أو لشرب آخر قطرة في قارورته فإنه يقع في حلقة مفرغة شريرة. سيكرر الإجراءات التي تستدعي الثناء والمحبة، وإذا شعر في وقت ما أن إنجازاته لا يتم تقديرها، فسوف يفعل كل ما في وسعه لاستعادة ذلك! إن السعادة التي يشعر بها عند استعادة المديح تعطي فكرة بالفعل عن مقدار الإدمان، فخلال العامين الأولين من العمر، لا تميز الأم بين الأولاد والبنات، يتم إخضاع الرضيعة الأنثى إلى نفس الشكل من أشكال التلاعب حتى يتم استيعاب مبادئ النظافة، ولكن منذ تلك اللحظة يتبع تعليم كلا الجنسين مسارات مختلفة للغاية. كلما كبرت الفتاة أصبحت أكثر تشدداً في فن استغلال الآخرين، بينما يتم التلاعب بشكل متزايد بالفتى ليصبح هدفاً للاستغلال. تلعب الدمى دوراً هاماً في هذا التلاعب المبكر، ستحفز الأم أولاً المرح لدى أطفالها، ثم تستغله. سوف تحصل الطفلة على دمى تحتوي على جميع الأدوات اللازمة–عربات الأطفال وأسرّة الدمى وأطقم شاي مصغرة. سيتم منح الصبي كل شيء لم يكن لدى فتاة من قبل –مجموعات لعبة الميكانو

والقطارات الكهربائية وسيارات السباق المصغرة والطائرات. وهكذا تكون الفتاة مشروطة منذ البداية بالتماهي مع والدتها، لتلائم دور المرأة. يتم الثناء على الدمى أو تأنيبها كما تفعل الأم. إنها لعبة طفل بالنسبة لها أن تستوعب مبادئ القيادة، ويستند تعليم الفتاة، مثل تعليم الصبي، إلى الثناء، ولا يُقَدَّم لها إلا عندما تُجاري الدور الأنثوي، بحيث لا تريد أبدا أن تكون شيئاً سوى «أنثوية». ستكون مجموعة القيم المعيارية حتماً هي قيم المرأة إلى الأبد، حيث أن النساء فقط يمكنهن الحكم على مدى جودة دورهن الخاص (يتم تعليم الرجال أن دور المرأة أدنى، وبالتالي لا يوجد سبب للثناء على النساء).

يتم الإشادة دائماً بالطفل الذكر لكل شيء باستثناء اللعب مع بشر مصغّرين. إنه يبني السدود والجسور والقنوات النموذجية، ويفصل أجزاء سيارات الألعاب عن بعضها البعض ليرى كيف تعمل، ويطلق النار من مسدسات الألعاب، ويمارس على نطاق صغير كل الأشياء التي سيحتاجها لاحقاً في الحياة عندما يكون معيلاً للنساء. بحلول الوقت الذي يبلغ فيه سن المدرسة، يكون الولد العادي على دراية جيدة بالمبادئ الأساسية للميكانيكا والبيولوجيا والهندسة الكهربائية، وكلها قد تعلمها من التجربة الشخصية. يمكنه بناء أكواخ خشبية والدفاع عنها في حروب يتظاهر بأنها واقعية. كلما زاد عدد المبادرات التي أظهرها، زاد الثناء عليه. تريد المرأة منه أن يتطور إلى درجة يعرف فيها أكثر مما تعرفه هي. يجب أن تكون معرفته متفوقة على معرفتها هي في كل ما يتعلق بالعمل، إذ لا يمكن للمرأة أن تعيش بدون رجل. بالنسبة للمرأة، الرجل حقاً نوع من الآلات، ليس ذلك فقط بل هو آلة استثنائية أيضاً. إن المثل الأعلى لها، إذا استطاعت أن تحدده، سيكون روبوتاً قادراً على التفكير، وبرمجة نفسه، ومواصلة التطوير وابتكار مجموعة مثالية من الوظائف لتلبية متطلبات كل موقف جديد. (يعمل العلماء أيضاً على تطوير مثل هذه الروبوتات، التي ستعمل من أجلهم، وتتخذ القرارات لأجلهم، وتفكر لأجلهم، وتضع نتائج عملها تحت تصرفهم؛ لكن سيتم إنشاء هذه الروبوتات من مادة غير حية). قبل وقت طويل من أن يكون الرجل في وضع يسمح له باختيار طريقة حياته الخاصة، سيكون قد تكوَن لديه الإدمان الضروري للثناء. لن يكون سعيداً إلا عندما يجلب له عمله الثناء، ولأنه مدمن، ستزداد حاجته – وسيزداد معها نوع الإنجاز الذي تثني عليه امرأته كثيراً. بالطبع يمكن لرجل آخر أن يرضي هذه الحاجة عند الذكور لكن بما أن كل رجل يعمل بحماس لمصلحة إدمانه الخاص فهو لا يملك الوقت لمساعدة الآخرين.

في الواقع الرجل دوماً في حالة من التنافس المستمر مع رجال آخرين فهذا هو أحد الأسباب التي تجعله لا يضيع الوقت في الحصول على مادح خاص به، الذي سيكون مدحه هو حقه الحصري، وهو الشخص الذي سيكون دائماً في المنزل في انتظار أن يخبره كم هو في حال جيدة. من الواضح أن المرأة هي الأنسب لهذا الدور، ولكنها في الواقع كانت تستعد طوال حياتها لذلك في انتظار توليها هذا المنصب. من النادر أن يتمكن رجل، فناناً كان أو عالماً ناجحاً، على سبيل المثال، من التغلب على إدمانه بالقدر الذي يجعله يرضى بثناء رجل آخر. إذا فعل ذلك، يكون قد نجح في الفرار من النساء فقط – لا من التوق بحد ذاته. بمجرد أن يحقق مجال عمل معين نجاحاً وأمناً مالياً للرجل، فمن النادر أن يختبر قدراته في مجال آخر، في محاولة لإرضاء فضوله. قد يتم تخفيض ذخيرته من الثناء بشكل خطير، مثل ميرو مع تقنية النقاط والخطوط خاصته، يوهان شتراوس مع الفالس الخاص به، وتينيسي ويليامز مع مسرحياته عن النساء المضطربات عقلياً، سيتمسك بشدة بأسلوبه الناجح.. وخطر المحاولة بأن يكون هو مقياساً لنجاحه كبير جداً بالنسبة له لاتخاذه، فيميل المرء حتى إلى الاعتقاد بأنه لا يمكن أن يكون هناك شيء إيجابي للغاية بشأن ما يسمى بأسلوب الفنان الشخصي. خذ رجلاً مثل بيكيت، طيلة عشرين عاما أنتج سلسلة من النسخ المتماثلة لـمسرحيته Godot وبالتأكيد ليس من أجل المتعة. ففي النهاية، هو رجل ذكي. يتجنب المخاطرة بالطريقة التي يتجنب بها مدمن الكحول العلاج. ومع ذلك، إذا كان بإمكانه فقط أن يحرر نفسه من سلوكه المشروط، فمن المحتمل أن يقوم بشيء مختلف تماماً. ربما كان ليصمم طائرات –الهيكل القوي لمسرحياته يوحي بموهبة علمية –أو ربما كان ليزرع النباتات النادرة. قد يكتب ربما مرة واحدة فقط، كوميديا. من المؤكد أن الكثير من النجاح لا بد أن يزيل أعماق اليأس –ربما كوميديا ، حيث يتم دفن المرأة حتى خصرها في الأرض، باحثة عن فرشاة الأسنان، كما في الأيام السعيدة. قد تتحول حتى إلى نجاح مع الجمهور. لكن لا، المخاطرة كبيرة جداً بالنسبة إلى رجل يتم التلاعب به بعناية. الأفضل الاستمرار في الكتابة المسرحية حول سخافة الغريزة الحيوية –حينها، على الأقل، يمكن أن يكون متأكداً من حصوله على الثناء.

التلاعب بواسطة التَّحقير الذاتي

قد يقول الرجل الناقد أن النساء ليس لديهن احترام للذات، فلو كان لديهن لما كنّ اعترفن أبداً بهذا القدر المذهل من جهلهن بنفس السعادة التي يفعلن بها ذلك الآن؟ كيف ينسى الرجل بسهولة أن معاييره الخاصة بالشرف والكرامة والفخر تغرسها النساء فيه وأن الذكورة التي يفخر بها هي مجرد مؤشر على التلاعب الناجح! لا يعود الفضل له على الإطلاق. سيخبرنا أي كتاب عن علم النفس أن قدرة الطفل على تحقيق شيء ما تتعزز بشكل أفضل من خلال إعطاء هذا الطفل الثقة بالنفس. لكن هذا ليس شيئاً يمكن أن يكتسبه بنفسه، لقد ولد في مجتمع يجعله مقيداً بالحاجة للآخرين في كل شيء، مجتمع لا تكفي فيه صلاحياته للحصول على ما يريد دون مساعدة. لذلك، بما أن مصلحة المرأة الأولى واهتمامها تكمن في خلق شخص بالغ قادر ليس فقط على تأمين نفسه، ولكن تأمين الآخرين أيضاً، فهي أهمية قصوى أن تغرس الثقة بالنفس في هذا الشباب. إنها تبدأ بالتقليل من شأن أخطار الحياة -بقدر ما تدركها هي بنفسها. تجعله يغمض عينيه عن إمكانية الموت، أو تَعده بالحياة الأبدية كمكافأة لكونه شخصاً جيداً – بمعاييرها هي بالطبع. تحاول بأقصى ما تستطيع أن تعطيه شعوراً بالتفاؤل الغامض الذي من شأنه أن يجهزه لكي تتلاعب به – ويجهزه للحياة بشكل عام.

كما رأينا مسبقاً، يعدّ الثناء أحد أفضل الطرق لتحفيز الثقة بالنفس -وتعزيز الإنتاجية. هناك طريقة أخرى فعالة مثل: تحقير الذات من جانب المرأة، إذا لم تكن المرأة متفوقة على طفلها على الأقل في المراحل الأولى من نموه، فإن الجنس البشري سوف يفنى. الأم الجيدة ستبذل ما بوسعها لكيلا تدع هذه الحقيقة تعرقل نمو طفلها. إنها لا ترغب في قلب حيلتها عليها وإبقاء ولدها مرتبطاً بها لفترة أطول من اللازم. في أقرب وقت ممكن، ستحاول إعطاء الطفل الذكر إحساسًا بالتفوق عليها. هذا يمنحه تجربته الأولى من الثقة، قد تذهب أبعد من ذلك وتتظاهر عمداً بأنها أقل ذكاءً مما هي عليه، مما يمنحه فرصة البدء التي لن يخسرها أبدًا، هذا إذا أخذنا بعين الاعتبار أنه يكبر ليكون رجلًا لائقاً وهي ستهتم بذلك. بما أن قيمة المرأة في المجتمع لا تقاس بالذكاء ولكن بمعايير مختلفة تماماً (في الواقع، لا توجد معايير: الرجل يحتاجها، وهذا

يكفي، قد تكون غبية في المظهر أو في الواقع، كما يناسبها). شيء تشترك فيه النساء مع الأثرياء، من يهتم إن كانوا أذكياء، طالما أنهم أغنياء؟ لو كان لدى هنري فورد الثاني مثلاً قدرات فكرية محدودة، فلن يغير ذلك مكانته الاجتماعية. فقط سائقه لا يستطيع أن يكون غبياً. مثل المليونير يمكن للمرأة تحمّل أي خطر - ويمكن القول بحق أن جميع المخاطر التي تتحملها هي أشياء مؤكدة -دون إيذاء نفسها على الإطلاق. وبعبارة أخرى، يمكن للمرأة أن تكون غبية كما تريد أن تكون لأن الرجل -رغم غبائها-سوف يعتني بها ولن يتخلى عن رفقتها.

لا يمكن أن تكون صيغة المؤامرة الأنثوية هذه أكثر بساطة من «الرجولة العاملة ومن الأنوثة عدم القيام بأي شيء». والرجال محظوظين جداً لكونهم رجال! فهم شجعان وأحرار بينما النساء لضعف حالهن مرتبطات بالمنزل بسبب عبء الإنجاب. إنهن ببساطة، غير مخلوقات لأي نوع من العمل الثمين. الرجال على استعداد لتصديق هذه الخرافة حتى أنهم يشعرون بالرضا تجاهها لا يخطر لهم أبدا أن يفكروا أن الفيل قوي أيضاً -أقوى من الرجل على سبيل المثال. ومع ذلك، فإن الرجال أكثر ملاءمة للقيام بمعظم الوظائف من الفيل على الرغم من قوته، ومن المؤكد لن يعترف النساء بأنهن لا يقمن بأي شيء مقارنة بالرجال. إنهن يجدن باستمرار مهام صغيرة ويبقين مشغولات بها. تخبر زوجها ببساطة أن عملها لا قيمة له مقارنة بعمله وهي تشير إلى أن جميع الأعمال التافهة غير المجدية التي تنغمس فيها مثل الكي والخبز والعناية بالمنزل، جميع تلك الأعمال الصغيرة التي تستغرق يومها كله ضرورية لراحة العائلة. من المفترض أن يظن أنه محظوظ لأن لديه زوجة تؤدي هذه المهام الوضيعة من أجله! وبما أن الرجال ليسوا على دراية تامّة بأنّ النساء يستمتعن بالفعل بمثل هذه الأعمال، فإنهم يعتقدون بأنهم محظوظون.

عبر النساء يتم تصنيف كل شيء على أنه «ذكوري» أو «مؤنث» أو «يستحق» أو «لا يستحق» من خلال صبغ كل ما يفعلنه بقيم حسية وعاطفية لدرجة لا يمكن لأحد أن يظل غير متأثر بها، خلقت النساء لأنفسهن «كذبة الجنة». كل ما يفعلنه لا معنى له مقارنة بإنجازات الذكور ولأنهن يقلن ذلك بأنفسهن، فلماذا يجب على الرجال أن يجادلوهن؟ بطبيعة الحال إذا أراد الرجال حقًا الجدال، فيمكنهم تدمير هذا النسيج من الأكاذيب واستبدال مصطلح «الرجولي» و «المخنث» بمصطلح «الصعب» و«السهل» ولأن معظم الأعمال التي يقوم بها الرجال صعبة في حين أن الأعمال المنزلية سهلة دائماً فالآلات التي ابتكرها

الرجال لهذا الغرض يمكن بسهولة القيام بالعمل المنزلي لأسرة مكونة من أربعة أشخاص في ساعتين فقط كل صباح. أي شيء آخر تختار المرأة فعله بوقتها هو أمر غير ضروري ولتسليتها الخاصة ويخدمها في الحفاظ على رموز حالة الحماقة الخاصة بزمرتها (ستائر من الدانتيل، مشتل الزهور، تلميع برّاق): إذا كان هذا يسمى عملاً! فهو ليس أبرع من كذبة صفيقة مناسبة.

ثم إن الأعمال المنزلية يسيرة للغاية لدرجة تم استخدام المرضى الضعاف عقليا في العيادات النفسية الذين لا يرجى منهم تقديم عمل مناسب لتأديتها! وإذ اشتكت النساء من أنهن لا يتقاضين أجوراً إضافية مقابل هذا العمل (يطلبن القليل للغاية، من أجل أجور ميكانيكي السيارات!)، فهذا دليل آخر على مدى جاذبية هذا «العمل» لهن، علاوة على ذلك، فإن مثل هذه المطالب تعد قصيرة النظر، لأنها قد تؤدي ذات يوم إلى تقييم فعلي للنساء كقوة عاملة، بأجور متساوية. هذا من شأنه أن يكشف إلى أي مدى يعشنَ على حساب الرجل، بما يتجاوز إمكاناتهن، ومع ذلك، اعتاد الرجل على المصطلحات الأنثوية منذ الطفولة، وليس لديه الرغبة في تقويضها، يحتاج إلى الشعور بأنه قام بشيء عظيم عندما يدعم امرأة، ويحتاج أن يشعر أن المرأة لا تستطيع القيام بعمله بدون هذه القناعة، لأن رتابة حياته الخاصة ستقوده إلى الجنون عليه فقط أن يشعر لثانية واحدة أن المرأة تستطيع أن تقوم بعمله كما يستطيع هو وسوف يضاعف جهوده فوراً، ومن وقتٍ لآخر وكما تراه مناسبًا قد ترغب المرأة في خلق هذا الانطباع بحيث يتم الحفاظ على المسافة المعتادة بينه وبين الجنس «الأضعف» ويتم استعادة ثقته بنفسه. من السهل تحليل هذه الحلقة المفرغة: تخترع النساء القواعد ويتلاعبن بالرجال ليطيعوها وبذلك يسيطرن على الجنس الذكوري. بالتأكيد لا تنطبق هذه القواعد بأي حال على النساء أنفسهن، فعلى سبيل المثال، يعدّ الشعور بالشرف لدى الذكور نظاماً ابتكرته النساء اللّائي يعفين أنفسهن منه بصوت عالٍ. إنهن يتخلين عن مفهوم الشرف، وبالنتيجة يتلاعبن بالرجال. في سلسلة تلفزيونية حديثة، ***The Avengers***، أو «المنتقمون»، كان هناك مشهد يواجه فيه خصمان بعضهما البعض عبر طاولة البلياردو، وكان هناك مسدس أمام كل منهما تم الاتفاق على أنه لمنح كليهما فرصة متساوية، يجب عليهما العد بصوت عالٍ إلى ثلاثة ثم يطلقان النار، بيد أن البطل أمسك بمسدسه وأطلق النار عندما وصل العد إلى اثنين مما أنقذ حياته، لقد اختار البقاء خارج النظام وبالتالي كان

في وضع يسمح له بالتلاعب بالآخر الذي فضّل –رغم أنه في خطر محدق –التمسك بالنظام الذي وافق عليه المجتمع بدلاً من استخدام أحكامه الخاصة.

قس على ذلك كيف تجعل المرأة عملها يبدو مهينًا ومنحطاً، تستدرج المرأة الرجل إلى النقطة التي سيتولى فيها جميع المهام الأخرى: بمعنى آخر، كل ما لا تريد القيام به.

بعد كل شيء هي كانت هناك أولاً كأمٍ له لذلك لديها الخيار الأول. يفقد الرجل احترامه لذاته ويشعر بأنه عديم الجدوى إذا اضطر إلى القيام «بعمل المرأة». في الواقع، كثير من الرجال غير متقنين ورعناء للعمل المنزلي، وتحبهم النساء لذلك. هذه الحماقة ذكورية بشكل رائع! إذا كان الرجل قادراً على خياطة أزراره –وفَعل ذلك –فهو في الحقيقة ليس رجلًا «مناسباً» على الإطلاق، يجب أن يكون هناك خطب ما إذا دفع المكنسة الكهربائية في جميع أنحاء المنزل، هذه المعتقدات تمكّن الرجل من وضع نفسه تحت وصاية المرأة؛ يثق بنفسه لإنجاز أي شيء تقريباً باستثناء جعل الحساء لائقاً ولذا فهو يسمح لنفسه أن يكون بعيداً عن مكان العمل الأكثر تعقيداً في العالم دون شكوى، فقط قدر معين من التلاعب وعندما لا يعود هناك أي خطر هل يُسمح له أن يمدّ يده في المنزل؟! مع ذلك دائماً ما تصدر المرأة أوامر صارمة لأنه في الحقيقة لا يفهم مثل هذه الأشياء. سيشعر دائماً بالإهانة الغامضة بسبب عمل من هذا النوع، وبالتالي لن يلاحظ أبداً كم هو مقبول عمله. لتجنب الاضطرار إلى بذل جهد، كل ما على المرأة فعله هو أن تتنهد وتشير إلى أنها «كامرأة» ببساطة غير قادرة على أداء المهمة، إذا لّمحت مجرد تلميحات إلى رجل ويفضّل أن يكون هناك شهود حاضرون بأنه يقود سيارته أفضل بكثير مما تفعل هي فقد وجدت لنفسها سائقاً مدى الحياة. انظر لطرق السريع–فهي مليئة بالنساء اللواتي يقود سياراتهن السائق الخاص بهن–أزواجهن– ستقول المرأة أنها لا تستطيع «كامرأة» الذهاب إلى مقهى أو مسرح أو مطعم بمفردها، لا يوجد أي تفسير منطقي لذلك: لأنه يتم تقديم خدمة جيدة أو سيئة على حد سواء للمرأة سواء كانت بمفردها أو برفقة الرجال. وإذا كانت لا تريد أن تتم مخاطبتها فلماذا ترتدي ملابساً تجعلها بارزة للغاية؟! لا بدلاً من ذلك، ستحصل لنفسها على خادم يقودها إلى المدخل كما لو كانت من العائلة الملكية ويقاتل من أجل طاولة ويطلب عشاءها ويسلّيها ويدفع الفاتورة في النهاية، عندما تدّعي امرأة أن السياسة يصعب عليها فهمها سيكون هناك دائماً رجل مستعد للانكباب على الصحف ودراسة المجلات السياسية والاستماع إلى

مناقشات تلفزيونية مطولة وغربلة نظريات الرجال الآخرين وترقّبوه عندما يحين وقت التصويت يقدم لها رأيه، لذلك تصبح مسلحةً باستنتاجه فيما يتعلق بما هو أفضل لموقفه وبالتالي موقفها أيضاً في الحياة فتذهب للتصويت لاختياره، بهذه الطريقة فإن نتيجة الانتخابات ليست في خطر، البديل قد يعني نهاية رفاهيتها الشخصية. على الرغم من أنها قد لا تفهم ماهية السياسة إلّا أنها داهية بما يكفي لتدرك ذلك.

واحدة من أروع نتائج هذا التلاعب من خلال التحقير الذاتي هي الحياة التي تعيشها المرأة الثرية اليوم، تعيش بشكل مريح في منزل مزرعة في الضواحي، محاطة بالأطفال والكلاب والنساء الأخريات وبكل أنواع الأجهزة الممكنة لتسهيل العمل، مجهزة بأجهزة تلفزيون وسيارات ثانية، وستخبر زوجها الذي هو ربّما محامٍ أو رجل أعمال كم هو رجل محظوظ وكم هي الحياة التي يعيشها سعيدة ومليئة بالإنجازات بينما هي «كامرأة» مقيّدة بأن تعيش حياة غير لائقة بإنسان: تقول هذا للرجل الذي دفع ثمن كل تلك القمامة بحياته وهو يصدّقها!!

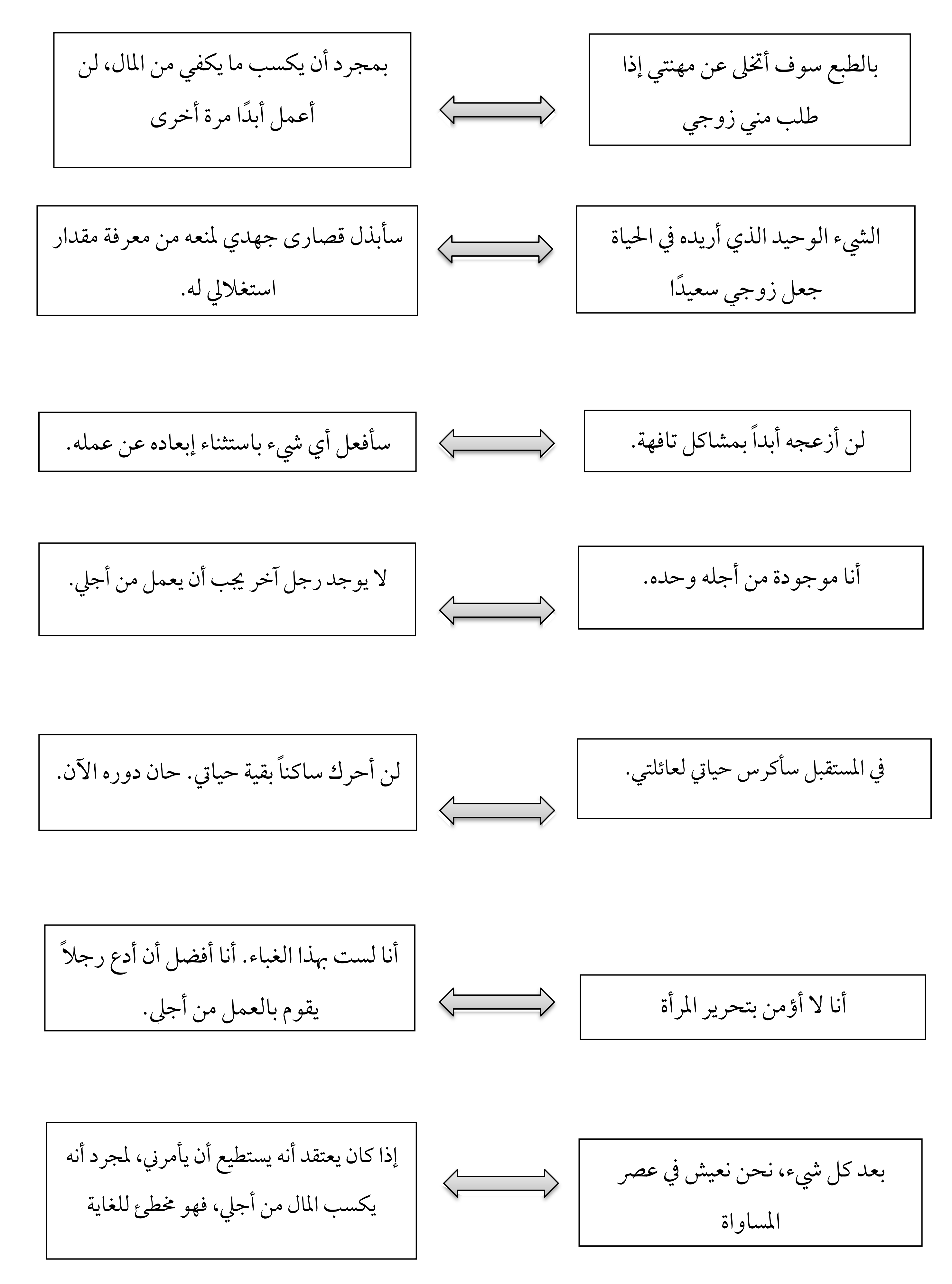
في الكتاب المقدس يقال أنّ حواء خُلقت من ضلع آدم. إنها نسخة وبالتالي فهي من الأنواع الحيّة ذات الترتيب الأدنى: وهذا مثال آخر على التلاعب من خلال تحقير الذات، وهل يمكن لأي شخص أن يشك في أنه في مرحلة ما من التاريخ اخترعت امرأة هذه القصة؟ هي نفسها لم تكتبها قام رجل بهذا من أجلها لأن قدرتها على الكتابة هي مهارة حديثة نسبياً.

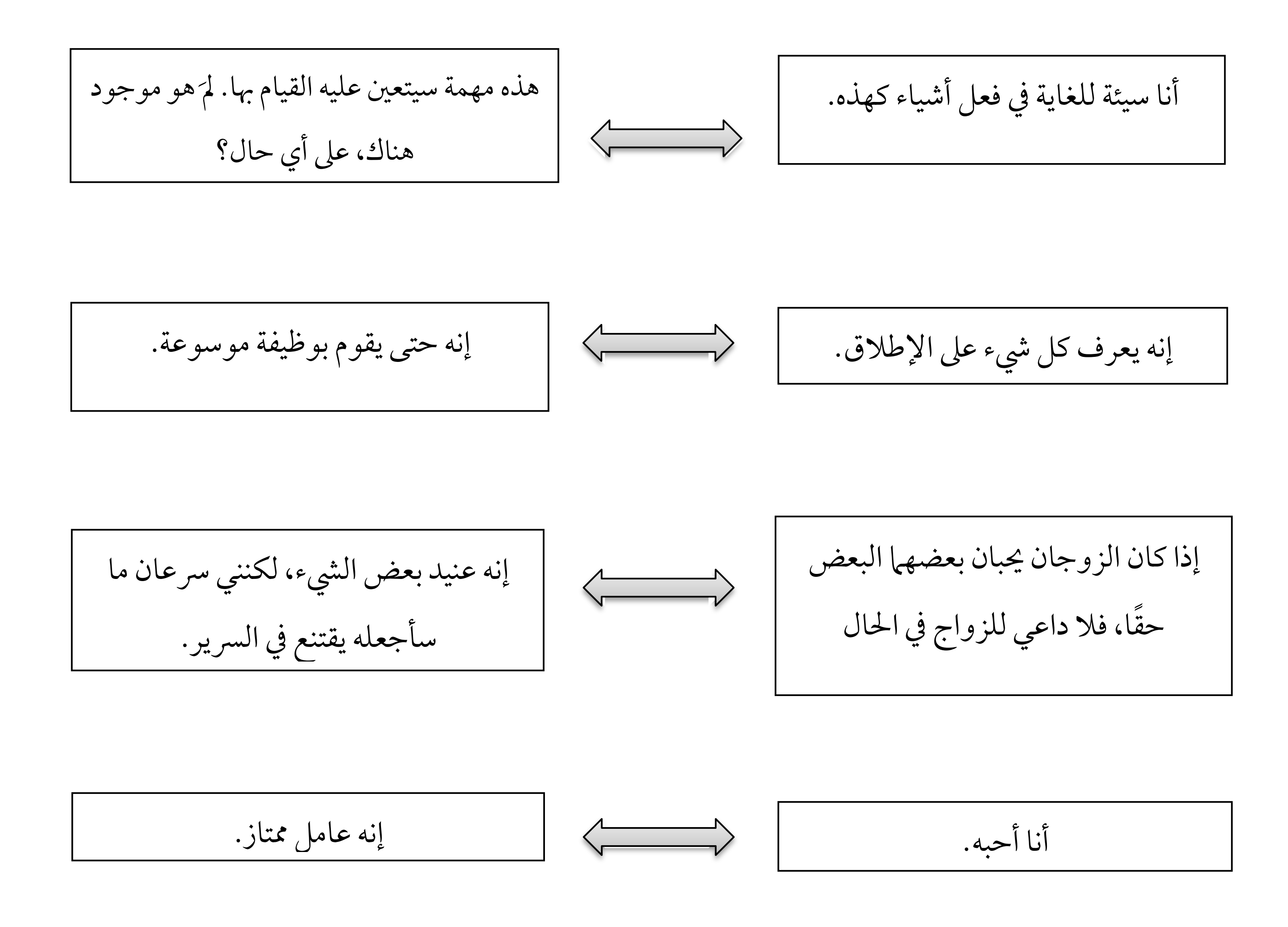
قاموس

لقد أدى التحقير الذاتي في حضور الرجال إلى قيام النساء بتطوير لغة سرية تفهمها النساء الأخريات ولكنها غير مفهومة لدى الرجال حيث أنّهم يأخذون المعاني حرفياً. وبالتالي سيكون من المزايا الكبرى للرجال الاحتفاظ بمفتاح إلى هذا الرمز وابتكار نوع من القاموس لأنفسهم. بعد ذلك كلما سمعوا عبارة قياسية يمكنهم فك رموز معناها الحقيقي.

وفيما يلي بعض الأمثلة مع ترجمة إلى اللغة الذّكورية:

الشيفرة		فك التشفير
يجب أن يكون الرجل قادراً على حمايتي	⟺	يجب أن يكون الرجل قادرًا على إعفائي من جميع أشكال الإزعاج. (ما الذي يمكن أن يحميها منه؟ لصوص؟ قنبلة ذرية؟)
يجب أن أكون قادرةً على احترام رجل	⟺	لكي يكون مرشحًا محتملاً كزوج، يجب أن يكون أكثر ذكاءً ومسؤوليةً وشجاعةً ودؤوبًا وأقوى مني. وإلا، ما الهدف الذي سيخدمه؟
أحتاج إلى رجل يشعرني بالأمان	⟺	قبل كل شيء، يجب عليه أن يحتفظ بالقلق على ماله لنفسه.


بالطبع سوف أتخلى عن مهنتي إذا طلب مني زوجي
بمجرد أن يكسب ما يكفي من المال، لن أعمل أبدًا مرة أخرى
الشيء الوحيد الذي أريده في الحياة جعل زوجي سعيدًا
سأبذل قصارى جهدي لمنعه من معرفة مقدار استغلالي له.
لن أزعجه أبداً بمشاكل تافهة.
سأفعل أي شيء باستثناء إبعاده عن عمله.
أنا موجودة من أجله وحده.
لا يوجد رجل آخر يجب أن يعمل من أجلي.
في المستقبل سأكرس حياتي لعائلتي.
لن أحرك ساكناً بقية حياتي. حان دوره الآن.
أنا لا أؤمن بتحرير المرأة
أنا لست بهذا الغباء. أنا أفضل أن أدع رجلاً يقوم بالعمل من أجلي.
بعد كل شيء، نحن نعيش في عصر المساواة
إذا كان يعتقد أنه يستطيع أن يأمرني، لمجرد أنه يكسب المال من أجلي، فهو مخطئ للغاية



بالطبع لا تستخدم المرأة عبارات مثل هذه إلا عندما يكون هناك رجل حولها لسماعها. عندما تكون بصحبة نساء أخريات تتحدث النساء عن رجالهن بشكل طبيعي كما لو كن يتحدثن عن جهاز منزلي! يعرف الجميع أنه عملي على أي حال. إذا قالت امرأة: «لقد قررت أن أتخلى عن ارتداء هذا المعطف -أو تلك القبعة -لأن صديقي لا يحب ذلك»، فهذا يعني حقًا: «قد أفعل هذا المعروف من أجله، إنه يفعل كل ما أريده منه على أية حال».

عندما تكون النساء مجتمعات يناقشن الصفات المرغوبة لرجل معين لن تعلن هؤلاء النساء أبدًا عن رغبتهن في شخص يحترمنه، شخص سيحميهن. سيتم الترحيب بمثل هذا الكلام الفارغ بالضحك

الساحر الذي يستحقه. من المرجح أن يتحدثن عن رجل لديه مثل هذه الوظيفة أو تلك: الوظائف مرادفة لمستوى الدخل، ومعاشات الكهولة وهبات الأرامل، والقدرة على دفع أقساط كبيرة للتأمين على الحياة أو ربما تقول امرأة: «الرجل الذي سأتزوجه يجب أن يكون أكبر مني سناً بقليل، أطول مني بقليل أيضاً وأكثر ذكاءً». مما يعني أنه يبدو «طبيعياً» إلى حد ما، لرجل أقوى وأكثر ذكاء وأكبر سناً أن يعتني بمخلوق أصغر سناً وأضعف وأكثر غباءً.

النساء ليس لديهن مشاعر

لدى المرأة العديد من الطرق الرائعة للتلاعب بالرجل، لكن إدراجها جميعاً هنا أمر مستحيل. يكفي أن نلقي نظرة عن كثب إلى طريقتين غير ضارتين نسبياً: «الأخلاق الحميدة» للرجل و «قمع عواطفه». أي رجل يرغب في النجاح مع النساء -وهل هناك رجل لا يرغب في ذلك؟ - يجب أن يكتسب مجموعة متنوعة من المؤهلات، إضافةً إلى الذكاء والطموح والمثابرة يجب عليه أن يعرف بالضبط كيف يتصرف في حضرة المرأة.

بوجود هذا الهدف نُصبَ أعينهن صاغت النساء معايير معينة تسمى «الأخلاق الحميدة». القاعدة في الأساس هي أن أي رجل لديه شعور باحترام الذات يجب عليه في جميع الأوقات أن يعامل المرأة كالملكة، وبالمثل يجب على المرأة التي تحترم نفسها في جميع الأوقات أن تمنح الرجل كل فرصة ممكنة لمعاملتها كملكة؛ تتزوج المرأة من رجل لأنه ببساطة ثري. ولكن إذا كانت مخيرة بين رجلين ثريين، أحدهما ذو أخلاق والآخر دونها، فسوف تختار الرجل الذي يملكها، لأنه إذا أتقن الرجل القواعد التي تحكم الأخلاق الحميدة فقد تكون المرأة على يقين من أنه لن يتساءل أبدًا في أي وقت عن قيمتها المثالية كامرأة، الأمر الذي كان الرجل ملزماً منذ فترة طويلة باحترامه حتى بعد توقفها عن اجتذابه إليها. يقول علماء النفس: أن السعادة تأتي بالضحك والإيمان بالصلاة. هذا صحيح ولكن فقط للرجال. إذا كان يعامل المرأة ككائن متفوق فسوف تصبح كائنًا متفوقاً بالنسبة له، النساء أكثر موهبة في التمييز بين الواقع والخيال على عكس أساليب التلاعب الأخرى فإن الأخلاق الحميدة ليست ناتجة عن أشكال مشروطة من السلوك التي تستند إلى الدافع النفسي العميق. يتم تعليم الأطفال «التصرف» في وقت متأخر نسبيًا، ومن السهل التعرف على الأخلاق كشكل من أشكال الاستغلال التي تستعملها المرأة، إنه لغز حقاً أن نعرف لماذا حتى اليوم لا تزال هذه الحِيل القديمة ناجحة. تعتبر النصيحة التي تقدمها الأم لابنها المراهق في موعده الغرامي الأول مثالاً جيدًا على وقاحة المرأة:

ادفع أجرة التاكسي، اخرج أولاً، افتح الباب الذي من جهة الفتاة وساعدها على النزول، اعرض عليها الإمساك بذراعك عندما تصعدان الدرج، وإذا كان الدرج مزدحماً امشِ وراءها حتى تتمكن من الإمساك بها في حال تعثرت.

افتح باب البهو لها؛ ساعدها على خلع معطفها، خذ المعطف إلى حجرة إيداع المعاطف والقبعات تقدم أمامها عندما تأخذان مقاعدكما، أفسح الطريق لها، قدّم لها المرطبات خلال فترات الاستراحة -وهلمّ جرًا.

علاوةً على ذلك، يجب ألا ننسى أن هذا النوع المتوسط من التمثيل هو شكل قديم من أشكال الترفيه لأن معظمه يستهدف المستوى الفكري للمرأة (كما هو الحال بالنسبة للعديد من تلك الأشياء التي نحب أن نطلق عليها اسم «مثقفة»). كم هو مثير للشفقة الرجل المسكين الذي يجب أن يخضع لكل هذا! من المحتمل أن يكون لديه شك أنه ليس فقط هو، بل أيضًا الشركة المُجمّعة للمخرجين والممثلين والمنتجين الذين ينتظرون وجودهم فقط لتشكيل الخلفية للمرأة وزمرتها. هذه الخلفية هي ببساطة مكان يمكن أن تنغمس فيه في لهوها التافه، حيث يمكن أن تشارك هي ونساء أخريات بتنكراتِهِنَّ الغريبة مع الإضافات، الرجال مرتدين ملابس سوداء اللون مناسبة.

الجانب الأكثر سخرية من آداب «الأخلاق الحميدة» هو دور الحامي الذي يُفرض على الرجل. يبدأ ذلك بشكل غير مؤذٍ نسبياً، هذا صحيح. يتبعها عند الصعود إلى الطابق العلوي، أو يمشي على جانب حركة المرور من الرصيف. عندما نصل إلى مرحلة الخدمة العسكرية والحرب تصبح أهمية ذلك أكثر خطورة. واحدة من أهم القواعد هي أنه يجب على الرجل في جميع الظروف حماية المرأة من الأشياء البغيضة -حتى لو كلّفه الأمر حياته. وبمجرد أن يبلغ من العمر ما يكفي سوف يفعل ذلك بالضبط. يتم إنجاز هذا التدريب في سن مبكرة بحيث سينقذ الرجل في أي كارثة النساء والأطفال قبل حتى أن يفكر في نفسه - على حساب حياته الخاصة. لا يوجد سبب مقنع لعدم عكس هذه الأدوار. نظرًا لأن المرأة عديمة الشعور، يمكنها التعامل مع الآثار النفسية لفظائع الحرب بسهولة أكثر من الرجل، كما أن الشكل الحديث للحرب لا يتطلب القوة البدنية أو الذكاء، بل فقط القدرة على النجاة (التماسك). تُظهر جميع الإحصائيات المتعلقة بطول الحياة أن المرأة تعيش حياةً أطول من الرجل، وبالتالي فهي أكثر صلابة. على سبيل المثال، إن امرأة من

دول أمريكا الشمالية المتقدمة والتي كانت تمارس الرياضة في المدرسة، ليست أدنى في القوة البدنية من الرجال الفيتناميين الذين هم أصغر حجماً منها بكثير. إن قتال جندي أمريكي ضد رجال آسيويين هو كخوض حرب ضد عدو لا يزيد قوة عن فتاته في الجامعة. لقد ذكرنا بالفعل افتقار المرأة للقدرة العاطفية. وحقيقة أن المرأة تبذل كل محاولة لقمع قدرة الرجل على التعبير عن عواطفه هي مؤشر على هذا. ومع ذلك فهي لا تزال تناضل من أجل خلق أسطورة العمق الأنثوي للشعور والضعف.

القنوات الدمعية هي أكياس صغيرة تحتوي على سائل. من خلال التدريب يمكن التحكم فيها مثلما يتحكم المرء في المثانة، لذلك ليس هناك حاجة للشخص البالغ أن يبكي أكثر من حاجته إلى تبليل سريره. يتم تعليم الطفل الذكر في سنوات حياته المبكرة التحكم في هاتين الوظيفتين. مرةً أخرى تحطّ المرأة من قدر نفسها. «الأولاد لا يبكون! أنت لست فتاة صغيرة يا عزيزي»! من ناحية أخرى لا يتم تعليم الفتيات الصغيرات التحكم في دموعهن أبداً، وسرعان ما يتعلّمن كيفية الاستفادة من تلك الدموع. إذا رأى رجل امرأة تبكي، فلن يخطر له أبدًا أنها قد تكون غير قادرة على ضبط نفسها. إنه يفترض أن مشاعرها قد ثارت إلى حدٍ كبير بل ويحكم حتى على درجة شعورها تبعاً لكمية الدموع المنهمرة. من الواضح أن هذا تفسير خاطئ. إن النساء مخلوقات قاسية القلب حقًا ويرجع ذلك أساسًا إلى أنّه ليس في صالحهنّ أن يشعرنَ بعمق. قد تغريهن المشاعر باختيار رجل غير ذي فائدة، رجل لا تستطيع التلاعب به متى شاءت. قد ينتهي بهن المطاف إلى كراهية الرجال (بعد كل شيء، الرجال هم كائنات من المفترض أن تكون غريبة عنهن) ويقررن قضاء حياتهن بصحبة النساء على وجه الحصر. ومع ذلك، في الواقع هناك عدد أقل بكثير من النساء المثليات بشكل علني مقارنة بعدد الرجال المثليين، وهؤلاء النساء عمومًا إما ثريّات أو على الأقل لديهن تأمين مالي. يجب على المرأة التي لديها مشاعر أن تفكر وتعمل، وتتحمّل المسؤوليات، وتتعلم كيفية الاستغناء عن كل الأشياء التي تعني لها الكثير. لأنها لا تريد ذلك فإنها تقرر أن تظل قاسية لكنها تعلم في الوقت نفسه أنه من الضروري للمرأة أن تمثل دور كائن حساس وإلا فإن الرجل سيدرك طبيعتها الباردة والحسابية في الأساس. ومع ذلك، بما أن عواطفها المزيفة دائمًا لا تشعر بها أبدًا فيمكنها إبقاء ذهنها صافياً. يمكنك استغلال مشاعر شخص ما فقط إذا كنت تنأى بمشاعرك أنت. لذلك، تستغل مشاعر شريكها لمنفعتها الخاصة، وهي تحرص على التأكد من أنه يعتقد أن مشاعرها عميقة بقدر مشاعره، وربما أكثر عمقاً.

يجب أن تجعله يصدق أنها «كامرأة» أقل اتزاناً بكثير، وأقل عقلانية بكثير، وأكثر عاطفية بكثير. هكذا فقط يمتنع اكتشاف حيلها. لكنّ التلاعب، على أي حال قد اهتم بذلك بالفعل، الرجل الحقيقي لا يبكي أو يضحك بصوت عالٍ للغاية (الابتسامات المتحفظة لها تأثير ودي على من حوله وتجعله يبدو شخصاً جاداً مع شركاء عمله)؛ لا يظهر عليه الاندهاش أبداً (لا يصيح أبدًا «آاااه» عندما يضيء النور ولا «أوووه» عندما يلمس الماء البارد)؛ لا يُظهر أبدًا أنه يبذل جهداً بقوله «أوووف» عندما يرفع حقيبة ثقيلة؛ حتى أنه لا يُغنّي عندما يكون سعيدًا. لذلك، إذا لاحظ الرجل كل ردود الفعل العاطفية هذه لدى المرأة فلن يخطر له أبدًا أن يكون محكوماً من قبل امرأة بعدم التعبير عن مشاعره المشابهة. نتيجة لذلك، يفترض أنها أكثر حساسية بكثير مما هو عليه وإلا فإنها لن تجرؤ على إظهار مشاعرها بمثل هذه الطريقة غير المنضبطة. يجب على الرجل الذي يبكي فقط في حالة وقوع كارثة حقيقية (ربما وفاة زوجته) أن يفترض أنه عندما تنهار زوجته في فيضان من الدموع بسبب خطط العطلة الملغاة على سبيل المثال فإن عواطفها تكون قوية بشكل مساوي لعواطفه، ولكن لسببٍ أقل. حتى أنه يعتقد نفسه شخصاً قاسياً فظاً لأنه لا يستطيع أن يشاركها حزنها. يا لها من ميزة يمكن أن يتمتع بها الرجل إذا كان بإمكانه فقط أن يدرك الأفكار الباردة والواضحة التي تملأ رأس المرأة بينما تتدفق عيناها بالدموع!

الجنس كمكافأة

كل أسلوب من أساليب التلاعب مبني على مبدأ الجزرة والعصا التي يعتمد تطبيقها إلى حد كبير على نسبة القوة البدنية التي يمتلكها المدرب والمتدرب. عند التعامل مع الشباب يتم تفضيل الجزرة كوسيلة للتحكم. فلهذا الأسلوب ميزة الحفاظ على ثقة الأطفال بالبالغين حتى يتمكنوا في وقت لاحق من عرض مشاكلهم على والديهم وبالتالي تستمر عملية التلاعب. هذا أكثر فعالية من البدء بالعصا. إذا تعلم الدلفين الأسير أداء خدعة جيدة، فإن مدربه يرمي له سمكة. لأن الدلفين يريد أن يأكل، فإنه سيفعل كل ما يطلب منه في سبيل ذلك. غير أن الرجل لأنه يكسب المال، قادر تماماً على توفير طعامه. وسيكون من المستحيل رشوته بهذه الطريقة. في الواقع، سيكون فوق الرشوة تماماً لولا حاجة ذكورية أساسية واحدة يجب إرضاؤها: الحاجة إلى الاتصال الجسدي بجسم المرأة. هذه الحاجة قوية للغاية، وإشباعها يمنح الرجل سعادته الشديدة، بحيث يشتبه المرء في أنها قد تكون السبب الرئيسي لعبوديته الطوعية للمرأة. قد يكون شوقه للخضوع من مظاهر مكياجه الجنسي. إن أساس أي اقتصاد هو نظام المقايضة. لذلك، يجب أن يكون الشخص الذي يطلب خدمة ما قادراً على تقديم شيء يعادلها قيمةً بالمقابل. ولكن بما أن الرجل يجب أن يحقق رغباته الجنسية، وبما أنه يميل إلى الرغبة في امتلاك حقوق حصرية لجسد أنثوي واحد، فقد ارتفعت الأسعار إلى مستوى الابتزاز. وقد مكّن ذلك النساء من اتباع نظام استغلال يجعل النبلاء اللصوص الأكثر استغلالاً للناس في حالة من الذل والعار. وليس هناك رجلٌ معفي.

مفهوم الأنوثة هو في الأساس اجتماعي، وليس بيولوجيًّا[٤]. حتى الشاذ جنسياً من غير المرجح أن يهرب دون دفع مستحقاته. الشريك الذي يكون دافعه الجنسي أقل تطوراً يكتشف بسرعة نقاط الضعف لدى الآخر، الذي يكون دافعه أقوى ويتلاعب به وفقاً لذلك. دائماً ما تكون المرأة، أو الشريكة «الأنثوية»

(٤) الكتاب كتب في عام ١٩٧١ أي في حقبة سادت فيها النظرية الجندرية التي تفصل الذكورة والأنوثة عن البيولوجية، فتنسب للمجتمع قدرة تشكيل الصفات في الإنسان، عبر فرضية أبطلت فيما بعد وهي «اللوح الأبيض»، والحقيقة أن البيولوجية هي العامل الرئيس المحدد لما سيعيش ويكون الإنسان (يولد ذكرا يصبح كذلك، تولد أنثى تنضج كذلك) والحالات الشاذة عن هذه القاعدة ترجع فيها لعوامل تربوية وأخلاقية باستثناء الخنثى.

في أي علاقة جنسية مثليّة، هي التي تستغل الرجل: لأنه أن تكون أنثى: معناه أن تكون بارداً جنسياً. مثلما تحرم المرأة نفسها من أي عمق من المشاعر، فإنها تحرمها من شهيتها الجنسية: وإلا كيف يمكن لفتاة شابة أن تخبر صديقها الشاب بأنها تحبه ثم تمنعه عن جسدها؟ بفضل نصيحة والدتها ستقمع الفتاة رغباتها حتى في سن البلوغ كي تحصد المكاسب في وقت لاحق.

في المجتمعات السابقة كان ينبغي أن تكون العروس عذراء حتى تكون ذات قيمة وحتى اليوم فإن الفتاة التي لديها خبرة جنسية قليلة سيكون لها قيمة سوقية أعلى من تلك التي لديها عدد من العشاق. العفة في الرجل من ناحيةٍ أخرى، لم تكن لها تلك القيمة. نظراً لأن النساء لا يهتممن حقاً بالرجال، فهن لسن مهتمات كثيراً بعفتهم. لهذا السبب، لا يمكن مطلقاً اغتصاب صبي من قبل امرأة أكبر سناً –بل يعتبر أنه تم إغراؤه فقط ولكن دع الرجل يلعب تلك اللعبة مع فتاة مراهقة! سيتم إعدامه دون محاكمة كمجرم جنسي من قبل مجموعة نسائية من الغوغاء. يمكن للرجل بطبيعة الحال تكييف احتياجاته الجنسية بسهولة مثل المرأة، شريطة أن يبدأ تدريبه في سن مبكرة للغاية. والبرهان الكافي على ذلك هو الرهبان، الذين يعيش معظمهم دون رضا جنسي (لا أحد سيؤكد بجدية أنهم جميعاً مخصيّون) ولكن بدلاً من تعلم قمع احتياجاته، سيسمح الرجل أن يتم تشجيع هذه الاحتياجات كلما كان ذلك ممكناً –من قبل النساء، بالطبع لأن اهتماماتهن موجهة بشكل رئيسي نحو الرغبة الجنسية لدى الرجل. لا يرتدي الرجل أبداً ملابسه بطريقة تهدف لإيقاظ الرغبة الجنسية في الجنس الآخر، لكن الأمر هو العكس تماماً مع المرأة. في سن الثانية عشرة أصبحت متنكّرة بالفعل كطعم. يتم تضخيم منحنيات الثدي والورك من خلال الملابس الضيقة، ويتم تعزيز طول الساق وتجميل شكلها وشكل الكاحل من خلال جوارب شفافة.

شفتاها وعيناها أصبحت رطبة بفعل المكياج، شعرها مصبوغ صبغات لامعة. ولأي غرض، إن لم يكن لتحفيز الذكور على الرغبة الجنسية المتزايدة الدائمة؟ ستعرض ما لديها كبضائع في واجهة متجر – تظهر أنها قريبة جداً وبسعر يجعل من السهل الحصول عليها. لا عجب أن الرجال يعتقدون أنه ليس هناك سعادة أكبر من كسب المال الكافي لدفع ثمن مثل هذه البضائع المغرية. بافتقار الرجل إلى المال، أو على الأقل بافتقاره إلى إمكانية حصوله عليه، سيتعين عليه الاستغناء عن المرأة وبالتالي الاستغناء عن ممارسة الجنس. ومع ذلك، فإن العلاقة بين الجنسين تنطوي على نظام ائتماني: أي أن النساء مستعدات في ظروف

معينة (عندما يكون الزوج لا يزال يتدرب على مهنته) لكسب مالهن الخاص -كقرض مقابل أرباح مستقبلية – ومقابل وضع أجسادهن تحت تصرفه. في هذه الحالة تكون معدلات الفائدة مرتفعة نسبياً (يجب أن تكون المهنة التي يستعد لها الرجل خلال هذا الوقت ذات دخل مربح بما يكفي لجعل استثمار المرأة مفيداً).

بشكل عام، من البديهي أن تكون المرأة باهظة الثمن بالتناسب المباشر مع جاذبية خصائصها الجنسية الثانوية. وبالتالي، إذا التقى رجل برجل آخر له زوجة جذابة للغاية، فبدلاً من الاكتئاب، يجب عليه أن يفكر في مقدار المال الذي تكلفه هذه المرأة زوجها. سيكون أكثر اقتصاداً بالنسبة للرجل أن يلبي احتياجاته الجنسية مع عاهرة بدلاً من التسرع في الزواج («عاهرة» بالمعنى التقليدي – بالمعنى الدقيق للكلمة، معظم النساء ينتمين إلى هذه المجموعة). ولكن هنا مرة أخرى سوف يتصرف الرجل عن طريق رد الفعل المشروط: الجنس الذي لا يكلف الكثير يعتبر أقل شأناً. تختلف سعادته حسب تكلفة المرأة التي ينام معها. وإذا لم يستطع الحصول على المرأة المرغوبة بأي طريقة أخرى -أو إذا لم تكن هناك طريقة أخرى للحفاظ عليها -فهو يقدم أعلى عرض ويأخذها إلى قاعة المدينة لهذا السبب تتحمل المرأة بهدوء موضوع النساء المحترفات للدعارة، لماذا يجب عليهن أن يمانعن طالما أنهن لا يشعرن بالغيرة أبداً كما يشعر الرجل؟ قد يتظاهرن بالغيرة أحياناً والسبب إرضاء الرجل فقط، هن لا يمانعن وجود مؤسسة بيوت الدعارة أيضاً، موقفهن تجاه العلاقات خارج إطار الزواج هو نفسه تماماً، ما لم يصبح بالطبع واضحاً للغاية، وفي هذه الحالة تميل النساء إلى مسامحتهم، كم هو قليل عدد النساء اللائي يهجرن زوجاً خائناً! وكم هو نادر عدد الرجال الذين سيبقون مع امرأة في ظروف مماثلة!

غالباً ما ترحب الزوجات بزوج لعوب، لأن هناك الكثير من المزايا الناتجة عن امتنانه لتسامحها وغفرانها، من الواضح أن المرأة تفضل أن تكون قادرة على السيطرة على العلاقات خارج إطار الزواج، وهذا ما يفسر حصول المجموعات التي تتبادل الزوجات، والممارسات الجنسية التعددية على التأييد، لأنها تميل إلى إضعاف التخيلات الجنسية للأزواج والأصدقاء الرجال، علاوة على ذلك، فإن هذه الأنواع من الإفراج الجنسي مجانية، في حين أن الدعارة المهنية تمتص الأموال التي يجب وضعها في تسيير شؤون المنزل. نظراً لأن مجموعة الأشخاص عادة ما تكون على دراية جيدة، يمكن فرض قواعد النظافة ويكون هناك

خطر أقل من إصابة أحدهم بمرض تناسلي، وهو ما قد يصاب به الرجل إذا زار بيت دعارة مجهول -وهذا هو أحد الشواغل الرئيسية للمرأة فيما يخص مغامرات زوجها الجنسية. ومن المفارقات أن الرجال يعتبرون البغايا العاديات محترمات للغاية -فهن من بين النساء القلائل اللاتي يعترفن بصراحة أنهن يكسبن المال من خلال تأجير فتحة معينة من أجسادهن. لا يمارس الرجال حِرفاً نسائية كالعاهرة والممثلة والعارضة والمغنية والراقصة لكن في حين تعمل الممثلات والمغنيات والراقصات والعارضات مع الشِّباك (المقصود بالشبكة الرجال الذين يصطادونها عندما تشعر بعدم الرغبة في العمل بعد الآن)، فإن العاهرة ليس لديها مثل هذا الملاذ، عندما تكون متعبة أو مريضة، لا يكون هناك أحد، ينتظر بأمل الوقت الذي سيُسمح له فيه بدعمها، لن يسمح أي رجل في مجتمعنا للعاهرة باستغلاله كعارضة أزياء، على سبيل المثال: النساء أيضاً يحتقرن العاهرة العادية ولكن لسبب مختلف: يحتقرنها لغبائها. المرأة التي تبيع جسدها بشكل غير كفء غبية بشكل مثير للصدمة بمعايير الذكاء الأنثوي. إنهن لا يعجبن إلا بالنساء القادرات على تحديد سعر باهظ مقابل خدماتهن، على سبيل المثال أولئك اللاتي يتزوجن من روشتيلد أو أغا خان أو روكفلر.

لقد أفهمن الرجال أن الدعارة «مهنة قذرة» لتخويف الرجال الذين قد يكونوا قادرين على المقارنة في يوم من الأيام. لا يختلف المبدأ الأساسي «الجنس كمكافأة» من امرأة إلى أخرى. إنهن جميعاً يقدّمن أنفسهن لرجل، ويلفتن انتباهه لسحرهن، ومن ثم بشرط أن يكون قد أدى «حِيَلَهُ» على نحو مُرضي، يكافئنه ولأنهن لا يتوقفن عن إبقائه في حالة من الإثارة الجنسية، فسوف يطلب المكافأة مراراً وتكراراً. الرجال وحدهم من ذوي القدرة الجنسية الضعيفة هم الذين يستطيعون تحمل إقامة علاقات متفرقة ويعيشون حياة الهيبيين عاماً بعد عام دون الشعور بالحاجة إلى مكافأة منتظمة، وإحدى نتائج هذا النظام الأنثوي للمكافآت الجنسية هي أن الرجل ذي الاحتياجات الجنسية القوية يجب أن يكون أكثر طاعةً للنساء من غيره، انظروا إلى الإعلانات عن الشباب الديناميكي، المغامر، النشط، المتحمس، والمطلوب بشدة في الأعمال التجارية، في الواقع، ما هؤلاء الرجال سوى أشخاص مضطربين عقلياً وخاضعين جنسياً والذين جعلوا معاييرهم في النساء مرتفعة جداً؟ لماذا يستغل الرجل كل طاقاته وخياله لبيع منتج تجاري معين؟ فقط من أجل هذه المكافأة! العالم كله خارج نافذة مكتبه يغريه بوعد المغامرة، ومع ذلك فإن الدافع الجنسي لديه قوي للغاية لدرجة أنه يتخلى بكل سرور عن كل ما هو موجود حوله، ويشتري لنفسه بدلاً من

ذلك امرأة بأمواله التي اكتسبها بشق الأنفس، ولكن حتى لو وصفها بـ «مغامرته» فهي لن تكون بديلاً ابدأ عما فقده: فمتى قابلها، كل شيء سوف يتبع نظام العرض والطلب الصارم بقواعده المتزمتة وافتقاره التام إلى المفاجأة.

إن المقولة القديمة بأن مصير المرأة هو جسدها صحيح طالما أن المصير له معنى إيجابي ولكن بالمعنى السلبي، يتم تطبيقها بشكل أفضل على الرجال، بعد كل شيء، تستفيد المرأة من ميزاتها التشريحية كلما أمكنها ذلك، بينما يكون الرجل عبداً أبدياً لخصائصه التشريحية. يكون الانتصاب الذكري بشعاً جداً بالنسبة للمرأة لدرجة أنها في المرة الأولى التي تختبر فيه ذلك، فإنها بالكاد تصدق عينيها ولكن عندما تدرك أنه يمكن إنتاجه بأدنى إثارة، ليس بالضرورة حتى امرأة عارية (فيلم، أو صورة قد تفي بالغرض)، فهي ستبقى غير قادرة أن تتغلب على دهشتها. إنه في النهاية فعل انعكاسي مثل ضرب شخص ما على الركبة، على الأرجح لا توجد أي نظرية من النظريات التي طورها الإنسان بمثل سخافة نظرية «عقدة القضيب» الخاصة بسيغموند فرويد. بالنسبة للمرأة يبدو القضيب وكيس الصفن أشياء زائدة وغير ضرورية لجسم الرجل الذي تم صنعه بأناقة وعناية إنهما تقريباً غير ملائمان، إنها لا تستطيع أن تفهم أنه بعد الاستخدام فإن القضيب ليس قابلاً للسحب مثل هوائي على راديو محمول، وأما بالنسبة للحسد -فلن يخطر ذلك أبداً في بال أحد حتى لفتاة صغيرة. حتى في أعمق درجات اللاوعي لديها لن ترغب في امتلاك قضيب، أما عن كون ذلك نقصاً بالمقارنة مع صبي صغير فهذا هراء لأنها تحصل على معاملة تفضيلية على أية حال. كان فرويد مجرد ضحية للتدريب من خلال تقنيات إذلال النفس الخاصة بالمرأة -بفضل والدته وزوجته وربما بناته أيضاً، لقد خلط بين السبب والنتيجة؛ المرأة فقط تقول إنها أقل قيمة من الرجل، إنها لا تعتقد ذلك حقاً. إن كان هناك شخص يجب أن يشعر بالحسد فهو الرجل، يجب أن يغاروا من قوة النساء، لكن بالطبع هم ليسوا كذلك أبداً لأنهم يفتخرون بعجزهم.

الرغبة الجنسية للإناث

نظرًا لأنه من الصعب اختبار أو تصنيف الدرجة التي تشعر بها المرأة بالتحفيز الجنسي، أو لتحديد الطبيعة الدقيقة للنشوة الجنسية للإناث، فإن الرجال يواجهون صعوبات كبيرة عندما يحاولون تحليل قدرتها على الإثارة الجنسية والنشوة الجنسية. إذا قاموا بأي محاولة للتوصل إلى استنتاجات حول هذا الموضوع، فإنهم يضطرون إلى الاعتماد إلى حد كبير على المعلومات التي تتطوع بها النساء. ولأن المرأة لا تحترم البيانات العلمية الدقيقة ولا تهتم إلا بما هو مفيد لها بشكل مباشر، فستقول ما يبدو أنه مناسب أو في محله في ذلك الوقت. وبالتالي فإن أي حقائق مكتسبة حول موضوع ردود أفعال المرأة – فيما إذا كانت على سبيل المثال باردة جنسياً أو إلى أي مدى يمكن أن تتمتع باتصال جنسي أو ما إذا كان يمكن مقارنة النشوة الجنسية الخاصة بها بالرجل – كل هذه الحقائق تبدو متناقضة للغاية (من المفترض أنه حتى ماسترز وجونسون لم يحصلا على امرأة عادية على سرير الاختبار الخاص بهما)[٥].

نتيجة لذلك يتأرجح الرجل بين الاقتناع بأن المرأة ليس لديها دافع جنسي حقيقي والخوف من أن تكون مشاعرها الجنسية أكبر مما لديه بكثير لكنها تمتنع عن إخباره بذلك بدافع الشفقة. سيقضي أياماً في إعداد استطلاعات أكبر وأفضل وأدق في جهوده الحثيثة للتوصل إلى بعض الاستنتاجات. ومن أجل مصلحة العلم، يتوقع من النساء الإجابة عن أسئلته بصدق. كما لو أنها تستطيع -أو ستفعل! من المرجح أن الحقيقة تكمن في مكان ما بين النقيضين. من المؤكد أن النساء لسن جميعهن شبقات وإلا سيكون هناك المزيد من البغايا الذكور. من ناحية أخرى لا تشعر النساء بالكره الشديد لممارسة الجنس، كما تم الحفاظ عليه في كثير من الأحيان.

تعيش النساء كالحيوانات. إنهن يحببن الأكل والشرب والنوم -وحتى ممارسة الجنس، شريطة ألا يكون هناك شيء لفعله وليس هناك أي جهد حقيقي مطلوب منهن. على عكس الرجل، نادراً ما تبذل

---

(٥) ماسترز وجونسون فريق بحثي قدم بحوثا مهمة في طبيعة الاستجابة الجنسية لدى الإنسان، يتكون من وليام ماسترز (١٩١٥-٢٠٠١)، وزوجته فيرجينيا جونسون (١٩٢٥).

المرأة جهداً لإحضار شريكها إلى السرير. ولكن، إذا كان الرجل موجوداً بالفعل في السرير، ولم تكن قد خططت لتصفيف شعرها أو القيام بأي شكل آخر من أشكال إصلاح الجمال على نطاق واسع، ولا يوجد برنامج تلفزيوني ترغب في رؤيته، فلن تكون معارضة لممارسة الجنس، شريطة أن يكون هو مستعداً ليكون الشريك النشيط في هذه العلاقة. لكن حتى العبارات الملطّفة «نشيط» للشريك الذكر و «سلبية» للأنثى لا تخفي حقيقة أن المرأة تسمح للرجل أن يخدمها في السرير تماماً كما يفعل في كل مجال آخر من حياتها. على الرغم من أن الجماع قد يمنح الرجل متعة على المدى الطويل، فإنه ليس أكثر من مجرد خدمة للمرأة، حيث يكون الرجل هو الحبيب الأفضل، مما يثير الرغبة بمهارة أكبر وبسرعة ويجعلها تستمر لفترة أطول.

يشتبه الرجال في أن النساء تميل إلى استغلالهم أثناء الجماع وقد تعزز لديهم خوف معين من شهية الإناث الجنسية. تظهر علامات هذا في طقوس الثقافات القديمة، في الأعمال الفلسفية لرجال مثل شوبنهاور ونيتشه، في روايات بلزاك أو مونترلانت، في مسرحيات ستريندبرج، أونيل، وتينيسي ويليامز. منذ اكتشاف موانع الحمل الفموية، وصل هذا الخوف إلى مستويات هستيرية تقريباً. تم تكريس كتب كاملة للسؤال عما إذا كان على الرجل أن يقلق بشأن المطالب الجنسية للمرأة، وإذا كان الأمر كذلك، إلى أي مدى –وفي الوقت نفسه، اكتشفت الإعلانات فرصاً جديدة لكسب المال عن طريق بيع نصائح للرجال حول كيفية تحقيق البراعة الجنسية. في الحقيقة سرقت موانع الحمل الفموية الموثوقة (التي ابتكرها الرجل بشكل طبيعي) الانتصار الوحيد الذي بقي لديه في حالة إخضاعه الجنسي. سابقاً كانت المرأة دائماً إلى حدٍّ ما تحت رحمته. الآن أصبحت هي فجأة المتحكمة. يمكنها أن تنجب العدد الذي ترغب فيه من الأطفال.

يمكنها حتى اختيار الأب (غني إن أمكن). إذا لم تكن لديها نية لإنجاب أطفال، فيمكنها الانغماس في الجماع كلما بدا ذلك مفيداً لها. الرجل لا يستطيع أن يفعل ذلك. لقد ادعى دائماً أن قوته الجنسية كانت بلا حدود وأنه يحتاج فقط إلى امرأة غير متحفظة لإثبات ذلك. هذا مستحيل اليوم. يمكن لأي امرأة أن تقرأ بنفسها في المجلات الشعبية عن مدى طاقة الرجال الجنسية. ستعرف مدى نشاطه في كل مرحلة من عمره، ستعرف إن كان أفضل وقت له هو بعد الظهر أو في الليل، إن كان حبيباً أفضل قبل أو بعد وجبة الطعام، وما إذا كانت براعته تزداد في الجبال أم على شاطئ البحر. إنها تعرف عدد المرات التي يستطيع فيها ممارسة الجنس في أي مناسبة لإرضائها والأكثر من ذلك، أنها يمكن أن تكون متأكدة من إحصاءاتها، لأن

الرجال لن يغشوا أبداً عند تقديم معلومات من هذا النوع؛ الشخص الرجولي سيعتبرها علامة على الضعف أن يكذب في أي حالة على الإطلاق لذلك يمكن للمرأة أن تعتمد بشكل مطلق على الأرقام المقدمة وتعرف بالضبط ما يجب أن يكون الرجل قادراً على تحقيقه. لقد زودها بمخططات لتحديد فاعلية أي رجل في أي مرحلة من حياته: وبفضل أساليب تحديد النسل الفعالة يمكنها أن تجرب مع أنواع مختلفة من الرجال وتقارن أداءهم الجنسي. على عكس خوف الرجال لا تَزِنْ النساء رجلاً ضد الآخر ويخترن الأكثر فحولة -بل بعيداً عن ذلك، لأنها ليست حريصة على ممارسة الجنس. في ضوء ذلك، وشريطة أن تكون جميع الشروط الأخرى متساوية فمن المرجح أن تفضل الرجل الأقل قوة لأنه يمكنها دائماً ابتزازه بمعرفتها الحميمة بضعفه. في عالم الجنس وأكثر من أي عالم آخر يكون الرجل ضحية لمبادئ الكفاءة التي يتم التلاعب به وفقاً لها. في الواقع إنه يضع معاييره الخاصة: ثلاث مرات متتالية: جيد جداً؛ مرتين: جيد؛ مرة واحدة: مُرضية. إذا فشل كآلة جنسية فهو -في رأيه- فاشل كبير.

حتى لو كان عالِماً لامعاً، فلن يكون سعيداً أبداً مرة أخرى. تعرف المرأة هذا وتستفيد منه. فمثلاً:

أ. يمكنها أن تتظاهر بأنها غير مدركة لنقص قوة زوجها الجنسية وتستمر في مدحه على قوته. (ربما هذه هي الطريقة الأكثر شيوعاً المستعملة من قبل النساء)

ب. يمكنها أن تجعل الرجل يعتقد أن فشله الجنسي هو إعاقة حقيقية، لذا فهو يعتبر نفسه محظوظاً لأنها تقيم معه.

ج. يمكنها أن تهدده بفضح قصوره الجنسي ما لم يفعل كل ما تريده؛ نظراً لأن الرجل يفضل أن يُطلق عليه اللص أو القاتل بدلاً من أن يطلق عليه لقب العاجز جنسياً، فسوف يستسلم لقدره ويفعل ما يطلب منه.

تعتمد قوة الرجل الجنسية على عوامل نفسية أكثر من أي وظيفة من وظائفه الجسدية الأخرى. بمجرد أن يبدأ في الشك في قوته، يجد نفسه تدريجياً يغرق في المزيد من الصعوبات. تزداد مخاوفه من أن يصبح عديم الفائدة للمرأة لأنه نتيجة لتلاعب النساء يحدد رجولته باعتماده عليهن. لهذا السبب سوف يلجأ إلى كل الوسائل الممكنة ليبقى معتمداً عليهن. ينبغي للمرء حقاً التفكير في سخافة هذا الوضع.

منذ أمد طويل أصبحت العقاقير المثيرة للشهوة، التي كانت تُخبّأ بسرية تحت المنضدة وعادة ما يتم إعدادها بواسطة الدجالين، مقبولة اجتماعياً وهي من بين أعلى المنتجات مبيعاً في مجال صناعة الأدوية. حتى في المنشورات الجدية، يتزايد عدد المقالات حول الصعوبات الجنسية؛ ونكات غرف الرجال، والتي، كما نعلم جميعاً، هي نتيجة لقلق الرجل المخصي، تلك النكات تُسمع بشكل متكرر أكثر، رغم أنها عادة ما تكون مجردة من حس الفكاهة. لا يشتري الرجال المجلات الإباحية من أجل المتعة -فهناك العديد من الطرق الأفضل والأكثر تطوراً لتسلية أنفسهم. إن اهتماماتهم تكمن فقط في الأمل في إيجاد مثل هذا التحفيز القوي، بعض الوسائل للحفاظ على هذا المستوى الأسطوري من القوة الرجولية. كل هذا يعمل على جعل الرجل مرة أخرى ضحية عادته في التفكير في النساء بمعاييره الخاصة. إنه يعتقد حقاً أن النساء، وقد أصبحن الآن في مأمن من مخاطر الحمل، لا يفكّرنَ في شيء سوى كيفية تعويض الوقت الضائع، وقضاء بقية حياتهن في ممارسة الجنس. هذا افتراض طبيعي، لأنه تم التلاعب به ليعتقد أن الجنس هو ذروة كل الملذات. إنه بالطبع مخطئ تماماً. من المؤكد أن المرأة ستشعر بالسعادة عندما تعاني من هزة الجماع -لكنها ليست أكبر متعة تعرفها. حفل كوكتيل أو شراء زوج جديد من الأحذية الجلدية عالية الساق باللون الباذنجاني، يمنحها نشوة أعلى من ذلك بكثير. خوف الرجل من فقدان الأساسات على المستوى الجنسي أو الجسدي، نتيجة لحرية المرأة المكتشفة حديثاً، هو أمر سخيف حقاً.

بغض النظر عن مقدار استمتاع المرأة أثناء ممارسة الجنس، فإنها لن تدع الرجل الذي يدعمها يتعب نفسه بحيث يتأخر عن العمل في صباح اليوم التالي. تلك مجازفة كبيرة جداً. حتى أكثر النساء شغفاً ستقلل من أنشطتها الجنسية إذا اعتقدت أن الليالي التي تقضيها في ممارسة الجنس المعربِدْ بدأت تؤثر على عمله. تتواجد النساء اللائي يعانين من الشبق في الأفلام والمسرحيات فقط. لمجرد أنهن نادرات جداً في الحياة الواقعية، فإن الجمهور يهتم بهن (للسبب نفسه، فهناك العديد من الأفلام والروايات عن الأغنياء للغاية، والذين يشكلون نسبة مئوية ضئيلة من إجمالي السكان). هناك جانب واحد فقط من قوة الرجل الجنسية يقلق المرأة – وهو إذا كان قادراً على إنجاب الأطفال أم لا. الأطفال كما سنرى لاحقاً ضروريون للمرأة إذا أرادت لخططها أن تؤتي ثمارها.

من المرجح أن تشعر الكثير من النساء بالرضا إذا تلاشت حاجة الرجل لممارسة الجنس بعد أن تنجب له طفلين أو ثلاثة أطفال. سينهي ذلك العديد من المضايقات الصغيرة. إن الكفاءة الجنسية لدى الرجل هي مسألة غير مكترث بها من قبل غالبية الإناث ويتضح ذلك من خلال عدد الرجال الذين يتقاضون رواتب عالية ويتزوجون، على الرغم من أنهم عاجزون جنسياً (من غير المعقول أن امرأة دون مهبل ستتوقع الزواج من رجل ذي قوة جنسية طبيعية).

التلاعب عن طريق الخداع

إن الدافع الجنسي القوي عند الرجل، وعقله اللامع، وحاجته إلى نظام يساعده على تحمل تلك المسؤوليات التي أدركها بذكائه، مكّنت النساء من الاستفادة بشكل فعال من بعض المؤسسات التي تنتمي إلى الماضي –مؤسسات مثل الكنيسة والطوائف الكثيرة المُنشقَة، والجماعات الدينية الأخرى: تستخدمها بدم بارد للمساعدة في التلاعب بأطفالها. إنها تستغل جيوشاً من رجال الدين إلى أن يكبر أطفالها، ومن ثمَّ فمن المفيد للمرأة كما لاحظنا مسبقاً، ألّا تكون متدينة ولا مؤمنة بالخرافات ما لم يكن التلاعب بالفتيان ناجحاً بشكل استثنائي، كما هو الحال بالنسبة لأولئك الذين يقررون أن يصبحوا كهنة، فمن غير المرجح أن يثق الرجال بعقيدة كنيستهم. ولكن إذا تم غرس هذه التعاليم في سن مبكرة جداً، فهي تساعد في توفير نماذج أولية معينة وأساس مفيد لمعايير الخير والشر. هذه المعايير ليس لها جذور عقلانية ولكنها جزء من العقل الباطن للرجال وبالتالي فهي غير قابلة للاستئصال، أساساً هذه المعايير هي دائماً معايير النساء يجب أن يقوم أي نظام ديني على التلاعب لأنه يتكوّن من سلسلة من القواعد والمحرمات، مع قائمة بالعقوبات المفروضة في حال انتهاك تلك القواعد، تسمى هذه الانتهاكات بالخطايا، العقوبات المفروضة على هذه الخطايا لا تُفرض في الواقع، لأن الإيمان بنوع من الوعي الفائق هو نظام بلا أساس حقيقي، لا أحد يستطيع أن يعرف عن الخطايا السريّة أو العقاب الدقيق لها. ونتيجة لذلك فإن الناس مستعدون للقول إن المصائب التي لا مفر منها مثل فقدان صديق أو زلزال تعد عقاباً. في الأزمنة السابقة، عندما كان فهم الرجال للكوارث كالأوبئة، وفساد المحاصيل، والبرق محدوداً، اعتقد الرجال أن هذه الأشياء هي عقوبات على خطايا ارتُكبت في وقت سابق ما وهكذا ظنوا أن تجنبها في المستقبل يكون عن طريق الاستسلام غير المشروط للقواعد، أو عن طريق التوبة، وهذا نوع من غسيل الدماغ. أساطير كهذه تصبح واضحة مع تطور عقل الإنسان. يمكنه أن يثبت خطأ الفكرة من خلال ارتكاب خطيئة دون أن يعاني من أي علامات لاحقة للغضب الإلهي. لكن الخوف العميق من العقاب (الشعور بالذنب)، الذي تم غرسه بعناية في السنوات الأولى من حياة الطفل، سيمنعه كبالغ، من فعل شيء كان يُعتبر «سيئاً» عندما كان طفلاً. وإذا قام

عن طريق الصدفة بعمل شيء كان قد سمّاه «الخطيئة» في طفولته فسوف يكون لديه على الأقل شعور بتأنيب الضمير.

هناك خطيئة واحدة تظهر في كل هذه القوائم تقريباً وهي المتعة أثناء الفعل الجنسي عندما لا يكون التكاثر مقصوداً. وبما أن الرجال الذين تستثيرهم النساء يستمتعون دائماً بممارسة الجنس فإنهم يستسلمون إلى هذه المتعة قدر الإمكان ولا يفكرون أبداً في التكاثر (أثناء النشوة الجنسية يختبر الرجل نوعاً من المتعة بعيداً كل البعد عن متعة تكوين طفل -وبالتالي في هذه اللحظة يكون الرجل مخدوعاً أكثر من العادة) إنهم ينتهكون باستمرار قواعد معتقدات طفولتهم ويحملون معهم دائماً شعوراً بالخطيئة. النساء من ناحية أخرى، قد تعلّمنَ التحكم في الرغبة الجنسية لديهن وجعل الجنس في أغلب الأحيان ليس لرضائهن بل لغرض معين (كسب الرزق، الإنجاب، إبهاج رجل – في هذه الحالة الأخيرة، من باب الإحسان) وهي بهذه الطريقة لا ترتكب أي خطايا؛ حتى لو اعتبرت النساء الجنس إثماً، فهن محصّنات ضد الندم. على عكس الرجال الذين يتخذون باستمرار قرارات جديدة لا يلتزمون بها مطلقاً، فإن النساء لا يملكن مثل هذا الحساب (أو الذنب) في أي نظام تم إنشاؤه لاستخداماتهن -حتى لو كنّ مؤمنات بهذا النظام.

بميلهن إلى إذلال النفس واحتياجاتهن الجنسية المكبوتة والضعيفة، وافتراضهن بأنهن سيبقين على قيد الحياة دون الاضطرار للعمل من خلال السماح للآخرين بالعمل من أجلهن، فإنهنَّ يشبهن تلك الشخصيات -يسوع المسيح، غاندي -الذين يسمحون لأنفسهم بأن يُعتبروا مُثلاً عليا. المثل العليا التي لا يمكن للرجال بلوغها أبداً بسبب عبوديتهم لغرائزهم، والتي تؤكد شكوكهم بأن جميع الميزات التي تستحق العبادة حقاً هي في التحليل الأخير أنثوية. ومع ذلك في الواقع لا النساء ولا اختياراتهن من قوى الشرطة، ورجال الدين، يهتمون فعلاً بدافع الرجل الجنسي. لم يكن من المفترض لهذه المحرمات أن تُطبق على هذه الغريزة بعينها. لقد اختاروها فقط لأنها المتعة الأعظم والأنقى للرجل. لو كان التدخين أو تناول لحم الخنزير يمنحانه نفس القدر من الرضى، لجعلت المرأة التدخين أو تناول لحم الخنزير مساويين للخطيئة. الهدف الأساسي هو إبقاؤه في حالة من الخطيئة (الخوف)، وبالتالي إبقاؤه هدفاً سهلاً للتلاعب.

هذا هو أحد الأسباب التي تجعل قائمة الخطايا تتغير حسب عمر الرجل. بالنسبة لطفل صغير، المحرمات هي الكذب، والطمع في الحصول على ممتلكات الآخرين، وعدم احترام الأب والأم. أما بالنسبة للبالغين فهي الرغبة الجنسية واشتهاء زوجة الجار. لكن كيف يمكن أن يتعرفوا على هذه الخطايا عندما لا يعرفون القواعد ولا النظام الذي أنشئت تلك الخطايا باسمه؟ كيف يمكن أن يؤمنوا بشيء غير موجود، أو أن يشعروا بالخجل من متعة لا تؤذي أحداً؟ أي شيء يتعامل مع المعتقدات الدينية يتناقض مع قواعد العقل وبالتالي يجب غرسه في عمر يكون فيه المنطق غير متطور بعد. إذا كان ذلك ممكناً، فيجب أن يحدث ذلك في مبنى تكون سخافة تصميمه المعماري مساوية لسخافة المواعظ التي يتم تدريسها بين جدرانه، مما يجعله أقل إذهالاً بقليل. وينبغي لمقدمي هذا النوع من التفكير غير المنطقي إن أمكن أن يبدوا مختلفين عن الآخرين. إذا تم تعليم الأطفال من قبل رجال يرتدون ملابس كملابس النساء، أو يتبنون شكلاً آخر من أشكال التنكر، فإن حيرة تلاميذهم ورهبتهم ستصبح أكبر، واحترامهم لهذه الشخصيات لن يزول أبداً.

اهتمّت النساء بعناية كبيرة لضمان أن يكون لوبي رجال الدين ذكوراً دائماً. أولاً، لأن الصورة الأنثوية قد تتضرر إذا كانت تمثل اهتماماتها الخاصة، ثانياً، لأنهن يعرفن أن الرجال يصنفون الذكاء الأنثوي على أنه منخفض إلى حد ما، وهذا هو السبب في أنهن لا يستطعن سوى التأثير على عواطف الرجل. النصائح من رجل آخر رجل محترم منذ الطفولة من المرجح أن يتم الاستماع إليها والعمل بها. على الرغم من أن هذه النصيحة تفيد النساء دائماً (على سبيل المثال، سينصحون الرجل بالبقاء مع امرأة لا يحبها، أو دعم الأطفال الذين لم يكن يريدهم أبداً) إلّا أنها لا تعكس العداء من جانب هذا اللوبي تجاه الرجال «الطبيعيين»، لكنها نتيجة مباشرة لاعتماد اللوبي المالي هذا على النساء. يمكن للنساء العيش بسهولة بدون الكنيسة (إنهن بحاجة إليها فقط من أجل تدريب الرجال والأطفال، أو كخلفية لعرض خزائن الملابس المتخصصة) لكن الكنيسة ستُدمَّر دون دعم النساء. يمكن تدريب الأطفال وغالباً ما يتم تربيتهم بدون مساعدة الكنيسة. من الممكن تماماً أن تتخلى النساء ذات يوم عن صحن الكنيسة كالخلفية الأكثر فاعلية لفستان الزفاف الأبيض. قد يعتبرن حتى أمين السجلات كافياً لإخضاع عريس متوتر.

مثل هذه التوجهات ستفرغ الكنائس في بضع سنوات. في الاتحاد السوفياتي اتخذت «قصور الزواج» مكانها كخلفية زفاف. إذا أصبح هذا هو الموضة فإن الناس سيرون الكنائس على حقيقتها – رُفَاتْ

لعصر فاني منذ مدة طويلة. سوف يسحبون دعمهم المالي العام والخاص والذي كان دائماً يقدمه الرجال. إنه الرجل الذي يدفع لجلّاده. لذلك عندما نسمع شخصاً ما يتعجب من القوة السحرية التي تتمتع بها الكنيسة، نظراً لأنها لا تزال تجذب الناس إليها بعد مئات السنين، فمن الواضح أن الظروف قد أُسيء فهمها. ليست الكنيسة هي من تملك قوة سحرية -بل النساء. أصبحت كل هذه المؤسسات منذ فترة طويلة مجرد أدوات في أيدي النساء، ومن غير المرجح أن تفعل أي شيء آخر غير تنفيذ توقعات المرأة. في النهاية، الضحايا ليسوا ممثلين للطوائف الدينية المتنوعة أنفسها. إنهم يريدون فقط أن يعيشوا حياة هادئة مسالمة (على حساب الرجال، بالطبع، تماماً مثل النساء) وقد أصبحوا نوعاً من المافيا التي تستخدمها النساء لترويع الأطفال واستعباد الرجال وإعاقة التقدم. يُجبر هؤلاء الرجال، تحت تهديد المقاطعة، على الظهور بملابس مخنّثة سخيفة، وترديد الأغاني المروّعة بصوتٍ عالٍ، وإخبار قصص الرعب لجمهور ذكي أحياناً.

كل هذا على الرغم من حقيقة أن هذه القصص، التي يجعل بها هؤلاء من أنفسهم حمقى بائسين، لطالما تم نبذها من قبل اللاهوت الحديث وهي متناقضة بشكل واضح مع كل ما تم تدريسه لهم كطلاب في جامعاتهم. اللاهوت الحديث، بطبيعة الحال لا طائل منه لأغراض التكييف بعد أن تخلى عن مبدأ العصا والجزرة. تحتاج النساء إلى الحكايات القديمة المهترئة عن الجنة والجحيم، عن الشياطين والملائكة، عن الفردوس ويوم القيامة. الموت ليس سوى وسيلة مفيدة للتلاعب إذا كان باباً يؤدي إما إلى السعادة الأبدية أو اللعنة الأبدية. إلى أي من هذين العالمين قد يؤدي هذا الباب هو أمر يعتمد على نوع من نظام النقاط، وهذه النقاط تُسجَّل وفقاً للإنجاز الدنيوي ويتم حسابها من قبل النساء. إذا كانت الحياة الأبدية لا يمكن كسبها إلا بالإخلاص والعبوديّة فإنها تتفق مع مصالح المرأة -وهي مصالح لن تتعزز بأي حال من الأحوال إذا قرر الرجال التحقيق في الحياة الأبدية من الناحية البيولوجية، وهو تحقيق قد يتعين علينا انتظاره بضعة أجيال. النساء أنفسهن غير متأثرات بكل هذه الأساطير. لا يذهبن إلى الكنيسة إلا إذا أردن ذلك: لا تزعجهن ضمائرهن في كلتا الحالتين.

بالنسبة للطقوس الكبيرة التي هي فعلاً محاولات للترهيب -من جانب النساء، وليس من جانب رجال الدين -فإنهن يرتدين ملابس مناسبة: فساتين الزفاف، وملابس التعميد، وملابس الحداد، ورجالهن في البزّات الداكنة المعتادة. إنها تمثل دور المؤمن أو الشخص الخرافي أو المتشكك -ولكن في الواقع عقولهن

موجودة في مكان آخر. إنهن غير مهتمات بتكهنات الذكور حول إمكانية المشي على الماء، أو تحويل الماء إلى نبيذ بالسحر، أو تحقيق الحَمْل الطاهر. كالعادة، لا يتمحور اهتمامهن حول جوهر الشيء، ولكن حول إمكانيات استغلاله. إذا أراد رجل من ديانة أخرى الزواج من امرأة وطالبها بتغيير ديانتها مقابل وعده بالعمل من أجلها، فلن تتردد أي امرأة للحظة.

تضرعات تجارية

بالنسبة إلى معظم الرجال، فإن كل ما تبقى من العقيدة الدينية للطفولة هو بعض ردود الفعل السلوكية المشروطة، مثل حب الحقيقة، والتمتع بالعمل الصادق والجاد، أو المتعة في عدم الحرية. من وجهة نظر أخلاقية يضمن وجوب ممارسة الكذب لكل شخص، إنه يساعدنا على درء محاولات المجتمع الجريئة في كثير من الأحيان للإشراف علينا وبالتالي تقليل معركتنا الشخصية من أجل الوجود، عيب الكذب هو أنه إذا فعله الجميع فإنه يفقد فائدته، حتى المغفل الذي يصدق بالأشياء غير الحقيقية، فإنه يصنع في خياله حبا للحقيقة ويفترض أن حب الآخرين له حبا حقيقيا.

وبالتالي تصبح للكذبة رفاهية لها قيمة نادرة، يجب الحفاظ على القيمة النادرة عن طريق التشويه المستمر لصالح الكذابين. لذلك، من المهم جداً للنساء أن يعلّمن الرجال حب الحقيقة: لأنه إذا كان يحب الحقيقة، فهل هي قادرة على تحمل ترف الكذب، لكي يبقى المجتمع المعاصر حياً يجب أن يؤمن الرجل بالحقيقة. إنهم يقومون بالعمل، ولا يوجد نظام عملي منطقي يمكن أن يعمل على الأكاذيب. في النظام المتطور جداً للمجتمع المعاصر، حيث يتم تقسيم كل العمل، يجب أن يكون كل رجل قادراً على العمل مع الآخر والاعتماد عليه. إذا كان على الرجال أن يكذبوا عندما بدت اللحظة مناسبة، على سبيل المثال في أمور مثل مواعيد القطارات أو قدرات شركات الشحن أو كمية الوقود المتبقية في خزان الطائرة، فإن التأثير على نظامنا التجاري سيكون كارثياً. في غضون فترة زمنية قصيرة جداً سيكون هناك فوضى عارمة. النساء من جهة أخرى، يمكن أن يكذبن بضمير مرتاح. إنهن لا يشاركن في العمل، لذا فإن أكاذيبهن ستلحق الضرر بشخص واحد فقط -عادة ما يكون هو الزوج. وإذا لم يتم اكتشافها، فهي ليست كذبة على الإطلاق -إنها «مكر أنثوي». الجريمة الوحيدة التي لا تندرج تحت هذا العنوان هي الخيانة الجسدية التي لن يغفرها الرجل. نظراً لكون الرجل متكيفاً مع أسلوب النساء في إذلال الذات سيبدو من الطبيعي له أن النساء، هذه المخلوقات الضعيفة الاتكاليّة، سوف يستخدمن مكْرَهنّ كونه الطريقة الوحيدة التي يمكن أن يأملنَ

أن تساعدهنّ في توجيه هذا العملاق القوي المهووس بالجنس، هذا «الحيوان» التعيس البائس. لا عجب أن تتحدث النساء بصراحة عن مكرهن بعد أن أثبتن نجاحه، سوف تقرأ عن ذلك في واحدة من وسائل الإعلام المفضلة لديهن المجلات النسائية. تقوم الأمهات بإعطائهن لبناتهن كنصائح. لم لا؟ هذا له ما يبرره تماماً، نظراً لأن كل راحتهن تعتمد عليه، لأنهن كثيراً ما يجبرن على استغلال نفس الرجل، أولاً زوج الأم وبعد ذلك ربما إذا كانت الأم تعيش تحت نفس السقف، زوج الابنة. ففي النهاية، كل راحتهن المستقبلية تعتمد على ما إذا كان الرجل سيخضع لمكرهن.

بالطبع، لن تمنع النساء الرجل علناً من الكذب. إنهن ببساطة يربطن الكذب مع الاشمئزاز. يتم ذلك بسهولة عن طريق نظام الإيمان الديني المختار الذي يربط الكذب بفكرة العقوبة الخيالية، أو عن طريق نوع من السحر الشخصي. إذا أخبرت الأم طفلها ألا يكذب عليها لأنه أمر «سيء»، سيكون لديه تلقائياً شعور بالذنب إذا فعل ذلك. إنها لا تحتاج حتى إلى أن تكون محددة بشأن هذا «السوء». فالطفل يصدقها تصديقاً أعمى، ويعتمد عليها، ويعتمد على ما تخبره إيّاه. إنه يعتقد أنها لن تكذب أبداً. هذا هراء بالطبع لأن الأمهات يخبرن أطفالهن باستمرار بأكثر الأكاذيب وضوحاً ووقاحة. السحر نفسه يتدخل في وقت لاحق عندما تقنع امرأة زوجها بأن الخيانة الزوجية هي شيء رهيب وقذر: «يجب ألا تخونني أبداً»، أو إذا صادف أنها إحدى تلك الزوجات «المتسامحات»: «إنه ليس بالأمر السيء جداً أن تخونني، لكن يجب ألا تهجرني تحت أي ظرف من الظروف». يا لها من امرأة كريمة! وسوف يطيع أمرها، لأن الأمر هكذا دوماً، دون أن يشكك في مبرراته. سينام مع امرأة أخرى من حين إلى حين، لكنه نادراً ما يهجر زوجته، على الرغم من أن اعترافها بعدم اكتراثها اللامحدود ينبغي أن يكون إشارة له بأن يتركها على الفور! هناك حالة واحدة فقط في حياة الرجل ستجعله يكذب، وذلك عندما ينام نتيجة لرغبة مكبوتة مع امرأة أخرى، على الرغم من أنه يحب زوجته كثيراً. إنه خائف للغاية من العواقب المحتملة (قد تفعل هي الشيء نفسه وتخونه!) لدرجة أنه سيعاني من أشد أنواع عذاب الضمير إيلاماً بدلاً من الاعتراف بالحقيقة. ولكن إذا كان قد حطم السيارة فحسب، بل وربما قتل شخصاً ما في الحادثة، وإذا كان قد خان شخصاً آخر، أو أخذ يوم إجازة من العمل، فهو يفضّل أن يريح ضميره ويخبرها. ردود فعل المرأة هي عكس ذلك تماماً. سوف تلتزم الصمت حيال كل شيء ما عدا اهتمامها برجل آخر أو اهتمام ذلك الرجل بها؛ إذا تم جذب رجلين أو

ثلاثة رجال آخرين، فستستغل الموقف لصالحها من خلال الإعلان عنه في الحال. تخبر زوجها فقط لتحرص على أن يعرف أن هناك شخصاً آخر سيعتني بها إذا لزم الأمر. هذا وحده يكفي لتوجيه الرجل وزيادة معدل إنتاجه على الفور.

لقد ذكرنا سابقاً رغبة الرجل في أن يكون غير حر. هذا يؤدي إلى الحماس الديني والصلاة وهي حقيقة لا تزال قائمة حتى اليوم، لأن أغاني البوب ليست سوى نسخة معدلة من صلوات الطفولة. تم استبدال إله الأيام السابقة بشكل مريح من قبل آلهة امرأة، والتي هي في متناول اليد تماماً. سعادة الرجل تعتمد حقاً على المرأة. حتى محتوى الصلوات يبقى فعلياً نفسه: التوق إلى خضوع النفس لقوة أعلى، أو التماسها كي تستمع إليه وتكون رحيمة، أو ببساطة تمجيدها.

لا يهم ما إذا كان أحد يقول «لذلك خذ بيدي...» أو «ويدك اليمنى ستحملني...» أو «طر بي إلى القمر...» كل هذا هو نفسه في النهاية. لا تزال بعض السجلات الحديثة تمجّد الله القديم ولكن اختيار الكلمات فقط يدل على أنها لا تشير مباشرة إلى النساء: «أنت الذي تجعل كل شيء ينمو». الصلوات والأغاني الدينية تهدئ القلق الوجودي. إنهم يحتكمون للـ «أنا العليا» التي تعتمد عليها كل نزوات السعادة. تسمح لنا هذه الأنا العليا بالاسترخاء وتقبل الحياة، وتحررنا من السعي لتحقيق السعادة، لأن كل شيء يكمن في أيدي إلهنا. عندما يكبر الرجل يزداد خوفه. لقد أصبح مدركاً سبب وجود مبرر له، وتزداد رغبته في التخلي عن الأشياء بشكل متزايد، هذه الحاجة للاسترخاء لبضع لحظات على الأقل الاستسلام لهذه القوة القديرة. في الأيام الخوالي اعتاد الرجال المثقفون اكتشاف مخاوفهم من خلال كتابة قصائد الحب التي كانت تحل محل الصلاة وتهدئهم. في الوقت الحاضر أصبح هذا الشكل من العشق غير مجدي. يزداد الاعتماد الحالي على أغاني البوب -الرغبات المظلمة للرجال، التي يتم تسويقها بشكل طبيعي على نفقتهم الخاصة -وكلمات هذه الأغاني، أغاني البيتلز، على سبيل المثال، ترضي أرقى الأذواق. هناك، بالطبع، نزر قليل من الأغاني التي تُغنّى بشكل خاص في مدح الرجال. هذه الأغاني القليلة عادة ما تكون أول الأغاني التي أصبحت شعبية عندما أداها مغنّي ذكر ثم غنّتها امرأة. ولكن عموماً تغنّي النساء التراتيل فقط للحب، حيث أن الرجال يحتاجون إليها من أجل الحب، والأمر تقريباً مثل غناء التراتيل لأنفسهن. ومع ذلك، اكتشفت النساء في مرحلة ما أن بإمكانهن غناء أغاني المديح الخاصة بهن دون أن يكون الأمر واضحاً

أكثر من اللزوم، ومنذ ذلك الحين توقفت النساء عن القلق. إنهن يمتدحن روعتهن، وتقلبهن، وقسوتهن، والرضا عن النفس الذي يقدمن به أنفسهن للرجال -سواء لإنقاذهم أو تدميرهم. عندما غنت مارلين ديتريش في *The Blue Angel* أن «الحب هو عالمي وطبيعتي ولا شيء غير ذلك»، «كل ما يمكنني فعله هو ممارسة الحب وهذا كل شيء»، و «يرفرف الرجال حولي ويزدحمون مثل العث ولا أستطيع كبح نفسي» لقد كانت تعبر عن هذه المشاعر فقط. إذا كان يمكن للمرأة أن تفكر في نفسها على أنها إلهية، فإلى أي مدى يجب أن تكون إلهية! في الحياة الواقعية، بالطبع، النساء أكثر براعة في استغلالهن لجنس الذكور من ذلك الفيلم. إنهن لا يدمّرن الرجال على الفور – بل هن مستعدات تماماً لقضاء حياة كاملة في فعل ذلك. بعد كل شيء، من سيقتل إوزة تضع الكثير من البيض الذهبي؟ هذا هو السبب في أن الرجال تمكنوا من الضحك على الشخصية البائسة للبروفيسور أونراث بدلاً من أن يتعرفوا فيه على صورة لأنفسهم. فكروا في نجاحات نانسي سيناترا الرائعة، التي تقول الشيء نفسه بطريقة مختلفة قليلاً:

هذه الأحذية مصنوعة للمشي

وهذا ما ستفعله فقط

في أحد هذه الأيام

ستمشي هذه الأحذية فوقك!

ضربة حقاً! - لأنها تلبي حاجة الرجل وشوقه لإلهة قاسية من جهة – وتلبي ادعاء المرأة بالقدرة الكاملة من ناحية أخرى.

التأقلم الذاتي

ستكون فكرة أي مدرب هي تهيئة حيوان ليصل مستوى الاعتماد على ترويض نفسه. هذا شيء لا يزال واجب التحقق، لكن الرجل ليس حيواناً، وهنا ستأتي النقطة –لماذا– يستمر بمواصلة تدريبه الخاص، لأنه أكثر ذكاءً من مدربته الأنثى، سوف ينجح هذا فقط طالما أنه لا ينسى أبداً الهدف من تعليمه ويضع المكافأة والعقاب نصب عينه في جميع الأوقات. يعد عالم أغاني البوب أحد الأمثلة على جهود الرجل في التلاعب بالنفس، أفضل مثال على التكييف الذاتي، موجود في صناعة الإعلانات، في الإعلان، لا يجعل الرجل من المرأة مثالية بسبب ميل مازوشي لديه إنها مجرد مسألة بقاء، فقط المستغلون أي النساء لديهن ما يكفي من الوقت والمال لشراء واستهلاك جميع منتجاته، لتزويد المرأة التي تسكن بيت مزرعته بالقوة الشرائية، ليس أمامه من خيار سوى تشجيع جحافل من النساء الأخريات اللواتي يشعرن بالانتشاء مثل ارتياح زوجته في الإنفاق. سوف يشترين حينها بضاعته لتبقي زوجته على مصروف الجيب، هذه هي بداية حلقة مفرغة –وهي حلقة مفرغة تتحول بشكل أسرع وأسرع حتى لا يستطيع مواكبة الأمر ويتعين على شخص آخر تولي المسؤولية. ليس هناك خروج أو هروب، تدرس معاهد أبحاث السوق ما يحبون أن يطلقوا عليه اسم المحفزات الأنثوية ثم تبيع اكتشافاتها للمصنعين. ثم يسارع المصنعون إلى سد هذه الفجوات المزعومة في السوق الاستهلاكية، كما لو كان هناك في الواقع مثل هذه الأشياء. أو في بعض الأحيان يعملون في الاتجاه المعاكس. يخترع المنتج سلعة جديدة يعتقد أن النساء قد يلجأن إليها ثم يستأجر وكالة إعلانات لخلق اهتمام المستهلك الضروري –أحياناً ينجح وأحياناً يفشل. الهوس الأمريكي للمنازل الجاهزة على سبيل المثال، لم يتفشى إلى حد كبير في أي من الدول الأوروبية. كل بضع سنوات تنطلق موجة من السخط في صفوف الذكور نتيجة لهذا التعزيز الباهظ لجنون الإناث للاستهلاك لقد أعمتهم الصورة النمطية للمرأة كضحية لاستغلال الذكور لدرجة أنهم لا يدركون أنهم هم في الحقيقة من يعانون فهم يؤكدون أن سخافة المرأة وسذاجتها، أي الطبيعة «الغبية» لها يستغلها المعلنون بغرض زيادة المبيعات.

يوماً ما، سيسأل الرجال أنفسهم من يتم استغلاله حقاً؟ هل هو المخلوق الذي يتم البحث عن رغباته الأعمق وتنفيذها والوفاء بها، أم هو ذاك الذي في رغبته في استبقاء مشاعر المرأة، يبحث عن رغباتها وينفذها ويلبيها؟ لطالما كانت واحدة من أعظم أهداف الرجل في الحياة تحقيق رغبات المرأة الأعمق، في الواقع توقُّع كل رغباتها، كما لا يزال خيال المرأة المعاصرة يضعها. لقد حققن هدفهن: من الناحية العملية، لم تُترك أية رغبة نسائية غير مكتشفة وربما قليلة جداً الرغبات التي لم يمكن تحقيقها إلى الآن والنتيجة هي أن النساء يزددن غباءً، بينما الرجال يصبحون أكثر وأكثر ذكاءً. تتسع الفجوة بين الجنسين باستمرار، مما يجعل الفهم المتبادل مستحيل الوقوع ولكن لا يبدو أن أحداً يلاحظ. أحد المبادئ الأساسية لعلم الأحياء هو أن الذكاء يتطور فقط في مواجهة التحفيز التنافسي ومع ذلك، تقف النساء خارج كل مجال تنافسي، إن وفرة وسائل الراحة الحديثة تبلد أدمغتهن، وتقلل ما تبقى من قدرتهن على التفكير، الرجل على عكس ذلك، مدفوعاً بالحاجة إلى خلق هذه الراحة، وفتح مصادر جديدة للدخل، يتعين عليه بذل المزيد والمزيد. إن الجنس الأنثوي، المحاط بهذه الراحة المتزايدة باستمرار، يتغير إلى الأسوأ.

كان مفهوم الأنوثة ينطبق على المرأة التي لديها قدرة على إنجاب الأطفال، تم تطبيقه أيضا على الفساد. يجب توسيع التعريف ليشمل البلاهة. إذا كان ماركس محقاً، وحددت كلمة «كائن» إلى أي مدى يكون الرجل «كائن واعي»، فإن حبوب منع الحمل، على سبيل المثال، ستحدد الأعراف الجنسية وستوقف القنبلةُ الذرية أيديولوجيات السلام؛ بالقدر نفسه، أصبح الوعي الذاتي للمرأة الغربية، التي تغير وضعها في الحياة ("تحسنت") بشكل أساسي على مدار العشرين عاماً الماضية، في حالة تحوُّل حاد. هذا التحول، الذي لا يمكن أن يؤدي إلا إلى تسفيه المرأة المطلق، هو أكثر خطورة لأنه لا يبدو أن أحداً قد لاحظ ذلك. لم تعد تُخلق صورة المرأة من قبل المرأة بل عن طريق الإعلان –أي من قبل الرجل –وإذا كان أي شخص حتى يبدأ في الشك في حقيقة قيمة المرأة، فهناك مئة من شعارات الإعلانات المستعارة الجاهزة لدحض مثل هذا الفكرة، الإعلان يقول إن المرأة بارعة وذكية وخلاقة ومبدعة ومحبوبة وعملية وقادرة تبتسم بلطف، بمظهر الإلهة، توزع أحدث اكتشاف في المشروبات الفورية على الفراخ الممتنين لها، تتبعها عيون زوجها بعشق وهي تقدم له وجبة جديدة مطبوخة، أرقى بكثير من ذوقه أو ربما تسلمه منشفة تركية أكثر ليونة من المعتاد –نتيجة لغسلها بمسحوق جديد، تتكرر هذه الصورة للمرأة، التي أنشأها الرجل من أجل بيع

سلعه، بلا توقف بمساعدة وسائل الإعلام في جميع أنحاء نصف الكرة الغربي؛ وكل يوم يتم تعزيزه. كيف يمكن لأي شخص أن يجرؤ على الاعتراف، حتى لنفسه، بأن النساء في الواقع غير مبدعات أو غبيات أو غير حساسات؟

من الواضح أنه سيكون من المبالغ فيه توقُّع شيء من النساء –وهو اعتراف لا يستطيع الرجال تحمل ثمنه. المرأة تشتري، الرجل يبيع. لكن لا أحد يقنع الزبائن بقوله: «إنه جيد. عليك شراؤه». بدلاً من ذلك نقول: «أنت رائع! تستحق الأفضل. لماذا يجب أن تتعامل مع أي شيء أقل؟ لقد اكتسبت راحتك – يحق لك ذلك!» لذا، علاوة على كل شيء، على الرجل أن يتملق المرأة لأنه يحتاجها كزبونة، من اللافت للنظر أن الخدعة التي يستخدمها الرجال هنا تبدو مشابهة لتلك المستخدمة من قبل النساء لتدريب الرجال لكن، للأسف، الأمر ليس كذلك، لأن الرجل يحولها ضد نفسه، فهي تشيد به لحمله على العمل من أجلها، لكنه يمتدحها ليجعلها تنفق أمواله. إذا كان رجل يجامل ويتحدث مع زوجة جاره لشراء سجادة جديدة من الجدار إلى الجدار لغرفة معيشتها، فعليه أن يدرك أن هذا الجار نفسه سوف يبيع زوجته حوض استحمام في اليوم التالي. وإلا كيف يمكن أن يدفع ثمن السجاد؟ يقع الرجل في فخ من صنع يديه، وبينما أصبح في الخارج النضال من أجل المال أكثر وأشد ضراوة، أصبحت زوجته في المنزل أكثر غباءً، ومن يوم إلى آخر يمتلئ منزله بمزيد من الخردة، وبالتالي يمول هذا الأمر تحقير زوجات منافسي زوجها.

الرجال، الذين يفضلون في الحقيقة الأمور السهلة والعملية، يجدون أنفسهم كل يوم متورطين بعمق في إطار البهرجة الزائدة وكل أنواع الزخارف، في غرفهم المعيشية تتراكم القطط الخزفية والبارات الطاولات الزجاجية والشمعدانات والوسائد الحريرية، في غرف نومهم تكون الجدران مغطاة بزخارف نباتية. في خزاناتهم، تصطف عشرات الأنواع المختلفة من النظارات؛ وإذا كانوا يبحثون عن مكان لوضع شفرات الحلاقة في الحمام، فإن جميع الرفوف تكون مملوءة بآلاف الكريمات ومستحضرات التجميل الخاصة بزوجاتهم. من المثير للاهتمام أن المنتجات الوحيدة التي يتم بيعها تقريباً هي تلك التي تعود بالنفع على النساء: السيارات الرياضية (التي تغريها)، أو السلع الفاخرة (للنساء)، أو الأدوات المنزلية (أيضاً للنساء، لأن المنزل يخصها فعلياً –الرجل هو، في الواقع، مخلوق متشرد، دائم التنقل بين المكتب والمنزل). سيكون من دواعي سرور النساء شراء الأشياء لأزواجهن في أي مناسبة، وذلك باستخدام أموال هذا

الزوج بالطبع (يقدّمن ربطات العنق والقمصان الرياضية ومنافض السجائر والمحافظ، كلما أمكن ذلك)، المشكل هو أن الرجل يحتاج إلى القليل جداً: ملابسه موحدة، وبالتالي فهي غير مكلفة؛ استهلاكه من الطعام والشراب مقيد في حالة تأثيره على قدرته على العمل؛ وليس لديه وقت لاستهلاك سلع أخرى - باستثناء السجائر التي يدخنها في العمل. بذلت الصناعة قصارى جهدها لجعل الرجال مهتمين بمستحضرات ما بعد الحلاقة أو بخاخات الشعر أو ملابس أوقات الفراغ الملونة، ولكن دون جدوى. الشباب هم وحدهم الذين سيتعاملون مع أحدث صيحات الموضة: مع ذلك، فإن إمكاناتهم في الكسب منخفضة للغاية بالنسبة إلى النساء، الرجال الأثرياء، الذين «تحبهم» النساء على أي حال، والفنانين، الذين يتصرفون كنوع من المهرجين أمامهن، يُسمح لهم بارتداء أحدث الملابس «الداخلية»، والشواذ ربما -ولكن ليس الرجل العادي.

مثال آخر على ذلك هو عيد الأب، الذي لا يزال غير شائع على الرغم من كل الإعلانات، في حين أن عيد الأم هو ثروة لكل المعنيين بالأمر، إن أفضل ما يمكن أن يفعله الرجال في يوم الاحتفال بهم هو الاعتزال في الحانة والحصول على بضع كؤوس من البيرة في سلام.

بصرف النظر عن الأكل والشرب والتدخين، فإن الجنس هو النشاط الوحيد حيث يكون الرجل مستهلكاً مستقلاً: يجب أن يكون قادراً على تلبية رغباته الجنسية فلا عجب أن يتم تكريس فروع كاملة من الصناعة لهذه التجارة، مع الاستفادة من هذه الحاجة لجعله أكثر شهوانية وإقناعه بشراء السلع التي تعمل فقط على زيادة رغبته، إرضاء تلك الرغبة، بالطبع، هو مسألة أخرى، يجب أن يكون ذلك من قبل امرأة بالسعر المتعارف عليه، ولأن شركات كهذه عادة ما يديرها رجال، فمن أجل أن يعيش الرجل يجد نفسه في وضع محرج وهو الاضطرار إلى جعل زملائه من الذكور منغمسين في الملذات. إنه يزيد رغبة الذكور في النساء بكل طريقة يمكن تصورها يعمل إلى حد كبير مثل ألكساندر بافلوف وكلبه، وينشئ ردود أفعال مشروطة. جعل بافلوف لعاب كلبه يسيل بمجرد رنين الجرس الذي يعني «العشاء». في هذه الحالة، يشجع الرجل زملائه الرجال على الانتصاب من خلال إنتاج صور لأثداء نصف عارية، من خلال تنهد مثير للعواطف في أغنية مشهورة، ربما، أو عن طريق كتابة جملة معينة في كتاب! هذا هو السبب في أن الرجل سوف يخترع مجموعة كاملة من طرق إثارة الانتصاب، والتي سيتعين على رجل آخر دفع ثمنها. وبالطبع،

فإن هذه الآلية لا تجلب العائدات لمصنّعي الجنس فقط. تستفيد جميع الصناعات الأخرى من ذلك أيضاً. تُباع الهدايا التي يشتريها الرجال لنسائهم عن طريق صورة لنهد أنثوي جذاب. سيقرأ رجل كتاباً أو يشاهد فيلماً لأنه يأمل أن يمنحه انطلاقة وكتأثير ثانوي، فقد يشعر فجأة بالرغبة في التجول حول العالم مع زوجته، أو شراء كوخ في الجبال لعطلة نهاية الأسبوع، أو الحصول على سيارة رياضية. تزودنا مجلة بلاي بوي الأمريكية للرجال بأحد أفضل البراهين على أساليب الرجل في التكيّف الذاتي. «محشوراً بين أزواج رائعة من النهود العارية» هي مقالات ممتازة ذات طبيعة نظرية للغاية للترفيه عنه ولمنحه فترة راحة بين أوقات الانتصاب. كل هذا مبطن بعروض السيارات باهظة الثمن والمشروبات الكحولية والملابس غير الضرورية ولوازم المدخنين. النساء يتعرضن للإهانة الشديدة من قبل مجلات كهذه. لكن الرجال فقدوا كل شعورهم بالبشاعة في هذه الحالة، فقد أصبحت عبادة صدر المرأة شيئاً مستقلاً تماماً بلا شخصية. أقنعت صناعة الجنس الرجال في كثير من الأحيان وبنجاح كبير أن أثداء النساء موجودة لجذبه، لدرجة أنه نسي الهدف الحقيقي من وجودها. لقد كان التضليل ناجحاً تماماً: نتيجة لاختراع بدائل حليب الأم، نادراً ما تكون لديه فرصة لمشاهدة رضيع يرضع من ثدي أمه.

الأطفال كَرَهائن

الأطفال محببون وهذا في حد ذاته ليس سبباً لإنجابهم. إن خلق طفل هو في الواقع خلق شخص بالغ -رجل أو امرأة-، معظم الرجال البالغين يعيشون في حالة من الجحيم الدائم، وسعادة معظم النساء بهم لا تقتصر على كونها فطرية بل يتم الحصول عليها في الغالب على حساب الآخرين، بحيث لا يكون هناك مبرر لإعادة إنتاجهم. سيكون من الخطأ التأكيد على أن النساء هن فقط من يهتم بإنجاب الأطفال. الرجال يريدونهم أيضا. الأطفال هم أحد الأعذار الاثنين أو الثلاثة التي يبررون من خلالها خضوعهم للنساء. تحتاج النساء من ناحية أخرى إلى الأطفال لتبرير كسلهن وغبائهن وانعدام مسؤوليتهن، كلا الجنسين يستغلان الطفل لتحقيق أغراضهما الخاصة. على الرغم من أن العالم كله مليء بالأيتام المتضورين جوعاً، إلا أن كل زوجين ينتجان أطفالاً خاصين بهما. يجب أن يكون لدى الرجل سبب للاستعباد عندما تتراجع قوته الجنسية لاحقاً، وهذا السبب يجب أن يفسر أيضاً عبوديته لامرأة معينة. هذا بسيط. فهي بعد كل شيء أم أولاده. نظراً لأن المرأة هي العذر لإخضاعه، فيمكنه الحصول على واحدة فقط في كل مرة (في كل مجتمع صناعي، يكون الرجل متوحداً -أي الزواج الأحادي)؛ أكثر من إله واحد (امرأة) سيزعزع أمانه، ويقوده إلى التشكيك في هويته، ويعيده إلى حالة الحرية التي يحاول الهروب منها باستمرار، أسئلة مثل هذه لا تهم المرأة، نظراً لأنها لا تفكر بشكل تجريدي، فإن مشاكل القلق الوجودي لا تمسها ليس لديها حاجة إلى معبود لإعطاء معنى لحياتها كل ما تحتاج إليه هو عذر لجعل رجل واحد يعمل لها لفترة طويلة بعد أن يتوقف عن الرغبة في الذهاب إلى الفراش معها. يتم توفير هذا العذر عن طريق حمل أطفاله إذا كان عدد الرجال يفوق عدد النساء بثلاثة إلى واحد، فلن تتردد المرأة في إنجاب طفل من كل واحد من الرجال الثلاثة وترك كل منهم يعمل من أجل طفله، أي من أجلها، وتتلاعب بالرجال الثلاثة لتجعلهم ضد بعضهم البعض. إنجازاتهم -وراحتها -ستزداد بشكل كبير. من المفاهيم الخاطئة الشائعة أن المرأة أقل ميلاً إلى تعدد الأزواج من الرجل. عندما ينجب الرجل أطفالاً، فإنه المرأة تجعلهم رهينة على أمل استغلال الرجال إلى الأبد هذا هو الشيء الوحيد الذي يمنحه نوعاً من الاستقرار، والطريقة الوحيدة لتبرير عبوديته

الحمقاء والتي كان مشروطاً بها، هو حينما يعمل من أجل زوجته وطفله، يصبح الأمر أقل أهمية فهو يدعم إنسانين معيّنين لا يعتنيان بنفسيهما (أحدهما لن يعتني بنفسه لأنها أنثى، والآخر لا يستطيع ذلك لأنه صغير جداً): لأنه يعمل لنظام يحتضن كل شيء فقير وعاجز وبحاجة إلى حماية في هذا العالم (فقير وعاجز ويحتاج إلى حماية على هذا النحو) والذي حسب اعتقاده يحتاج إليه حقاً.

بفضل الزوجة والطفل، حصل الرجل على عذر ومبرر مصطنع لوجوده البائس، لإخضاعه، هو يسمّي هذا النظام الذي تم إنشاؤه بشكل تعسفي هذه الوحدة المقدسة «عائلته»، فتَقْبل المرأة خدماته باسم «العائلة»، وتقبل الرهائن الذين يعهد بهم إليها، وتشرع في تنفيذ رغباته من خلال ربطه بها بإحكام أكثر من أي وقت مضى وابتزازه حتى يموت. ولمن الربح؟ لها.

يحاول كل من الرجل والمرأة الكسب فقط من خلال إنجاب الأطفال -وإلا ما كانا لينجباهم، تكمن ميزة الرجل في حقيقة أنه يعيش حياة أكثر جدوى وأنه قادر على أن يصبح عبداً للأبد – وتملك المرأة كل المزايا الأخرى، فيجب أن يكون هذا جديراً بالاعتبار، لأن أي امرأة اليوم لديها الخيار بين الحياة المهنية أو إنجاب الأطفال، وجميعهن تقريباً يخترن الأطفال قد يشير هذا إلى أن النساء يقررن ما هو لصالح البيت والأسرة لمجرد أنهن يحببن الأطفال، لكن النساء غير قادرات على الحب غير المشروط الذي يجب أن يحصل عليه الطفل، يمكن إثبات ذلك بسهولة. النساء يهتممن فقط بأطفالهن، وليس بأطفال الآخرين لن تَقبل المرأة طفلاً ليس من لحمها ودمها إلا عندما تكون غير قادرة جسدياً على امتلاكه (وهذا فقط بعد تجربة كل شيء -بما في ذلك التلقيح الاصطناعي من قبل متبرع مجهول).

على الرغم من أن دُور الأيتام في جميع أنحاء العالم مليئة بالأطفال المحتاجين وعلى الرغم من أن الصحف والتلفزيون تقدم تقارير يومية حول عدد الأطفال الأفارقة أو الهنود أو الأمريكيين الجنوبيين الذين يتضورون جوعاً حتى الموت، فإن المرأة تفضل إعطاء مأوى لكلب متشرد أو قطة بدلاً من أن تعطيه لطفل منبوذ. لكنها تتظاهر بحب الأطفال، ستقدم أي مجلة إخبارية الأرقام المتعلقة بالمعدل المرتفع للولادات غير الطبيعية كل عام (واحد من كل ستين طفلاً لديهم ماء في الدماغ، أو أطراف مفقودة، أو عميان أو صمٌ أو متخلفون عقلياً)، لكن النساء لا يَثْنِيهن شيء، و-كما لو كانت النساء تحت تأثير تعويذة

شريرة -يواصلن إنجابهم الواحد تلو الآخر. إذا أنجبت امرأة طفلاً مشوهاً أو منغولياً فإنها لا تشعر أبداً أن حبها لذاتها قد تم فضحه أخيراً، وأن عليها تحمل المسؤولية الكاملة عن الكارثة. كأم لطفل ضعيف، سوف تُعامل كما لو كانت شهيدة، باحترام وإعجاب وإذا لم يكن لديها طفل بالفعل، فسوف يصبح لديها طفل آخر في أقرب وقت ممكن، طفل «عادي»، مثل أطفال النساء الأخريات، لتثبت أنها هي بصحة جيدة. لن تفكر أبداً في أنها تجبر هذا الطفل الثاني الذي يتمتع بصحة جيدة على قضاء شبابه كله بل حياته كلها بصحبة معتوه. من الصعب إثبات أن النساء لا تحب الأطفال حقاً، وأنهن يستخدمن هؤلاء الأطفال فقط من أجل مصالحهن الخاصة، بعد كل شيء، لا يخلو الحمل والولادة ورعاية الرضيع من درجة ما من عدم الرضا وعدم الراحة. ومع ذلك، فإن هذه العوامل غير مهمة عندما ينظر المرء إلى ما تحصل عليه المرأة مقابل ذلك: الأمن مدى الحياة، والراحة، والتحرر من المسؤولية. ما الذي يجب على الرجل فعله لتحقيق وضع يشبه وضع المرأة؟

هذا الحمل ليس مزعجاً كما هو مذكور، وكما وصل حتى الآن إلى مسامع الرجال. تشعر الكثير من النساء بصحة أكبر أثناء الحمل، وقد أصبح من المألوف الاعتراف به علانية وبكل صراحة. لماذا يجب أن يقلقن إذا ظهرن قبيحات وغير جذابات، أجسادهن متكتلة، بشرتهن متهتّكة، شعرهن خشن، وأرجلهن متورمة؟ إنهن لا يسعين وراء رجل الآن. لديهن بالفعل واحد. بالطبع، ليس لديه خيار سوى مشاهدة فراشة وهيه تتحول إلى يرقة. لقد فعلها، بعد كل شيء! إنه طفله الذي تحمله في أحشائها، طفله هو الذي يشوهها. ما الحق الذي يملكه في أن يجدها خرقاء ومثيرة للاشمئزاز؟ بعد كل شيء، إنها تفقد شبابها بسببه، فيما يتعلق بالولادة بحد ذاتها، فإن الأوهام التي لا تزال تحيط بها تثير القشعريرة لدرجة أنه لن يخطر أبداً للرجل أن المرأة تنجب الأطفال من أجل مصلحتها هي وليس من أجله، إن عبارة «قدمت له طفلاً»، التي كانت شائعة جداً في روايات القرون السابقة، ربما لم تعد مستخدمة في الأدب المعاصر، ولكن تم ترسيخها في وعي الرجال، وعندما يأتي الأبناء، فإن الرجال يمتلئون بمشاعر الذنب بسبب معاناة المرأة (وليس معاناة المولود الجديد، يرجى ملاحظة ذلك) ومع ذلك، يتعين على الرجل فقط أن يتخيل أنه مقابل قضاء ست ساعات عند طبيب الأسنان، سيُعرض عليه الراحة مدى الحياة: من المؤكد أنه سيقبل مثل هذا العرض. بالطبع، تحدث الولادات الصعبة، لكنها كقاعدة غير مؤلمة منذ ظهور التخدير، بشكل عام، لا

تعاني المرأة أثناء الولادة أكثر مما تعاني خلال جلسة طويلة عند طبيب الأسنان، وإن ما تخبره النساء للرجال عن الولادة عادة ما يكون مبالغاً فيه بوقاحة؛ الصرخات التي تصم الآذان الصادرة من غرف المخاض والتي تخترق آذانهم ليست أكثر من علامة على قلة ضبط النفس وقلة الاعتزاز التي تعاملنا معها مطولاً في أماكن أخرى، الولادة دون ألم موجودة منذ سنوات، من خلال التمرينات، يمكن للمرأة تدريب نفسها على إنجاب أطفالها دون تخدير أو إزعاج، سيكون من مصلحة المرأة أن تقرر ما إذا كان إنجاب طفل مؤلماً أم لا؟ طالما أن البعض يقول شيئاً والبعض الآخر شيئاً آخر، فإنهن يفقدن مصداقيتهن وبالتالي تتضرر مصلحتهن المشتركة، بطبيعة الحال، إن العجز المفترض والأعذار اللاحقة لقضاء حياتها في القيام بعمل سهل دون وجود رئيس عمل يأمرها هي ليست السبب الوحيد الذي يجعل النساء ينجبن الصغار. في يوم من الأيام، على سبيل المثال، قد تكتشف المرأة أن جسدها يعمل مثل ماكينة القمار، تضع فيه شيئاً ضئيلاً وحقيراً، ويخرج منه شيء مختلف ورائع بالطبع إنها تشعر بالإغراء لتجربة هذه اللعبة الرائعة وعندما تلعبها مرة، ستكررها مراراً وتكراراً، الأمر يعمل هكذا دائماً: بعد تسعة أشهر بالضبط، يأتي إنسان. إنها مندهشة وسعيدة تعتبر عملية تشغيل ماكينة القمار هذه شرعية بشكل أساسي كما يحدث عند ضرب شخص لشخص آخر على رأسه (وينهار الأخير على الفور)، لأنه ببساطة ممكن بيولوجياً. إذا لم تتضمن كل لعبة بآلة القمار «جسدها» بعض الجهد المستقبلي من قبل الرجل، فستصبح المرأة قريباً «لا تشبع» عندها ترسم الحدود: عند النقطة التي سيزيد فيها طفل آخر من عبء عملها ويقلل من أمانها وراحتها.

كقاعدة عامة، يتم تحديد هذا الحد بسهولة -عادة من خلال درجة الأوتوماتيكية في أي عائلة واحدة. في البلدان الصناعية المتقدمة، تهدف المرأة المتوسطة إلى إنجاب طفلين أو ثلاثة، في أميركة الشمالية، حيث تتم الأعمال المنزلية تقريباً بالكامل بالأجهزة الكهربائية، يكون الأمثل هو الأقرب إلى ثلاثة، في أوربة الغربية (حيث لم يتم استخدام بعض الأجهزة بعد)، يكون النموذج المثالي هو الأقرب إلى اثنين، نادراً ما يكون الطفل الوحيد مرغوباً فيه، وأكثر من ثلاثة يعتبرون معادين للمجتمع بسبب ضجيجهم ورائحة الغسيل. الطفل الوحيد لا يمنح أي فوائد، بل أضرار فقط. فمثلاً لن تبدو المرأة أبداً محمية ومرتبطة بمنزلها كما ينبغي لها أن تكون، بصرف النظر عن ذلك، قد يحدث شيء للطفل، ربما عندما تكون الأم قد تجاوزت سن الإنجاب، حينئذ لن يكون عندها أي عذر لوجود الأشياء المريحة من أجلها، ولن يكون لزوجها أي

سبب لمواصلة العمل من أجلها وحدها. أيضاً، الطفل الوحيد ليس لديه زميل في اللعب، وستضطر الأم للعب معه؛ إذا كان هناك أي شيء تبغضه المرأة، فهو اضطرارها للعب مع الأطفال، يشعر الأطفال بالفضول تجاه كل شيء على الإطلاق، لكن المرأة ليست لديها أية اهتمامات على الإطلاق باستثناء أشكال الترفيه الغبية القليلة التي يوفرها منزلها وجسمها حتى مع أفضل إرادة في العالم، يصعب على الأم الدخول في العالم المغامر للطفل قد يكون لديها ذخيرة صغيرة من العبارات المسرحية لتسلية طفل صغير يتعلم المشي ("انظر من سيأتي الآن")، ولكن عند بلوغه سن الثانية، يبدأ الطفل في التفكير بنفسه وتُترك المرأة. لا يمكن تطبيق الكليشيهات الخاصة بالمصالح المشتركة بين الأب والابن (الأب لا يستطيع أن يتوقف عن اللعب بنماذج السكك الحديدية الخاصة بابنه) على الأم والابن، ولا حتى على الأم وابنتها. إذا بذلت المرأة جهداً وقضت نصف ساعة في اللعب مع طفلها (إذا قضت وقتاً أكثر قد تعيق نموه العقلي)، فهي تخبر العالم بأسره، كما لو كان إنجازاً رائعاً، وهو بالطبع كذلك من حيث إنكار الذات، ومن الضروري وجود طفلين إلى ثلاثة أطفال لضمان الأمن المادي والسماح للمرأة أن تبدو عاجزة وغير قادرة على كسب لقمة العيش، وهذا يقلل من خطر الشيخوخة دون أطفال أو أحفاد يثبتون احترامهم وحبهم، وامتنانهم لها لكونها أم وجدة جيدة. علاوة على ذلك، يتسلى الأطفال مع بعضهم البعض، ويتركون الأم حرة في الأعمال «الأسمى»، الخياطة، على سبيل المثال، أو الخَبز. تقتصر رعايتها الأمومية على حبس الأطفال معاً في غرفة واحدة والدخول إليها فقط عندما يصاب أحدهم بأذى ويصرخ بصوت عالٍ بما يكفي لاستدعائها.

ويترتب على ذلك أن تربية وتدريب طفلين أو أكثر أيسر بكثير من تربية واحد فقط، لغرس الطاعة في الطفل الوحيد، يتعين على الأم تطوير أساليبٍ معقدة للاحتيال عليه وإقناعه بما تريد، وجعله يرى المنطق؛ أو يجب أن يعاقب، ولأن هذا مصدر إزعاج، فإن الأم عادة ما تتركه للأب، من ناحية أخرى، يمكن تدريب العديد من الأطفال عن طريق الابتزاز العاطفي نظراً لأنهم جميعاً يعتمدون على موافقة والدتهم، يتعين عليها فقط أن تظهر تفضيلاً بسيطاً لأحدهم وسوف يفعل الآخرون أي شيء تطلبه منهم، يعيش كل طفل في خوف دائم من أن والدته «ستسحب» حبها وتعطيه لشخص آخر، وإذا كان هذا الخوف لا يخلق عاطفة بين الأشقاء (كما لو أن المرأة تهتم!)، فهذا على الأقل يزيد من التنافسية والأداء لديهم؛ حتى لاحقاً، عندما ينضج الأطفال؛ سيظلون يتنافسون مع بعضهم البعض لكسب احترام والدتهم، فيرضي

الأبناء طموحاتهم في عملهم، والبنات في جمع الممتلكات، من وقت لآخر يجتمعون جميعاً معاً ويعودون إلى الأم. وبطبيعة الحال، تعتبر الأم هذا علامة على محبتهم وتود أن تسمي الاهتمام الذي يبديه أطفالها ببعضهم البعض لإحرازهم تقدماً «إحساسًا بالعائلة»، وفي مثل هذه الحالات، يقدم كل شخص بياناً عن آخر ممتلكاته، لكن كل هذه المزايا تتحقق عندما يكون هناك طفلان أو ثلاثة أطفال فقط. المرأة التي لديها أكثر من ثلاثة أطفال، عادة بسبب غفلة من جانبها أو بسبب معتقدات زوجها الدينية، سيكون لديها الكثير ليشغلها لبضع سنوات، حتى مع حرية تنظيم جدولها الزمني الخاص وبدون مسؤولية كسب قوتها اليومي. إن الشعور بالمسؤولية فيما يتعلق بالأطفال هو، في أية حال، غريب على المرأة. يستمر النشاط المتزايد فقط حتى يصل الطفل الأصغر إلى سن الحضانة ولكن هناك ميزة صغيرة أخرى في تكوين أسرة كبيرة –من غير المرجح أن يغادر الزوج قبل أن يكبر جميع الأطفال، الرجل الذي يترك زوجته مع أربعة أطفال أو أكثر، حتى لو كان لا يطيق رؤيتها أمامه للحظة أطول، يعتبر مجرماً تقريباً في مجتمعنا، ومع ذلك، وبحلول الوقت الذي يبدأ فيه الأطفال المدرسة، ينتهي معظم عمل المرأة. مرة أخرى، لديها ما يكفي من الوقت والمال للتمتع بنفسها إلى حد ما ستذهب إلى مصفف الشعر وترتب الزهور في المزهريات وتطلي أثاثها وفقاً لأحدث الاقتراحات في المجلات النسائية وتعتني بجسدها القيم. في معظم الدول الغربية، تستمر المدرسة طوال اليوم، وفي الأماكن القليلة التي لا يحدث فيها ذلك، ينشغل الرجال بنشاطهم المعتاد لتغيير النظام لقد أثبتوا من خلال أبحاثهم أن الأطفال الذين لا يتعرضون لتأثير أمهاتهم لمدة نصف يوم يمكنهم تطوير قدراتهم العقلية بشكل أسرع وبالتالي يمكنهم تحقيق إنجازات أكبر في وقت لاحق. إن التطبيق العملي لهذا الاكتشاف، الذي لا تعتبره النساء مهيناً على الإطلاق – فبعد كل شيء هنّ يفتقرن إلى شعور الرجل بالاحترام وبالتالي لا يمكن أن يتعرضن للإهانة بهذه الطريقة.

رذائل النساء

كومة الكتّان المكوية بعناية في الخزانة محفوظة، الشواء محمَّر بأتم وجه. الغُرّة في مكانها الدقيق تماماً -على الجبين-، طلاء الأظافر الزهري الخافت يطابق تماماً مورد الشفاه، غسيلها نظيف وجديد يرفرف في النسيم، عشرة أزواج من الأحذية تصطف نظيفة ولامعة في صف واحد، النوافذ ملمعة لدرجة تجعل المارة يغضون طَرْفهم لوهلة، ذهب الزوج للعمل في الوقت المحدد. الأطفال يلعبون في الشمس، كل شيء مثالي، وعالم المرأة منظم مئة في المئة، في وقت كهذا يبلغ شعورهن بالسعادة والسرور ذروته، وللتأكد من استمرار هذه البهجة، ستخبز المرأة بسرعة كعكة أخرى، أو ستسقي النبتة المقاربة لغرفة المعيشة، أو تواصل حياكة سترة لطفلها الأصغر. الذين لا يعملون لديهم ملذات مختلفة جداً عن أولئك الذين يعملون، تختلف فكرة الرجل عن الخمول تماماً فهي عنده أن تستلقي المرأة على أريكة تحيط بها الصحف -لذلك تبدو هي مجتهدة بالنسبة له- لا ترغب المرأة في البقاء في المنزل لمجرد الراحة (ما هوَ الشيء الذي ستلجأ للراحة منه بعد كل شيء؟) - فهي مدمنة على المتعة، وتحتاج لوقت لهذه المُتع وما هي تلك المُتع؟ خبز الكعك، وكي الغسيل، وحياكة الملابس، وتلميع النوافذ، وتنسيق شعرها، وطلاء أظافرها، وفي بعض الأحيان حتى -وسنأتي إلى هذا لاحقاً-تقوم ببعض المختصرات والكتابة، وللتأكد من أن لا أحد يدرك حقيقة أن هذا كله يمثل متعة بالنسبة لها، فإنها تصف هذه الملذات بأنها «أعمال منزلية». تنغمس في طقوس العبث من «النظافة الشخصية» فقط لإرضاء شريكها! وإذا كان أحد ملذاتها الصغيرة السخيفة هو الجلوس على منضدة في مكتب خارجي، وترجمة الأفكار الجاهزة (الجاهزة لأنه تم تقديمها من قبل رجال محترفين) إلى وسط مرئي، دعها تسميها «تحفيز العمل العقلي». بهذه الطريقة تنغمس المرأة وزمرتها في حفلة كبيرة دائمة ويعيشون في عالم من الحرية والسعادة العقلانية، بعيداً عن أي مسؤولية. إنهن يشغلن عالماً لن يجرؤ الرجل أبداً على أن يحلم به، وهو عالَم يعتقد أنه مُلك للهيبين، حياة يمكن العثور عليها، ربما في جزر بحر الجنوب الهادئة - ولكن ليس قريباً من منزله.

بالطبع، لن يكون هناك أي شيء يعترض عليه في هذه العربدة غير المؤذية من المتعة فقط إذا عرفها الرجال على حقيقتها لكن من المؤسف أن يفسدوا حياتهم الخاصة معتقدين أن النساء أسوأ، من المستحيل أن يتخيل الرجال أن هذه الأعمال تمثل السعادة للنساء، سيتعين عليهم أن يدركوا أنه من طبيعة المرأة أن تكون قادرة على الاستمتاع بالتسالي على المستوى الأدنى والأكثر رتابة، وأن مثل هذه الحماقة غير المحدودة تتجاوز فهم الذكور. حتى علماء النفس لا يمكنهم فهم ذلك، على الرغم من أنهم يقضون حياتهم في دراسة العقل الأنثوي كونهم رجال، يجب أن يجدوه أكثر إثارة للاهتمام من أنفسهم، لكن لن يخطر في بالهم ولو لدقيقة أن ما يسمى بعقلية المرأة لا يمكن فهمها لسبب بسيط هو انعدام الذكاء؛ يبدو أن العمل الأنثوي غير جذاب للرجل فقط لأنه غير قادر على تخيل الدرجة المطلوبة من الغباء اللازم ليكون قادراً على الاستمتاع بها. لقد اكتشف هؤلاء الخبراء أن معظم طالبات المدارس يبلين بلاءً حسناً في المواد التي لا تتطلب التفكير، والتي يمكن حفظها، مثل اللغات (الحصول على ذاكرة جيدة كما هو معروف جيداً، علامة على الحماقة) أو تلك التي مثل الرياضيات تتبع قوانين صارمة، والتي يتم تعلمها مرة أخرى عن ظهر قلب، في حين أن المواد الأخرى (الفيزياء والكيمياء والبيولوجيا) تفوق قدراتهن. فلا يترتب على ذلك اذاً أن هؤلاء الفتيات يفتقرن إلى الذكاء ولكن أن هناك ذكاء «أنثوي نموذجي»؛ أن هذا النوع من «الذكاء» هو نوع متطور (وليس فطري) من الغباء.

آخر فكرة أصيلة تتفوه بها الطفلة الأنثى تكون عند بلوغها الخامسة من العمر بعد ذلك، تهتم والدتها المخبولة تماماً بقمع أي علامة على الذكاء الناشئ. معظم الرجال لن يعترفوا أبداً بمدى غباء زوجاتهم، يتفقون على أن النساء لسن ذكيات بشكل رهيب، ولكنهم يمنحونهن «الحدس» أو الغريزة بدلاً من ذلك، ويحبون أن يطلقوا على هذا غريزة أنثوية بدلاً من غريزة حيوانية، لسوء الحظ، هذه الغريزة الأنثوية الشهيرة ليست في الحقيقة سوى تعبير ملطف عن قانون الاحتمال الإحصائي، فتتدخل النساء لتعطي آراءً حول كل شيء، وبما أنهن غبيات جداً، فهن لا يدركن أنهن يجعلن من أنفسهن أضحوكة، وفقًا لقانون المتوسطات، ستكون تنبؤاتهن صحيحة بين الحين والآخر. على أية حال، فإن معظم التوقعات سلبية أو غامضة، إن التفاهات مثل: «لا يمكن أن ينتهي الأمر إلا بكارثة»، أو «لو كنت مكانك، لتخلصت من ذلك»، أو «أصدقاؤك المزعومون لن يخذلوك إلا في النهاية» هي تفاهات فارغة؛ سيكون أي شخص في أمان إذا قام

بمثل هذه التعميمات، وإذا كانت النساء في بعض الأحيان ترى بوضوح أكثر من الرجال، فذلك فقط لأن مشاعرهنّ على عكس مشاعر الرجال، تبقى بمعزل عن الأمر.

سخافة النساء ليست سوى نتيجة طبيعية لموقفهن من الحياة، بحلول سن الخامسة، سيتم إقناع أي فتاة بأنها تريد الزواج وأن يكون لها منزل وأطفال؛ وعندما تكون الفتيات في سن العاشرة أو الخامسة عشرة أو العشرين، يرغبن في نفس الأشياء، إذاً، إذا قررت المرأة، حتى لو في طفولتها، أن تعيش على حساب الرجل، فما فائدة الذكاء والمنطق بالنسبة لها؟

يجب عليها أن تبقي عقلها حراً لرجلها المستقبلي، وإلا فإنها لا تستطيع أن تستجيب لجميع ميوله ومصالحه وتثني عليه. كطفلة، كيف يمكنها تحديد نوع الرجل الذي ستتزوجه؟ ما الفائدة التي ستجنيها إذا ما اختارت أن تصبح اشتراكية (عادةً ما ترتبط الطالبات البارزات بالطلاب البارزين) عندما يمكنها في وقت لاحق أن تقرر الزواج من صاحب مصنع ثري؟ لنفترض أنها أصبحت نباتية (بما أنها كائن حساس) -ماذا يحدث إذا تزوجت لاحقاً من مُزارع ماشية أسترالي؟ ما هي الفائدة من أن تصبح امرأة ملحدة إذا كانت ستقضي حياتها داخل جدران منزل الكاهن المغطاة بالورد؟ هل كان من الممكن أن تساعد (جاكلين بوفييه)[٦] في تطوّر مفاهيم أيديولوجية كمراهقة؟ ساعدها ميلها نحو الديمقراطية في زواجها الأول من جون كينيدي، وميلها نحو الفاشيّة ساعدها في زواجها الثاني. ولكن نظراً لأنها واحدة من أكثر النساء «أنثوية»، فإنها ربما لا تهتم بمعتقدات الرجال على أية حال. هي في الأساس مهتمة فقط بإرضاء النساء والتأثير عليهن. في النهاية، ربما يكون من الأفضل إذا كانت سيدة المجتمع المستقبلية لديها معرفة سطحية بالفنون وآداب الطعام واللغات، لكي تستطيع في وقت لاحق ووضع محرج الاضطرار للعب دور في الحياة العامة -كزوجة للرجل الذي يلعب دوراً في الحياة العامة – أن تخرج بسهولة من مأزقها. كل ما يتعين عليها تأكيده هو أن مكان المرأة «الحقيقي» هو في المنزل، للعناية بزوجها وأولادها، وسيقبل العالم بعد ذلك موقفها باعتباره موقفاً نبيلاً ويصفقون لها. غباء النساء غامر لدرجة أن أي شخص على اتصال به سيصبح مصاباً به، بطريقة ما والسبب في أن هذا غير واضح هو فقط لأن الجميع تعرضوا له منذ ولادتهم، ونتيجة

(٦) زوجة جون إف. كينيدي، رئيس الولايات المتحدة الخامس والثلاثون، والسيدة الأولى للولايات المتحدة في أثناء فترة رئاسته من ١٩٦١ وحتى اغتياله عام ١٩٦٣؛ وبعد مرور خمس سنوات تزوجت جاكلين من أرسطو أوناسيس، أحد أثرياء الملاحة اليونان، وظلا متزوجين إلى أن تُوفّي عام ١٩٧٥.

لذلك، أصبحوا متمرسين فيه. في السنوات السابقة، الرجال إما تجاهلوها أو اعتقدوا أنها سمة أنثوية نموذجية لا تؤذي أحداً. ولكن مع ازدياد أوقات الفراغ والمال لإنفاقه، ازدادت حاجة المرأة للترفيه. وبالتالي، تنتشر حماقتها في الحياة العامة أيضاً، وليس فقط في المزهريات وصور غرف النوم وستائر الديباج وحفلات الكوكتيل ومواعظ يوم الأحد؛ أصبحت وسائل الإعلام أكثر مشاركة في ذلك، لتكتسب برامج النساء أرضية في الإذاعة والتلفزيون، وحتى الصحف المحترمة تطبع ثرثرة المجتمع وملامح الجريمة وأخبار الموضة والأبراج ووصفات الطبخ، والمجلات النسائية تصبح كل يوم أكثر عدداً وفخامة على مناضد البيع. خطوة بخطوة، ليس فقط المجال الخاص بالرجال ولكن كل الحياة العامة أصيبت بعدوى هذا الغباء. هناك دوريات وكتب تتناول السياسة والفلسفة والعلوم والاقتصاد وعلم النفس. هناك أيضا تلك التي تتعامل مع الموضة، ومستحضرات التجميل، والديكور الداخلي، والقيل والقال، والطبخ، والجريمة، وشؤون الحب. يقرأ الرجال حصرياً النوع الأول، وتقرأ النساء حصرياً النوع الثاني. تعتَبِر كلتا المجموعتين أن نوع قراءة المجموعة الثانية مثير للاشمئزاز وبغيض وممل لدرجة أنهما يفضلان الضجر حتى الموت بدلاً من الانغماس فيه.

الحقيقة هي أن الرجال يهتمون أكثر بما إذا كانت هناك حياة على كوكب المريخ أو من هو صاحب الحجة الأقوى في النزاع الحدودي الصيني الروسي من النساء، لا ترغب النساء إلا في معرفة كيفية تطريز أرانب بنية صغيرة، أو كيفية حياكة فستان، أو حصول نجم سينمائي معين على الطلاق، لذا فإن الجنسين يواصلان السير في مساراتهم المنفصلة، ولكل منهما أفقه الخاص، ولا يقيم اتصالاً حقيقياً مع الآخر، لا يوجد سوى موضوع واحد سيثير اهتمام الاثنين، وهو موضوع المرأة. بطبيعة الحال، لا يستطيع بعض الرجال تجنب مهمة قراءة المنشورات الخاصة للنساء. على الرغم من أن الموضة لا تهم معظم الرجال، إلا أنها مصممة بشكل رئيسي من قبل العبيد الذكور: ومع ذلك، فإن النساء لديهن الجرأة للقول إنهن مذعنات لإملاءات مصممي الأزياء العظماء. يفكر الرجال أيضاً في وسائل إعلام أخرى لتسلية النساء للتأكد من نجاح هذه الجهود، عليهم أن يدنوا أنفسهم إلى المستوى العقلي للنساء لمعرفة ما يحببن، نظراً لأن هذا مستحيل تقريباً بالنسبة للرجال، فإنهم يعتمدون غالباً على طاقم من المحررات اللائي يسعدن جداً بإخبارهم بما تحبه المرأة –ولكن منذ ذلك الحين تصبح مسؤولية الرجل؛ ستكون مهامه تصميماً جذاباً

وتسويقاً أفضل وترويجاً للمبيعات. تخدم المجلات العديد من الأهداف في عالم الإناث. بعضها للترفيه (على سبيل المثال، (*Ladies 'Home Journal*) و (*McCall's*)؛ وبعضها الآخر لإرضاء شغف القيل والقال (*Photoplay*) و (*Movie Life*)؛ وآخرون يقدمون المشورة بشأن أي قناع تختاره (*Vogue*) و (*Harper's Bazaar*). هناك حتى مجلات تجمع مختلف مجالات الاهتمام (مثل كوزموبوليتان، مادموزيل، وإيل في أوربة). تشترك جميع هذه المجلات في شيء واحد: إنها تتجاهل الرجال. موضوع المجلات الرجالية، من ناحية أخرى، هو النساء على وجه الحصر تقريباً. إذا تم ذكر الرجل على الإطلاق في منشورات المرأة، فهذا فقط لتعداد أولوياته المفترضة في النساء، المنزل، والطعام: «ارتدي ملابس داخلية بلون لحمي هذا الصيف -الرجال يحبونها»؛ «المكياج الطبيعي هو الأفضل لموعدك الغرامي الأول»؛ «استخدمي الشموع – إنها تجعله يشعر بالرومانسية»؛ «ثلاث وصفات لجعله يحبك» - وهلم جراً. ولأن هذه القوائم من تفضيلات الذكور يمكن أن تخدم فقط في مساعدة النساء على الإمساك بأي رجل بعينه، فهي ليست أكثر من مجرد وصفات. قراء هذه النصيحة إما غير متزوجات، وبالتالي فهن يتسوقن لإيجاد عامل جيد، أو أنهن متزوجات وبالتالي يعتمدن على الاحتفاظ بما قد كسبنه بالفعل عن طريق القوى العاملة. هذه هي التوجيهات التي تخبر النساء عن كيفية انتزاع الأفضل من الرجال الآليين الأكثر موثوقية في العالم، لأنهن يعتبرن الرجال كذلك. من المألوف أن نرى مقالاً بعنوان (كيفية القبض على السيد "صحيح")، و «عشرة تلميحات حول كيفية إبقائه في مزاج جيد»، و «نصيحة للسنوات الثلاث الأولى من الحياة الزوجية». لا يوجد شيء منحرف حول مقالات من هذا النوع: فهي واضحة كما لو كانت نصائح حول شراء سيارة، أو حول غسل سترة الكشمير والعناية بها.

نظراً لأن دائرة الموضوعات التي قد تهم النساء محدودة بالضرورة، فإن المحررين غالباً ما يكونون في حيرة بسبب النسخ، نتيجة لذلك، يجب عليهم العودة إلى ما يسمى بالمواضيع الذكورية، ولأن اهتمامات الرجال واسعة جداً، فهناك الكثير منها فتمر هذه المواضيع بتحولات كاملة لتناسب القارئات الإناث، القاعدة الرئيسية فيها بسيطة للغاية: يجب أن تخلق كل مقالة انطباعاً بأنها في الأساس تقرير عن النساء، على سبيل المثال، يجب أن يكون سرد قصة حياة بطل سابق للوزن الثقيل كما يلي: «لقد دمرتني النساء». إذا تم إجراء مقابلة مع ملحن من أجل مقالة، يجب عليه أن يقول ولو مرة على الأقل أن المرأة هي مصدر إلهامه،

وأن اللحن «يشبه فتاة جميلة» -لكن ليس بجمالها طبعاً. يمكن بقليل من المهارة تمويه المواضيع الأبعد احتمالاً لجذب النساء، يستحب للمرء إثارة اهتمامهن بميزانية الدفاع، عبر جعل التقرير يبدو كقصة عن الحياة العائلية لوزير الدفاع ولا داعي للقول إنه يجب ترك مساحة كافية لصور زوجته وأطفاله. ستقرأ النساء مقالات عن دول أجنبية إذا بدأت بفقرة مثل: «لقد تزوجتُ بإسرائيلية» (يابانية، مصرية، تشيلية)، شريطة أن تتحدر الزوجة المعنية من نفس الخلفية الاجتماعية لقرائها الإناث. في الواقع يمكن تطبيق هذا المبدأ على أي مجال وهو ناجح بشكل خاص في السياسة. يمكن لفت انتباه المرأة إلى الموضوعات السياسية فقط إذا كان من الممكن إقناعها بأن الحدث يركز على المرأة، حازت الحرب في فيتنام على اهتمام الإناث فقط عندما عرضت الصحافة الصور الأولى للسيدة الأسطورية مدام «نهو»[٧]. أصبحت مشكلة الكاثوليك في إيرلندا الشمالية مثيرة للاهتمام بالنسبة للنساء فقط منذ ظهور برناديت ديفلن[٨].

لم يساعد عدد المقالات المكتوبة حول مشاكل إيران المعاصرة في فهم هذا البلد أكثر من مأساة «رجم ثريا»[٩] يجب أن يكون أول إجراء سياسي لأي رجل يسعى إلى السلطة هو الزواج من امرأة ذات وجه جذاب. يمكن للمرء أن يخمن فقط المنافع التي كانت ستعود على إسرائيل أو الهند لو كانت جولدا مائير أو أنديرا غاندي جميلتين وفقاً لمعايير النساء الصارمة، كانت صورهن ستغطي أغلفة المجلات المصورة بدلاً من غريس كيلي أو فرح ديبا من إيران. عندها ستقرأ النساء ميزات بعنوان «جواهر غولدا مائير»، أو «لماذا تناشد أنديرا غاندي الرجال» -وكتأثير جانبي، سيتم إطلاع النصف الآخر من العالم، أي النصف الغني، مراراً وتكراراً على الأزمة في إسرائيل، أو سيدركون أن مئات الآلاف من الأطفال في الهند يتضورون جوعاً حتى الموت -أطفال يمكن إنقاذهم بسهولة مقابل مبالغ مالية تنفقها النساء على طلاء الأظافر ومزيل طلاء الأظافر.

---

(٧) قائدة فيلق القوات المسلحة النسائية في الجيش الفيتنامي.

(٨) سياسية إيرلندية ومطالبة بالحقوق المدنية.

(٩) تعتبر ثريا أيقونة نسوية استخدمت كأداة معارضة لرفض سلطة النظام الإيراني، فقد تم رجمها وهو القانون التشريعي تجاه المحصنة الزانية، وكالعادة تم التغاضي عن الفعل المدنس الذي قامت به وهو خيانة الرجل الذي يستأمنها على نفسه ونسبه وماله= وجعلوا القصة تدور حول ظلامية عقوبتها!

قناع الأنوثة

لا يوجد أي فرق بين امرأة صلعاء عارية غير متبرجة ورجل أصلع عاري غير متبرج، باستثناء الأعضاء التناسلية، أي فرق آخر بينهما هو فرق مصطنع يصبح الرجل رجلاً لأنه يطور ذكائه وبتطوير ذكائه تتحسن إنتاجيته، يتبدل مظهره الخارجي قليلاً فقط، تصبح المرأة امرأة عن طريق التسفيه التدريجي وتحويل مظهرها الخارجي بتأنّي، وهذا التمايز بين الجنسين تشجعه النساء على وجه الحصر. كما قلنا، لا يعتبر الرجل ذكورياً إلا بعد سلسلة من التلاعب من جانب النساء. المرأة، من ناحية أخرى، هي المبتكرة لتحولها وتصنع أنوثتها عن طريق مستحضرات التجميل، تصفيف الشعر، والملابس.

هذه الأنوثة، الاصطناعية في الأصل، قائمة على عنصرين مختلفين: التركيز على الخصائص الجنسية الثانوية والنأي بنفسها باستخدام الأقنعة، فتستخدم المرأة أنواعاً مختلفة من الأقنعة لجعل الفرق بينها وبين رجل معين واضحاً قدر الإمكان. المكوّن الأول يعمل على تحويلها كمرغوبة للرجل، والثاني يجعلها غامضة بالنسبة له، إنها بذلك تخلق «الجنس الآخر» الغامض والمجهول، مما يسهل عليه قبول استعباده؛ بفضل المجموعة الواسعة من التحولات المحتملة التي يمكن لكل امرأة أن تقدمها للرجل –المرأة «الحقيقية» تغير مظهرها قليلاً كل يوم –تبقيه في حالة من الحيرة المستمرة بينما لا يزال يحاول العثور على امرأة الأمس في اليوم، فإنها تكسب الوقت لتحقيق غاياتها الخاصة، ستقوم بمراوغة الرجل في موقف لا يمكنه فيه الدفاع عن نفسه، وطوال ذلك الوقت ستصرف انتباهه بمهارة عن الرائحة النتنة لعقلها المتعفن القابع تحت قناع السرور. تعتبر المرأة «نفسها الطبيعية» مجرد مادة خام للمرأة لا يجب الحكم على المادة الخام بل على النتيجة النهائية. النساء غير موجودات بدون تجعيد الشعر والأساور والقلائد هذا ما يفسر لماذا لا تمانع النساء الجري ومجعدات الشعر في رؤوسهن أو الكريمات على وجوههن، إنهن لسن «هنّ» في تلك المرحلة –فهن لا يزلن منشغلات بعملية التحول إلى «هن»، إنهن ينجحن في هذا النوع من التخيلات بسهولة أكبر لعدم وجود أي نوع من الذكاء لإعاقتهن.

ستبذل المرأة أكبر جهد ممكن من أجل تحقيق هذا التحول، لا يمكن لأي مكياج أن يكلفها أكثر من قدرتها، أو يستغرق وقتاً أطول مما يلزم، عندما يتعلق الأمر بالمنتج النهائي الذي سيميزهن بشكل ملحوظ عن الرجال. يجعلن بشرتهن أكثر نعومة من بشرة الرجال عبر تدليكها بكل أنواع الكريمات، يتم تجعيد الشعر أو تمليسه لنفس السبب، لا يضعن الماسكارا السوداء حول عيونهن من أجل الجمال –بل لجعل عيونهن تختلف عن عيون الرجال –غريبة وغامضة ومزعجة. كان كل هذا هو الهدف الأصلي من تنكّر الإناث، لكن تم نسيانه الآن تقريباً. خلال العقود القليلة الماضية، تطورت المرأة المتزوجة العادية من الطبقة المتوسطة من خادمة منزلية مشغولة نوعاً ما إلى نوع من الديموندين، مزودة جيداً بوسائل الراحة التي يوفرها الرجال. نتيجة لذلك، أصبحت ألعابها السابقة، والتي كانت لهدف محدد هو تغيير مظهرها، غايةً في حد ذاتها وحيث أن التسلي بأجسادهن هي لعبتهن المفضلة، وكثيراً ما لا يكون لزوجات الطبقة المتوسطة الميسورين شيئاً آخر ليفعلنه، فهن يشغلن أنفسهن بهذه الطريقة وأكثر من ذلك، يتم تشجيعهن على القيام بذلك من قبل الرجال ففي آخر المطاف، الرجال هم الذين يصنعون مستحضرات التجميل الخاصة بهن، يصممون أزياءهن وتسريحات شعرهن، ويكسبون عيشهم عن طريق القيام بذلك؛ يبذلون قصارى جهدهم لتوفير أشياء جديدة لهؤلاء النساء، بمساعدة محررات المجلات النسائية والبرامج الإذاعية النسائية. في الواقع، نجحت النساء تقريباً في إنتاج ثقافة أنثوية جديدة تماماً، نوع من الفنون والحرف النسائية. في هذا الحرم يَعِشنَ فيما بينهن، لا يزعجهنَّ شيء، يتم قيادتهن إلى الأعالي، أو بالأحرى إلى الأعماق، حيث لا يمكن للرجل أن يتبعهن، باستثناء العبيد المتخصصين المذكورين أعلاه.

تقدم مجلة معروفة على سبيل المثال نصائح مثل «احرصي أن تبقى شفاهك ناعمة»، لامرأة تشكو من شفاهها المتشققة بشدة، «قومي بتنظيف شفتيك يومياً باستخدام فرشاة أسنان مبللة واستخدمي مرهم الشفاه بانتظام. لا تستخدمي أحمر الشفاه المبرغل مطلقاً –فهو يستقر بسهولة أكبر في التشققات». «لا تنسي أن تأخذي قياساتك»، يمضي المحرر في تقديم المشورة لجميع النساء «يجب ألا تزيد أبعاد الورك لديك أكثر من تسع بوصات من خصرك ولا تزيد بأكثر من ثلاث بوصات ونصف عن صدرك»، «مشّطي حواجبك دائماً بالفرشاة قبل أن تخططيها بقلم الحواجب، ولا ترسمي حواجبك أبداً بقوس مستقيم واحد، بدلاً من ذلك، ارسمي كل شعر بضربة قلم منفصلة، ستبدو طبيعية تماماً إذا كانت الخطوط عمودية بالقرب من

جسر الأنف ومغمورة بعناية بلونين مختلفين، على سبيل المثال، اللون الرمادي والبني ممزوجان معاً» «احتفظي دائماً بمرآة في مطبخك سوف تساعدك على التحكم في وجهك، ستلاحظين ما إذا كنت تعبسين أثناء الطهو أو إذا كان شعرك في حالة من الفوضى». المرأة ممتنة لجميع هذه القواعد، ليس لديهن ما يكفي من الخيال للتفكير بها بأنفسهن فتتبع النساء هذه النصائح، فيقمن بقياس أبعاد الحوض، ويدلكن شفاههن، ويحددن حواجبهن، ويعلقن بعض المرايا في المطبخ لتجنب التجاعيد الناجمة عن التفكير.

وعندما يفعلن كل ذلك، يكون هناك المزيد من التسلية والألعاب في الانتظار، هناك نساء يغسلن أثداءهن بالماء البارد لمدة عشر دقائق يومياً. «هذا يجعل الأثداء صلبة»، كما ترون. هناك نساء يقمن بدهن أجسادهن في كل صباح – وليس ذلك اتباعاً لنصيحة طبية، هناك اللواتي يقمن بلف شعرهن حول ثلاثين بكرة لتجعيد الشعر كل بضعة أيام ويقضين نصف ساعة على الأقل في ماكياج عيونهن، ولأنهن، بفضل كل هذه الجهود التي يشعر الرجل أنها سخيفة تماماً، يصبحن أكثر غرابةً، وأكثر أنوثة كل يوم، فغالباً ما يكون هذا النوع من النساء هو الذي يجذب أكثر العبيد استعداداً. في غضون ذلك تستمر اللعبة، يجب على أي شخص يريد الانضمام إلى اللعبة، ومواكبة هذه الزمرة، أن يتقيد بالمزيد والمزيد من القواعد الجديدة، لأن مطالب النساء من بعضهن البعض هائلة. الرجال انسحبوا من اللعبة منذ وقت طويل، لقد زادت فرص الترفيه التي يقدمها الجسد بشكل كبير وسيستمر في ذلك رغم أنه لا مفر من أن العديد من النساء لا يمكن أن يحافظن على وتيرتهن. ستعود هؤلاء النسوة إلى مصدر الترفيه الآخر لديهن: المنزل. نظراً لأن مبلغ المال المتاح للمرأة يعتمد على دخل الزوج، فقد انقسمت النساء إلى أصناف، هناك اللواتي يملكن قناعاً ممتازاً، واللواتي يكون قناعهن جيداً، واللواتي يكون تنكرهن كافياً فقط، تصبح المجموعة الأولى معبودة جميع الأصناف الأخرى، وبفضل الجهود المستمرة التي تبذلها جمعيات العلاقات العامة والخاصة بهن، يوفّرنَ نوعاً من الإشباع والرضا غير المباشر لهن. حتى بالنسبة للمرأة ذات القناع المتوسط فإن القواعد تزداد تعقيداً.

إذا ذهبت للسباحة، على سبيل المثال، يجب أن يكون مكياجها مقاوماً للماء، وأن تكون الساقان والإبطين منزوعة الشعر، وجسمها مدهون بالزيت، وشعرها مخفي تماماً بواسطة قلنسوة مغطاة بالورود المطاطية. بالنسبة للسوبر ماركت، فإن المناسب هو كريم أساس غير لامع مع مقدار ضئيل من أحمر الشفاه

وماسكارا بلون بني فاتح. تتطلب الجنازات مكياجاً شاحباً لتعزيز تأثير دانتيل الطرحة السوداء وأحمر شفاه غير مرئي تقريباً. من أجل قضاء بضع دقائق في حفل كوكتيل، ستستغرق التحضيرات للملابس والمكياج ساعات. كان هناك وقت يعتبر فيه لون واحد فقط من ظلال العيون كافياً. الآن يجب أن يكون ثلاثة: الأبيض والذهبي والأخضر، على سبيل المثال، ويجب العناية بشفتيها بالمراهم، وأقلام تخطيط الشفاه، وأحمر الشفاه صدفي اللون، والمساحيق، الرموش الصناعية، التي لم تزل ملتصقة في شريط واحد، يجب أن تلصق بعناية في موضعها، واحدة تلو الأخرى. هذا «أكثر طبيعية»، يجب أن تزين تسريحتها بملاقط شعر إضافية -ويجب دائماً غسل الشعر بالشامبو. من أجل ماكياج العيون وحده يلزمها الأساسيات التالية: رموش اصطناعية، صمغ خاص، ملاقط لوضع الرموش في مكانها، الماسكارا، كحل العيون، ثلاث درجات من ظلال العيون، لونان من أقلام الحواجب، بودرة الحواجب، بالإضافة إلى فرشاة ذات زاوية خاصة لاستعمالها، فرشاة صغيرة للحواجب، مواد زيتية لإزالة المكياج، وكريم خاص لتهدئة العينين.

يعشق الرجال نساءهم ويريدونهن أن يكنَّ إلهيات (غريبات، متلونات، أي أنثويات). في الوقت نفسه، ليس لديهم أي رغبة في مشاهدة ساعاتهن من التزين النرجسي الوضيع ويزداد عدم ارتياحهم أكثر فأكثر، لن يفهموا أبداً المتعة التي تجدها المرأة في الأعمال المنزلية، وبالنسبة لهم أن التبرج مهين بنفس القدر، يعرف كل رجل أنه لن يهتم إذا كانت المرأة تضع ثلاثة ألوان من ظلال العيون أو لون واحد، تماماً كما يعلم أنه لا يحتاج إلى ستائر من الدانتيل أو نباتات المطاط في غرفة المعيشة. لكنه يقدر أن الرجال الآخرين، أو المجتمع، يطلبون ذلك من المرأة، ويشعر بالأسف الشديد لأنه يعتقد أنه مسؤول عن هذه الحالة المهينة. بما أنه يدرك أنه هو والذكور الآخرون لا يهتمون إلا بمظهر المرأة الخارجي (ما الشيء الآخر الذي قد يثير اهتمامه؟)، فإنه يفترض أن جهود زوجته الدؤوبة لجعل نفسها مرغوبة وخلق بعض الغموض بواسطة المكياج (الذي لا يجب المبالغة فيه) هي علامات على حماسها المفرط لإرضائه. بالطبع يشعر بالذنب -ويتأثر يعتقد أنه بسبب احتياجاته البدائية يجعل من المرأة مجرد غرض لتلبية رغباته؛ ويعتقد أنه يقمع كل ميزاتها القيّمة، والتي في الواقع لا يمكن العثور عليها!. كالعادة، فهو بعيد عن الحقيقة قيد أنملة، من مصلحته الخاصة أن ينكر حقيقة أن هذا التطور كله يرقى إلى أعلى مستوى من الثقافة الأنثوية وأن النساء لا يجعلن من أنفسهن أغراضاً عن طريق الأزياء ومستحضرات التجميل، ولكن اهتمامهن المتواصل بمثل

هذه الأمور يتوافق مع النشاطات العقلية للأشخاص البدائيين؛ وهناك شيء آخر لا يعرفه: المرأة لا تقوم فقط بإعادة تكوين نفسها من يوم لآخر، أو إذا جاز التعبير، الابتعاد أكثر فأكثر عن ذاتها الحقيقية، لمجرد التسلية. تلبي هذه الطائفة حاجتها إلى الحد الأدنى للدين، وهي حاجة، كما رأينا بالفعل، تعتمد على مستوى ذكائها المنخفض. كل خطوة في عملية التحول هذه تتطلب ملاحظة نقدية محايدة تماماً للذات، إنه يجبر المرأة على أن تنظر لنفسها باستمرار بعيون امرأة غريبة، وأن تختبر نتيجة جهودها، بعيون تلك المتفرجة، ألف مرة في اليوم. إذا كان التحول ناجحاً في تلك العيون الناقدة، وإذا نجح في اختبار النقد، فبإمكانها (أيضاً بعيون تلك المرأة الغريبة) أن تنغمس في إعجاب لا محدود بنفسها، وبفضل هذه الخدعة، فهي في وضع يمكّنها من عبادة نفسها، وبالتالي فهي معفاة إلى حد كبير من كل نظام مصمم لإرضاء متعة الرجل في عدم الحرية، نظم مثل الأيديولوجيات والأديان، أو تمجيد بعض الكائنات الأخرى.

النساء مشغولات بأنفسهن وبجمالهن، لدرجة جعلت الرجال يتوصلون إلى نتيجة منطقية مفادها أنه حتى لو أولت النساء أي اهتمام بهم ، فلن يتم اعتبارهم وسيمين أبداً. هناك قول مأثور مفاده أنه لا داعي أن يكون الرجل حسن المظهر: كثير من الرجال سوف يكررون هذه الحكمة بدون تفكير، ولكن حتى لو بذل جهداً، لن تجد المرأة الرجل وسيماً أبداً، كيف يمكن للمرأة، التي تستمتع كثيراً بتنكرها السخيف، أن تقدّر رجلاً لا يضع ماكياج ويرتدي ملابس تقليدية؟ ماذا سيكون هذا؟ سوى الخطوة الأولى، المادة الخام، المخطط الأولي لمرحلة أبعد في التنمية البشرية؟ وهذا يعني ضمناً أن جميع الرجال يجب أن يكونوا قبيحين في عيون المرأة – وهذا يجعلها حرة في الاختيار حسب دخله ومستوى المعيشة الذي قد يكون قادراً على تقديمه لها.

يبدو أن الرجال الحساسين خصوصاً قد أدركوا هذا الأمر مؤخراً ويحاولون أن يصبحوا جميلين وفقاً لمعايير النساء وأن يتركوا ولو لمرة واحدة انطباعاً لديهن من خلال مظهرهم الخارجي. لكن عموماً، فإن هذه المحاولات للانفصال عن الاتفاقية محكوم عليها بالفشل. أولاً، لأنه من الصعب على الرجال تحقيق شيء كانت النساء تعمل عليه منذ قرون بين عشية وضحاها: شَعْر الرجل الطويل ليس حريرياً كشعرها أبداً وبشرته ليست بمثل نعومة بشرة المرأة. لن تكون ملابسه باهظة للغاية. ثانياً، طردت جيوش الرجال المستَعبدين الضخمة أولئك الفارّين من صفوفهم وحرموهم من كسب لقمة العيش الشريفة.

اليوم، هناك عدد قليل من الرجال يرتدون القناع. الذين يفعلون -كالشعراء والرسامين ومغنّي الروك والصحفيين والممثلين والهبيين والمصورين -يحتاجون إلى هذا النوع من التنكر فقط لكسب أموالهم، كنوع من مهرّجي البلاط المعاصرين. بالطبع، معظم هؤلاء الرجال لديهم امرأة حولهم، شخص يضع مكاسبهم قيد الاستخدام الفوري. الشاعر لديه مصدر إلهام، الرسام لديه عارضة، مغنّي الروك لديه معجباته. كل هؤلاء النساء يعشن على حساب الرجال. إذا قام جميع الرجال بتطويل شعرهم، أو ارتداء القلائد حول أعناقهم -وهو أمر ممكن، كل ١٠٠ عام أو نحو ذلك كانت هناك تغييرات طفيفة في أزياء الرجال بسبب تغير ظروف العمل – فإن شعرهم الطويل سيتم قصه إلى طول موحد، وستصبح تلك القلائد حول أعناقهم بديلاً لربطات العنق.

الوظيفة كبيئة لاصطياد الفرائس

هناك نساء كثيرات يأخذن مكانهن في عالم الأعمال اليوم، السكرتيرات والمساعدات المتجريات وعاملات المصانع والمضيفات -ناهيك عن الشابات المتحمّسات اللواتي يملأن الكليات والجامعات بأعداد متزايدة باستمرار، قد يتكون لدى المرء «انطباع» بأن طبيعة المرأة قد مرت بتغيير جذري في السنوات العشرين الماضية. يبدو أن الشابات اليوم أقل ظلماً من جيل أمهاتهن ويبدو أنهن قررن -ربما بدافع الشفقة على ضحاياهن -عدم استغلال الرجال بعد الآن، وأن يصبحن شريكات حقيقيات لهم. ذلك الانطباع خادع، التصرف المهم الوحيد في حياة أي امرأة هو اختيار الشريك المناسب. تستطيع المجازفة بارتكاب الأخطاء لأي خيار آخر، وبناءً على ذلك، سوف تبحث عن رجل يعمل أو يدرس، وحيث يمكنها أن تراقب وتحكم على الصفات الذكورية الضرورية التي تقدرها المكاتب والمصانع والكليات والجامعات ليست بالنسبة لها سوى أسواق زواج ضخمة، فيعتمد الحقل المعين الذي يقع عليه اختيار أي امرأة شابة كأرض للصيد إلى حد كبير على مستوى دخل الرجل الذي كان عبداً لها في السابق، بعبارة أخرى، والدها. ستختار بُنيات الرجال -من ذوي الدخل الأعلى- الكليات أو الجامعات. لأنها توفر أفضل الفرص للاستيلاء على رجل يكسب ما يكفي للحفاظ على المعايير التي اكتسبتها بالفعل، علاوة على ذلك، فإن فترة الدراسة أنسب لذلك من العمل المؤقت، سيتعين على الفتيات من المنازل الأقل حظاً الذهاب إلى المصانع أو المتاجر أو المكاتب أو المستشفيات لفترة من الوقت -ولكن مرة أخرى لنفس الهدف. ليس لدى أي منهن نية للبقاء في هذه الوظائف لفترة طويلة، سوف تستمر في الوظيفة فقط حتى الزواج -أو، في حال وجود ضائقة كالحمل وهذا يوفر للمرأة ميّزة مهمّة: أي امرأة تتزوج هذه الأيام تتخلى عن دراستها أو وظيفتها «من أجل الرجل الذي تختاره» -و «التضحيات» من هذا النوع تخلق التزامات. لذلك عندما تعمل المرأة أو تدرس، فإنها تعمل فقط على تزوير الإحصاءات، واستعباد الرجال بشكل يائس أكثر من أي وقت مضى، لأن التعليم والعمل يعنيان شيئاً مختلفاً تماماً عند النساء منه عند الرجال.

عندما يعمل الرجل فهي مسألة حياة أو موت، كقاعدة مصقولة في الأذهان، تكون سنوات حياته الأولى حاسمة لتقرير مصيره، فـ يمكن اعتبار أي رجل يبلغ من العمر ٢٥ عاماً ولا يرتقي السلم جيداً، بكل المقاصد والأغراض، حالة ميؤوس منها. في هذه المرحلة، يتم تطوير جميع قدراته، والصراع مع منافسيه هو معركة حتى الموت، ووراء قناع الصداقة التجارية، يراقب باستمرار أي علامة على التفوق في أحد زملائه، وسوف يلاحظ ظهورها بقلق؛ إذا أظهر هذا الزميل علامات الضعف أو التردد، فيجب استثمار ذلك الأمر فورا. ومع ذلك، فإن الرجل ليس سوى عامل صغير في آلة الأعمال العملاقة، وهو نفسه يجري استغلاله عند كل منعطف فيها. عندما يقود الآخرين، يقود نفسه أكثر من أي شيء آخر، أوامره هي أوامر من سلطة أعلى يتلقاها، يمررها إلى غيره. فإذا أثنى عليه الرجال الذين في القمة من حين إلى آخر، فليس هدفهم إسعاده -بل لتشجيعه فقط، لتحفيزه على بذل جهد أكبر في إنجاح أعمالهم. بالنسبة للرجل، الذي نشأ ليكون فخوراً وشريفاً، كل يوم عمل هو مجرد سلسلة لا حصر لها من الإهانات، يظهر حماسه لمنتجات يجدها عديمة الفائدة، يضحك على نكات يتفاعل معها بلا مذاق، ويعبر عن آراء لا تخصه، لا يُسمح له أن ينسى أن مجرد هفوة قد تعني تخفيض رتبته، وأن زلة لسان واحدة قد تعني نهاية حياته المهنية. من جهة المرأة، التي هي السبب الرئيسي لكل هذه الصراعات، والتي تحت أعينها تدور هذه المعارك، تقف جانباً وتراقب فقط.

إن الذهاب إلى العمل يعني بالنسبة لها المغازلة والمواعيد الغرامية والإغاظة والمزاح، مع وجود مقدار ضئيل من «العمل» من أجل المظاهر -العمل الذي كقاعدة عامة لا تملك مسؤولية تجاهه. إنها تعرف أنها تحدد الوقت فقط، وحتى إذا كان عليها أن تستمر في العمل لسبب أو لآخر، فقد عاشت على الأقل سنوات من الأحلام السعيدة. إنها تشاهد معارك الرجال من مسافة آمنة، حيث تهتف أحياناً لأحد المتنافسين، تشجيعاً أو توبيخاً، وبينما تصنع قهوتهم، أو تفتح بريدهم، أو تستمع إلى محادثاتهم الهاتفية، فإنها تقوم بالاختيار بدم بارد. في اللحظة التي تجد فيها «السيد صحيح» تتقاعد بأمان، تاركة المجال مفتوحاً لوريثاتها. الأمر نفسه ينطبق على التعليم الجامعي. تقبل الكليات الأمريكية عدداً أكبر من النساء، لكن النسبة المئوية التي تنهي دراستها منهن هي أقل مما كانت عليه قبل الحرب العالمية الثانية. يجلسن بسعادة في المحاضرات منشغلات برسم تصاميم خزائن ملابس الربيع الخاصة بهن وبين الحصص يغازلن الأولاد.

يتجولن بين الجثث في غرف التشريح بأظافرهن القرمزية المحمية بعناية بواسطة قفازات مطاطية شفافة، بينما يدرك زملاؤهن من الرجال أن مستقبلهم بالكامل على المحك. إذا غادرت المرأة الجامعة وخاتم الخطوبة في إصبعها، فقد حصلت على شهادتها؛ الرجل يكون بالكاد قد بدأ عندما يحصل على شهادة الدبلوم. في النهاية، من السهل الحصول على العلامات، كل ما عليك فعله هو الحفظ عن ظهر قلب. ما عدد الفاحصين في الامتحان الذين يمكنهم معرفة الفرق بين المعرفة الحقيقية والخداع؟! لكن على الرجل أن يفهم مواده، فنجاحه اللاحق يعتمد على ما إذا كانت معرفته تستند إلى أسس جيدة؛ وسيتم تعزيز مكانته اللاحقة بناء على هذا، وغالباً ما تعتمد حياة الآخرين على ذلك.

لا توجد أي من هذه المعارك للمرأة، إذا انقطعت عن دراستها وتزوجت من محاضر جامعي، فقد حققت نفس المستوى الذي حققه دون إجهاد نفسها كزوجة صاحب مصنع، يتم التعامل معها باحترام أكبر من الاحترام الذي يعامل به زوجها (وليس كشخص سيكون في أحسن الأحوال قابلاً للتشغيل في خط التجميع في نفس المصنع). تتمتع كزوجة دائماً بنفس المستوى المعيشي والهيبة الاجتماعية وليس عليها فعل أي شيء للحفاظ عليها -كما هو حال الزوج، لهذا السبب فإن أسرع طريقة للنجاح دائماً هي الزواج من رجل ناجح، إنها لا تفوز به من خلال طموحها أو مثابرتها -ولكن ببساطة من خلال مظهرها الجذاب. لقد رأينا بالفعل المطالب التي لدى الرجل المدرب تدريباً جيداً فيما يخص مظهر المرأة، فتقتنص أفضلُ المدرّبات -دون أدنى جهد -أنجحَ المقاتلين بين الرجال، ما يسمى بالنساء «الجميلات» هن عادة النساء اللواتي قضين حياة سهلة منذ أيام طفولتهن وبالتالي لديهن سببا أقل من الأخريات لتطوير مواهبهن الفكرية (يتم تطوير الذكاء فقط من خلال المنافسة)؛ فيترتب لذلك نتيجة منطقية: إن الرجال الناجحين للغاية عادة ما يكون لديهم زوجات غبيات للغاية (بالطبع، مالم يعتبر المرء مهارة المرأة في تحويل نفسها إلى طُعم للرجل ضرباً من الذكاء). أصبح من المألوف تقريباً أن يتزوج رجل ناجح حقاً، سواء كان مدير شركة أو ممول أو قطب شحن أو قائد أوركسترا، عندما يصل إلى ذروة حياته المهنية، من عارضة أزياء جميلة -عادة ما تكون زوجته الثانية أو الثالثة. الرجال الذين ورثوا المال غالباً ما يأخذون هذه الفتاة الخارقة كزوجة أولى لهم -على الرغم من أنه سوف يتم استبدالها بأخرى مع مرور السنين. أيضاً، كقاعدة عامة، فإن العارضات هن نساء قليلات الثقافة ولم يتممن حتى تعليمهن في المدرسة ولم يكن لديهن أي شيء يفعلنه

إلى أن تزوجن، لكنهن جميلات ويعرفن كيفية الوقوف أمام الكاميرا. هي «جميلة» -وهذا يجعلها غنية بمجرد أن تحظى امرأة برجلها تتخلى عن مهنتها من أجل «الحب» -أو على الأقل هذا ما ستخبره به! بعد كل شيء، من الصعب أن تداهنه بفكرة أنه قد أنقذها في الوقت المناسب من الاضطرار إلى شق طريقها بصعوبة عبر الامتحانات. إنه يفضّل أن يكون ثملاً بفكرة الحب «الذي لا يعرف الحلول الوسطى»، والذي تدعي هذه المرأة أنها تشعر به تجاهه. من يدري، يعتقد هو، لربما كانت ستصبح طبيبة جرّاحة مشهورة (راقصة باليه، صحافية لامعة)، وقد تخلت عن كل ذلك لأجله. لم يكن يعتقد أبداً أنها فضّلت أن تكون زوجة جراح مشهور، وأن تحصل على دخله ومكانته دون الاضطرار إلى العمل أو تحمل المسؤولية. لذلك، يقرر أن يجعل حياتها إلى جانبه مريحة قدر الإمكان للتعويض عن تضحيتها العظيمة. في الواقع، تحصل نسبة صغيرة (١٠ إلى ٢٠ في المائة) من الطالبات في البلدان الصناعية في الغرب على شهاداتهن قبل الزواج. على الرغم من وجود الاستثناءات القليلة، إلا أنهن، كقاعدة عامة، أقل جاذبية وقد فشلن في الحصول على معيل مناسب أثناء وجودهن في المدرسة. ولكن بعد ذلك، سترفع هذه الشهادة قيمتهن السوقية تلقائياً، لأن هناك أنواعاً معينة من الرجال الذين يشعرون بالدعم إذا كانت زوجتهم حاصلة على شهادة -شريطة أن يكون لديهم هم أيضاً واحدة. إنه دليل واضح على ذكائه إذا كانت مثل هذه المرأة المتعلمة تعليماً عالياً تهتم به وإذا صادف أن يكون هذا العقل الأنثوي المدبر مثيراً، فسيكون في قمة سعادته، ولكن ليس لفترة طويلة. حتى الطبيبات، والأخصائيات الاجتماعيات، والمحاميات «يضحين» بمهنتهن من أجل رجالهن، أو على الأقل يضعنها جانباً. ينصرفن إلى بيوت المزارع في الضواحي، ينجبن الأطفال، ويزرعن الزهور، ويملأن منازلهن بالقمامة المعتادة. في غضون بضع سنوات تمحو هذه الترفيهيات الجديدة القدْرَ الصغير من «معارف الخبراء»، التي تعلمتها عن ظهر قلب وتصبح مثل جاراتها الإناث تماماً.

الأنثى «المُتحرّرة»

هناك نساء ما زالت لديهن وظائف أو مهن في سن الخامسة والعشرين أو أكبر، ويعود ذلك لمجموعة متنوعة من الأسباب:

أ. متزوجة من فاشل، لن يكسب ما يكفي من المال لتزويدها بكل القمامة عديمة الفائدة التي لا تستطيع المرأة الاستغناء عنها.

ب. غير قادرة على الإنجاب، بمجرد تلاشي شغف الرجل بها، فإنه لا يرى أي سبب وجيه لمواصلة دعمها.

ج. قبيحة.

د. متحررة.

ه. شغوفة بمهنة معينة (ومنذ البداية تتخلى عن عبيدها وأطفالها).

ترتبط الأنواع (أ) و (ب) ارتباطاً وثيقاً. المجموعتان التاليتان هما المهمتان، لأن المرأة القبيحة غالباً ما تعتبر متحررة -وهذا غير صحيح-، وإن فرصة مقابلة امرأة من الفئة الأخيرة، امرأة تتخلى عن الراحة والعبيد لأسباب فكرية، ناهيك عن الشعور بالإنصاف، نادرة حقاً. دعونا نفكر في المرأة القبيحة، تعتبر المرأة قبيحة عندما تكون غير جذابة للرجال. أ، كأن تكون خصائصها الجنسية الثانوية متخلّفة أو غير معلن عنها بشكل كافٍ، ولأن ملامحها تخلو من «نظرة طفل». تعمل امرأة من هذا النوع لنفس السبب الذي يعمل لأجله الرجل -لا يوجد شخص آخر للقيام بذلك عنها ومع ذلك فيما يحتفظ الرجل بزوجته وأطفاله مع دخله فإنها تعمل من أجل نفسها فقط: إنها لن تستخدم أبداً الأموال التي تكسبها لتمويل حياة شاب جميل.

هذا النوع من النساء في كثير من الأحيان ذكي جداً. صحيح بداية عمرها كانت تسمح لقدراتها الفكرية بأن تصاب بالضمور، فشأنها شأن جميع النساء الأخريات، كانت تحذو حذو والدتها ولأنها، أيضاً سترغب في الحصول على عبد عامل، ولكن مع تقدمها في السن، ترى أن فرصها تتضاءل، وفي يوم من

الأيام تجد نفسها في مواجهة حقيقة أنه لا يوجد شيء آخر يمكنها فعله سوى تَذَكُّر ومحاولة إحياء البقايا الأخيرة مما كان يوماً ما عقلها، والاستفادة القصوى من ذلك. تحقق بعض النساء في هذه المجموعة نجاحاً حقيقياً، يحصلن في كثير من الأحيان على درجات عالية من التكريم (لمجرد أنهن غير عاديات، من الأنواع النادرة، هؤلاء النساء المثقفات)، وغالباً ما يكونون صحفيات أو كاتبات أو سياسيات أو طبيبات أو محاميات والأكثر من ذلك، أنهن يقدمن خدمة رائعة للمستغلات في منازل مزرعة الضواحي. «انظر إلى ذلك»، تقول هؤلاء النساء «يمكننا أن نفعل مثلهن، لكننا تخلينا عن كل شيء من أجلك». الرجل الذي ينفر من هذه الأمثلة القليلة عن الأنوثة الذكية، سعيد للغاية بالتشبث بحماقته، التي ستخبره أن تلك النساء المثقفات قبيحات، ساخرات، يفتقرن إلى الجاذبية، وبالمختصر، «غير أنثويات»، وسيزيد تفضيله للمخلوق المستلقي في سريره ألف مرة: في النهاية وعند الضرورة إذا أصبح يائساً حقاً، يمكنه دائماً العثور على رجل ليتحدث إليه، حتى المرأة القبيحة رغم نجاحها لا تريد أبداً التخلي عن وضعها الأنثوي الخاص تماماً يبدو أنها تعتبرها من المسلَّمات أن العالم يجب أن يعجب بها كما لو كانت أعجوبة العالم الثامنة – كونها امرأة حققت بالفعل نجاحاً شخصياً. ستركز على «أنوثتها» بكل طريقة ممكنة حتى تصبح فاحشة تقريبا ستظهر على شاشات التلفزيون وتجري مقابلات مع الصحافة كلما أمكن ذلك، وصدرها المترهل فوق مكتبها الكبير، تشتكي من الصعوبة التي تواجهها، كامرأة، في الحفاظ على مكانتها في عالم الرجل، مهما كان الأمر، فهي، بالمقارنة مع الإناث المستغلات المعتادات، محترمة وصادقة نسبياً، حقيقة أن هذا الصدق قد تم فرضه عليها (وعليك فقط أن تنظر إلى وجهها لإدراك سبب نجاحها) هذه مسألة أخرى تماماً. لا توجد فضيلة في القبح.

تصبح الأمور أكثر تعقيداً عندما يتعلق الأمر بالنظر في وضع ما يسمى المرأة «المُتحرّرة»، يمكن بسهولة إغراء الفئات الثلاث الأولى من النساء للابتعاد عن عملهن بواسطة الرشوة –وهذا يشمل المرأة القبيحة (قبل أن تصبح ناجحة). لكن المرأة المتحررة لا تعمل أبداً من أجل المال، يجب أن تكون بحكم تعريفها جذابة حتى لو كانت فتاة شابة، وبالتالي كان لديها عبيد يتمتعون بدخل جيد في متناول اليد، لذلك فإن المرأة «الجميلة» هي فقط التي يمكن أن تصبح «متحررة». المرأة القبيحة مثل الرجل، ليست في هذا

الموقع أبداً، لم يحاول أحد رشوتها بها أنها، مثلها مثل الرجال، ليس لديها شيء لتحرير نفسها منه، ليس لديها خيار سوى العمل.

المرأة المتحررة لديها جميع لوازم ربة المنزل المتوسطة: شقة مريحة، ورموز المكانة الاجتماعية الخاصة بزمرتها، والأطفال (على الرغم من أنهم نادراً ما يكونون أكثر من واحد أو اثنين). يكمن الفرق في حقيقة أن مجالها الترفيهي لا يقتصر على المنزل أو الحفلات التي تقيمها بنات جنسها، إنها تسلي نفسها بشكل أفضل من خلال القيام ببعض أشكال العمل الرديئة حيث يحيط بها جمهور كبير إلى حد ما. نجدها تتجول بهدوء على طول ممرات دور النشر ومكاتب الصحف؛ نلتقي بها في غرف انتظار منتجي الأفلام والمديرين التنفيذيين للتلفزيون والمديرين المسرحيين؛ هي مساعدة إنتاج أو مترجمة فورية، ستجدها خلف مكتب وكالة سفريات أو في محل مجوهرات أو تاجر تحف، في الواقع، في أي مكان يمكن أن تقابل فيه الأثرياء والمثيرين للاهتمام، وأموالها؟ يتم إنفاقها بالكامل تقريباً على أقنعتها المدروسة، والتي تبقيها مواكبة لمكان عملها في الواقع، فإن المرأة المتحررة غبية مثلها مثل غيرها، لكنها لا تريد أن يعتقد الناس ذلك، إذا ذكَرتْ ربّات الخدور تذكرهن بالازدراء التام، نظراً لامتلاكها وظيفة جديرة بالرجال، فهي تعتقد أن هذه الحقيقة وحدها تجعلها ذكية، لكنها تخلط بين السبب والنتيجة. الرجال يعملون فقط لأنهم مضطرون إلى ذلك وليس لأنهم أذكياء. سيبدأ معظم الرجال في الاستخدام الأمثل لذكائهم إذا كانوا أحراراً من الالتزامات المالية، مثل ربات الخدور، على سبيل المثال، واقعياُ، تتمتع المرأة التي تعيش في المنزل بفرص للاستمتاع بحياة فكرية محفزة أكثر بكثير من المرأة العالقة بين الآلة الكاتبة والدكتافون.

نادراً ما ينطوي العمل الذي تختاره المرأة المحررة على جهد أو مسؤولية، على الرغم من أنها تجعل نفسها تعتقد أنه يتضمن كليهما. بقدر ما يعنيها الأمر فعملها، «مُرضي»، «محفز»، و «يمنعها من الخمول». «إنها ببساطة لا يمكن أن تعيش من دونه» ولكن، إذا فكر المرء بالحقائق، فهي لا تعتمد أبداً عليه، بخلاف المرأة القبيحة، يمكنها أن تتخلى عن عملها في أي وقت، إنها لا تعمل أبداً بدون عدة إنقاذ للحياة، ففي اللحظة التي تلوح فيها أي علامة على الصعوبات في الأفق، يقفز رجل من مكان ما على جناح السرعة ويهرع لمساعدتها هذا النوع من النساء يجد أنه من غير العدل ألا تمضي قدماً بنفس سرعة الرجل، لكنها من ناحية أخرى لا تسمح لنفسها أبداً بأن تصبح جزءاً من سباق الجرذان القاتل. الشكوى التي تدلي بها هي

نفسها دائماً: حتى مع كونها امرأة متحررة، لا يتم منحها نفس الفرص التي يحظى بها الرجل، بدلاً من القتال من أجل فرصتها على الفور تهرب مغطّاة بالماكياج مثل مهرج وتبدو مثل شجرة عيد الميلاد، لتهتف من أجل حقوق المرأة ومساواة المرأة في أحد الاجتماعات التي تعقدها زمرتها. لن يخطر في بالها أبداً أنها وحدها وليس الرجل، هي سبب هذا الوضع غير المتكافئ -المرأة بقلّة اهتمامها، وغباءها، وفسادها، عدم موثوقيتها، وتنكراتها السخيفة، وحمْلها الأبدي، وقبل كل شيء، بسبب تلاعبها عديم الرحمة بالرجل، كيف أمكنها أن تتسبب في هذا الوضع؟

من ناحية أخرى، قد يعتقد الرجال أن أزواج النساء المتحررات محظوظون: ليس عليهم تحمل المسؤوليات المالية وحدهم! العكس هو الصحيح: إن أزواج ما يسمى بالنساء المتحررات عادة ما يكونون تعساء للغاية ففي نهاية المطاف، لقد تلقوا نفس التدريب الأساسي كالرجال الآخرين، ولذا فهم يحاولون دائماً أن يسبقوا زوجاتهم بخطوة واحدة، سيكون زوج المترجمة كاتباً، وزوج السكرتيرة مديراً إدارياً، وزوج صانعة الفخاريات نحاتاً، وزوج كاتبة المقالات محرراً، لذلك، فإن المرأة المحررة بعيدة كل البعد عن أن تكون مساعدة لبعلها. إنها تستغله أكثر من الآخرين؛ كلما ارتفعت إلى أعلى، كلما قادته بلا هوادة، مثل هؤلاء النساء غالباً ما يصعدن إلى مناصب مهمة حقاً إما عن طريق الصدفة أو لأنهن جذابات بدرجة كافية تجعلهن محميات من قبل بعض الرجال، إذا كان مركزه أدنى نسبياً، فكلما حصلت على زيادة في الراتب، ستكون تجربة مؤلمة له. التقدير المهني لها سوف يضعه في حالة من الذعر يعيش في خوف دائم من أن تتخطاه ذات يوم، علاوة على ذلك، يعاني من عذاب الغيرة من الرجال الغريبين الذين تقابلهم كل يوم يشعر بأنه لا لزوم له، ويبدو أن وجوده كله لا طائل منه لأنها لم تعد بحاجة إليه.

السعادة الحقيقية للعبد -السعادة الوحيدة التي بقيت للرجل الذي تم التلاعب به -تم سلبها الآن! امرأة من هذا النوع لا تجعل حتى أطفالها سعداء، فبعد كل شيء، هي تختلف فقط عن غيرها من النساء، وليست أفضل منهن؛ إنها تتسلى بعملها المكتبي الغبي أكثر مما تتسلى مع أطفالها لكنها لن تتخلى عن وجودهم، ستقول إن المرأة يجب أن تختبر الأمومة، وإلا فلن تكون «راضية». في الواقع، هذه المرأة لا تريد أن تتخلى عن «عملها العقلي المحفّز»، وهي قادرة على وضع أطفالها في دور الحضانة أو المدارس الداخلية أو تركهم في رعاية أحد ربات البيوت المحتقرات كثيراً، هي لا تقوم حتى بالأعمال المنزلية بل يشاركها فيها

زوجها بعد ساعات العمل. بينما يتم مسح الأرضيات، وسقي النباتات، وتلميع الفضة، فمن المفترض أن يستمر هو في تحفيز المحادثة الفكرية معها لأن المرأة المحررة لا تتخلى عن القمامة التقليدية لعشيرتها، ولا عن عبدها الكادح وأطفالها. من أجل التأكيد على مطالبها المتعلقة بالصلاحيات الذكورية، مطالبها، أي المناصب ذات الأجور المرتفعة للرجال وليس «صلاحيات» الجنود مثلاً، تقوم النساء المتحررات، من وقت لآخر، بتنظيم ما يسمى «الحركات» مثل هذه الحملات تمنحها فرصة لجذب انتباه العالم إليها بقدر كبير من الصراخ والضوضاء، وارتداء شارات وأحدث اللباس الخاص بالاقتراع، والتعبير عن آرائها السياسية علانية من خلال وضع الشموع المضاءة في نوافذ غرفة المعيشة الخاصة بها.

على مرأى ومسمع من جمهور التلفزيون، قرصت النساء مؤخرات عمال مواقع البناء وارتكبن سخافات أخرى، تحرر المرأة نفسها من «قيودها» الوهمية على فترات منتظمة: ولأن القيود الروحية غير معروفة بالنسبة لها، فهي تأولها حرفياً. في نهاية القرن، كان مشد الخصر هو الذي اختفى في السبعينيات اختفت الصدريات، وليعرف الجميع ذلك، جعلت الرجال يصنعون بلوزات شفافة. ربما في الموجة التالية من التحرر ستكون التنورة الطويلة غير المريحة هي التي تختفي -التنورة التي قاموا بإعادة تصميمها بشكل غزلي وجعلوها جزءاً من الدعائم الخاصة بهن، على الرغم من الرفض العام للذكور. لكن غباءهن، وتفاهتهن، وسلوكهن السخيف، وكذبهن، وقلة إحساسهن، ومحادثاتهن المضجرة والغبية ما زالت موجودة: لم تتخذ النساء أية خطوات للتخلص من هؤلاء. بغض النظر عن مقدار ما تكسبه المرأة، فإنها لن تدع الرجل يأخذ مكانها في المنزل، ولن تتحمل مسؤوليته في كسب رزقه أو الحفاظ على مكانته الاجتماعية. على الرغم من أن ذلك ممكن تماماً -نظراً لأنها عديمة الإحساس وبالتالي ستعاني أقل إذا قامت بأعمال روتينية قاتلة – حتى لو كانت هذه الوظيفة «تناسبها» حقاً وتجعلها «سعيدة»، فإنها لن تساعده بأموالها أبداً. لن تفتح الأبواب من أجله أو تشعل له سيجارته؛ لن تحصل أبداً على أي بوليصة تأمين لصالحه أو تعطيه نفقة إذا كان هناك طلاق – فهذا لا يعتبر «أنثوياً»، كما أنه لن يخطر في بال الرجل أن يتوقع مثل هذه التسوية -لقد تم تكييفه جيداً. وسيقوم زوج المرأة المحررة ببساطة بإعطاء زوجته قبلة، ويمسح آثار كريم الوجه والمسحوق وأحمر الشفاه عن وجهه، ويرمي نفسه مرة أخرى في المعركة.

الرجل الأمريكي/ الذكر الأنجح تلاعباً به على الأرض

إن استغلال الذكور الأمريكيين من قبل الإناث الأمريكيات سيكون شأناً أمريكياً خاصا لو لم يصبحن نموذجاً للنساء في جميع أنحاء العالم. لسوء الحظ، لا تؤثر الهيمنة الاقتصادية للولايات المتحدة على السياسة والعلوم والبحث والثقافة في جميع البلدان الرأسمالية الأخرى فحسب، بل تؤثر إلى حد كبير على السلوك الاجتماعي لشعوبها من خلال وسائل الإعلام الجماهيرية، بصورة مثالية، لينتشر هذا التأثير في جميع مجالات الحياة بسرعة أوسع. إن القول المأثور القديم عن أن الوعي الأمريكي سيصبح وعي العالم بعد خمس سنوات من التأخر لم يعد صحيحاً، لقد غمرت تقنيات الاتصال الحديثة الحدود الفاصلة بين المكان والزمان إذا طورت الولايات المتحدة علاجاً جديدا للأزمات القلبية، فستستخدم المستشفيات في أميركة اللاتينية هذا العلاج بعد بضعة أسابيع.

إذ تم تحسين أداء تلاميذ المدارس الأمريكية عن طريق الآلات التعليمية، فسيتم دمج هذه الآلات نفسها خلال فترة قصيرة في فصول الدراسة اليابانية. في اللحظة التي تُطلق فيها أغنية مثل «نجم يسوع المسيح» في برودواي، يبدأ الطلاب في ألمانيا الغربية بالصلاة، بمجرد أن تقارن الأنثى الأمريكية وضعها مع وضع السود الأمريكيين، تصرخ النساء في إنجلترا وفرنسا والدول الإسكندنافية، «نحن زنوج الأمة»! في حين أن التأثير الأمريكي له فوائده في مجالات أخرى (على سبيل المثال، في البحث) إلا أنه في المجال الاجتماعي، وفيما يتعلق بالمكانة الاجتماعية للرجال في هذه البلدان، بالتأكيد لا يوجد فوائد. ليس هناك دولة وضع الرجال فيه أسوأ مما هو عليه في الولايات المتحدة. إنهم أسوأ حالاً بالمقارنة مع شريكاتهم – وهذا هو ما سنناقشه هنا: الظروف المعيشية المختلفة للرجل والمرأة ضمن الفئة الواحدة وذات الطبقة الاجتماعية في بلد معين، داخل نفس العائلة الواحدة.

لن ينكر أحد أن صراع عامل فقير من أجل البقاء هو أمر صعب في البرتغال أكثر منه في السويد، وأن زوجة العامل في المصنع تعيش حياة أصعب من زوجة أحد المهندسين. هذا الظلم هو موضوع العديد

من الكتب الأخرى، يمكننا تجاهل كل ذلك هنا؛ بالمقارنة مع زوجها -وليس بالمقارنة مع زوجة المهندس- تعيش زوجة عامل المصنع حياة فاخرة. إن مستوى المعيشة المرتفع في أميركة، إلى جانب تهديدها الدائم بالبطالة، يكفي لجعل حياة أي شخص بائسة، لا توجد في أي بلد ذي مستوى معيشي مماثل، وظائف غير ثابتة بهذه الصورة؛ لا يوجد في أي بلد آخر بمعدل مماثل من البطالة هذه المطالب المرتفعة التي يسببها مستوى المعيشة. التمييز بين «النجاح» و «الفشل» لا يُعرَّف بوضوح في أي مكان كما هو الحال في الولايات المتحدة يضاف إلى هذه الصعوبات الخارجية حقيقة أنه لا يوجد رجل آخر يتم التلاعب به تماماً كالرجل الأمريكي، فيتم التلاعب بالبالغ بخبرة كبيرة بحيث يبدو أنه لا يوجد شيء لن يتحمله عن طيب خاطر، وبالفعل، يتم استغلاله دون أي تردد. ليس هناك أي بلد آخر، تقوم فيه الأمهات بتدريب الرضيع الذكر بشكل لا يرحم على الأداء، لا يوجد مجتمع آخر حيث يتم استغلال الدافع الجنسي للذكور من أجل المال بلا ضمير. لا أحد باستثناء المرأة الأمريكية تصرح بلا خجل بعقيدة الربح تحت ستار الحب هذا لا يعني أن النساء الأمريكيات قساة القلوب، لسن قاسيات على رجالهن. الرجال عادة ليسوا مهمين بما يكفي ليتم تعذيبهم فقط في الأفلام تنتقم النساء من رجالهن عمدا. هذا يعني ببساطة أن النساء الأميركيات، أكثر من النساء الأخريات، يفشلن في اعتبار الرجال رفاقاً لهن في الإنسانية ربما تسببت مخاطر الأيام العديدة الرائدة في تقييم الرجال الأميركيين من خلال فائدتهم للمرأة، بعد كل شيء، تلك الفترة من التاريخ ليست بعيدة جداً ويفضل الرجال الأمريكيين أن يروا أنفسهم في هذا الدور: راتب الرجل هو المعيار الذي تقاس به قيمته.

أميركة هي المكان الوحيد الذي يكون فيه الأستاذ الذي يتقاضى راتبا سيئاً هو أستاذ سيء، والكاتب الفاشل كاتبا سيئا. بالنسبة للرجال من أمريكا اللاتينية، لا تزال الذكورة مرتبطة بالقوة الجنسية. لكن بالنسبة للرجل الأمريكي، الارتباط مباشرة بالمال. يدور الأدب الأمريكي، من إدوارد ألبي إلى جاكلين سوزان، حول هذا السؤال: ما إذا كان الذكر رجلاً أم لا إذا كان لا يستطيع إعالة المرأة التي في حياته بشكل مناسب؟ بالطبع هو ليس كذلك، يعرف الرجل الأمريكي: السعادة لا تأتي إلا من خلال النساء، والمرأة غالية الثمن. إنه مستعد لدفع هذا الثمن باعتباره شاب يدفع مقدماً، وكبالغ، يدفع على أقساط، وكجثة يتم صرفه من أجل ثروة. يدرك الرجل من بلد آخر هذا بمجرد أن يرى جنة طلاق مزدهرة

مثل مدينة رينو، أو الآلاف من زملائه الرجال الذين يقبعون في السجن لمدفوعات النفقة المتأخرة. من ناحية أخرى، يرى الرجل الأمريكي هذا تأكيداً لتفوقه، أليس هو الشخص الثري، لأنه يملك ما يكفي من المال لدفع ثمن كل شيء؟ أليس هو الكفؤ، لأنه يذهب إلى العمل؟ هل كانت زوجته ستحمل لقبه واسم عائلته لو لم يكن السيد؟ في الآونة الأخيرة، أظهر استطلاع للرأي أن الرجال الأميركيين يعتقدون أكثر من النساء أن النساء يتعرضن للقمع، وأن ٥١ في المئة من الرجال الأميركيين يعتقدون أن وضع المرأة الأمريكية البيضاء سيء مثل وضع الرجل الأمريكي الأسود.

الرجل الأمريكي ممتن لزوجته بسبب السماح له بالذهاب إلى العمل، لأن العمل بالنسبة له هو امتياز ذكوري. لقد حرصت المرأة التي يعيلها على ألا يشك في ذلك، ويشعر بالأسى عليها بالرغم من الفارق الواضح بين وضعه ووضعها. لقد حرصت على أن يرى التضحية في تنازلها عن العمل. إنه، أكثر من أي رجل آخر، يسيء فهم افتقار زوجته للطموح الفكري على أنه تواضع، وغباؤها على أنه أنوثة استثنائية، والتخلي عن مسؤولياتها على أنه حب، يمكنه أن يغمض عينيه عن الأدلة الواضحة على استغلاله أكثر من أي رجل آخر.

في هذا البلد، يتم التلاعب بالرجل بتحفظ أقل بكثير منه في البلدان الأخرى: وبالتالي يجب أن يكون فضح أمر المرأة أسهل لكن الرجل الأمريكي لا يريد أن يرى أو يعرف يناسبه البرنامج التلفزيوني الذي يشاهده أطفاله، كيف يتم تصوير الأب على أنه أحمق، وتصوير الأم كنجمة. ألم تكن والدته رائعة؟ إن سيطرة مافيا من المجموعات النسائية على الحياة الثقافية كلها يبدو له أمراً لا مفر منه. لا بد أن يهتم شخص ما بالثقافة. إن رؤيته للنساء الأميركيات (وليس النساء الأخريات في بقية العالم) يركضن في الأماكن العامة مع بكرات التجعيد في شعرهن هو بالنسبة له الفولكلور الأمريكي الساحر! حقيقة أن غالبية المرضى النفسيين من النساء، في حين أن الرجال لديهم معدل أعلى من الانتحار، هو دليله على قيمة التحليل النفسي إنه يعتقد أنه من العدل أن تصبح أجيال من قدامى المحاربين مشلولين أو يعرجون، في حين أن أجيالاً من النساء لا تعرف حتى كيف تبدو قنبلة يدوية. الرجل أقوى والأقوى يخوض الحرب. على الرغم من أن عبودية الرجل الأمريكي مذلة ومثيرة للأعصاب، إلا أنه لا يريد أن يرى، بالطبع، أنها أسوأ صفقة: لقد انتهى به المطاف مع أكثر النساء مكياجاً، وتلوناً، مع أكثر النساء تنكراً، باختصار، مع أكثر النساء لا واقعية.

ولكن لهذا يغلق عينيه. بما أن المرأة الأمريكية هي الزوجة الأعلى أجراً، فهي بالطبع تريد شيئاً مقابل المال. إنها المستهلكة الرائدة لمستحضرات التجميل: إنها تستخدم أحمر الشفاه، وكريم، ومساحيق، وألوان أكثر من أي امرأة من أي جنسية أخرى. على الرغم من أنها تشتهر بكونها ترتدي ملابس مزرية بشكل خاص، إلا أنها تحتاج إلى المزيد من المال لملابسها وغيرها من الحفلات. من بين جميع النساء، تعيش حياة أكثر راحة. أكثر من شقيقاتها من الجنسيات الأخرى، تعيش في منزلها الخاص، وتقود سيارتها الخاصة، وتذهب في إجازة، وتقوم بعملها بمساعدة الآلات، وتستخدم طعاماً جاهزاً للطهي. لديها أسرة مؤتمنة بالكامل، هناك حافلة تقل أطفالها إلى المدرسة، ويغيبون طوال اليوم تقريباً، بحيث تتاح لها كل فرصة للذهاب إلى العمل؛ ومع ذلك، فإن النسبة المئوية للنساء المتزوجات العاملات في أمريكا أقل بكثير من البلدان الصناعية الأخرى. على الرغم من أن المرأة الأمريكية لديها فرصة أفضل في التعليم العالي من النساء في البلدان الأخرى، وعلى الرغم من أنها معفاة من عامين في الخدمة العسكرية، ثلاثة عشر في المئة فقط من الطالبات الأميركيات يحصلن على شهادات جامعية.

أمريكة لديها أعلى معدل طلاق، وفرصة أن يكبر الرضيع مع والديه كليهما أقل من أي بلد آخر. لكن لا يبدو أن هذا يزعج المرأة الأمريكية، لأنها من بين جميع النساء في الدول الصناعية العالية، لديها أعلى معدل ولادة. لا عجب؛ الأطفال هم ضمان الدخل. يدفع الآباء الأمريكيون أعلى النفقات لطليقاتهم، وبما أنه يمكن معاقبة عدم الدفع بالسجن، فإنه يدفع على الفور. حتى معدلات التأمين على الشيخوخة هي الأعلى. متوسط عمر الزوج الأمريكي أكبر من زوجته بأربع سنوات، ومتوسط العمر المتوقع له أقل منها بسبع سنوات. لا تمثل السنوات الإحدى عشر التي قد تعيشها المرأة بدونه على الأرجح خطراً، وإذا التزمت بزوجها مدى الحياة، فسوف يتم احترامها ومعاملتها جيداً بسبب ماله، حتى تكون السنوات أكثر راحة بدونه. تلعب لعبة البريدج، وتنشط في مجال الرياضة، ويزورها أولادها وأحفادها، وتعمل في مجموعاتها النسائية من أجل القانون والنظام. في قبعات منمقّة، تضع على شفاهها الذابلة أحمر شفاه باللون الأحمر لإشارة المرور، (انظروا، ها قد أتت امرأة أمريكية!)، تنطلق من حين إلى آخر في جولة حول العالم وتتأكد من عدم نسيانها عندما تكون في الخارج. وهي ليست كذلك؛ على العكس من ذلك –عندما تتقدم روز كينيدي المسنّة (بعد أن ضحت بالفعل لبلدها بثلاثة ورثة من الذكور بينما تزداد بناتها وزوجات أبنائها

ثراءً وكبراً في السن في هذه الأثناء) أمام كاميرات التلفزيون، على أمل الترويج لآخر أبنائها في حملته الرئاسية، يتم الاحتفال بها كبطلة. يا لها من أم شجاعة! قد يفترض المرء أن الشرط المسبق للربح العالي الذي تحققه أنوثة المرأة الأمريكية سيكون الأداء الأفضل في مجالات أخرى. من ناحية الخبرة، فهي ليست طباخة جيدة ولا عاشقة خبيرة. على الرغم من راتبها الجيد، فإن الطلب على فنونها الإغرائية ضئيل للغاية. لم يعد بإمكان زوجها، -الذي روضته هوليوود لتقدير أرقى رموز الجنس (الصدور الكبيرة والمؤخرات الكبيرة)، التمييز بشكل جيد بشأن حقيقتها- كل ما تحتاجه حقاً هو القليل من المنحنيات الجيدة في جسدها والجرأة لكي تقول لا لوقت طويل كفاية. وهي خبيرة حقيقية في هذا الفن. التقبيل والملاطفة هي اختراع أمريكي؛ لإغراء الرجال، مثل النساء في البلدان الأخرى، يرتدين أثداء زائفة، ولكن فقط في أمريكا توجد مؤخرات مزيفة. والنتيجة المنطقية لتكتيكات العمل هذه، التي تم إتقانها بشكل مطرد عبر الأجيال، هي البرود الجنسي، وقد نجحت المرأة الأمريكية في إقناع الأمة بأن برودها الجنسي هو مرض يؤخذ على محمل الجد. فهناك فرق: العاهرة ستكون على استعداد للتخلي عن النشوة الجنسية، أما الزوجة فلا. بدلاً من السؤال عما تفعله امرأة باردة جنسياً في فراش الرجل، رجل لا ترغب فيه حتى، تكون هناك محاولة لتحريرها من معاناتها من خلال إجراءات مكلفة وبوصفات متغيرة باستمرار (ونحن في غنى عن القول: فقط إذا كانت متزوجة زواجاً مناسباً، فقبل الزواج، لم يكن لديها المال اللازم للعلاج أو الاهتمام بتحسن حالتها).

المرأة الأمريكية ليست أسوأ من غيرها من النساء. هي فقط تسبقهن جميعاً. لن تكون تكتيكاتها العديمة الضمير للاستغلال خطيرة للغاية لو لم يتم تصويرها باستمرار على أنها مثالية من قبل صناعة التلفزيون والأفلام القوية. بما أن الأخيرة تخلق صورة المرأة الغربية، يتم نسخ سلوكها، ومع ارتفاع مستوى معيشتها باستمرار، يصبح مصير زوجها تلقائياً مصير الرجال في البلدان الأخرى. ومع ذلك، هناك سبب آخر للتعامل بشكل خاص مع المرأة الأمريكية، وهو تحرير المرأة. النساء الأميركيات أفضل حالاً من النساء في جميع أنحاء العالم: ولكن ليس جميع النساء الأميركيات. إن النظام نفسه الذي يجلب الكثير من المزايا لمعظم النساء الأميركيات ينقلب بالضرورة ضد أقلية ضمن صفوفهن: النساء اللواتي لا تعتبرن جذابات بمعايير الذكور. حتى وقت قريب، بقي هذا الحال دون أن يلاحظه أحد من منقذي الأقليات.

لكن في يوم من الأيام قررت هذه الأقلية عدم تحمل هذا الوضع بعد الآن وبدأت في تنظيم، حقوق الاقتراع كسابقاتها من النساء. بما أن الجمهور الأمريكي معتاد على الاستماع إلى النساء عندما يتحدثن، فقد نوقشت مشاكلهن حالاً. ليس فقط في أمريكا ولكن في بقية العالم، نشطت هذه الحركة الجديدة على الفور. قد يتساءل المرء، لماذا بدأت ثورة النساء هذه في أمريكا، من بين كل الأماكن، حيث من الواضح أن النساء في وضع أفضل؟ التفسير بسيط: لهذا السبب بالضبط. لأن المرأة الأمريكية في وضع أفضل، لأن الاختلافات الاجتماعية بين النساء المتزوجات والنساء اللائي يكسبن معيشتهن هائلة للغاية. لأنه في أمريكا أكثر من أي بلد آخر، يتم التعامل مع المرأة العاملة كخائنة، منبوذة، من قبل جماهير المستغلات اللائي يرين أن مصالحهن الشخصية قد تم خيانتها. هذا هو السبب في أن هذه الحركة يجب أن تبدأ في الولايات المتحدة وليس في أي مكان آخر. ستجد النساء الأميركيات، المعتادات على الهيمنة التي لا تنتهي على الرجل وعلى كونهن في أعلى مكانة اجتماعية، أن التخلي عن السلطة والهيبة أكثر إيلاماً. وإذ لم تنجح الطريقة المباشرة، فسوف تحصل على شارة القوة الأنثوية بطريقة ملتوية: تحرير المرأة. علاوة على ذلك، فإن سوق العمل المتوتر قد وضع هذه الأقلية من النساء، المرغمات أو الراغبات في العمل، في وضع أكثر صعوبة إلى حد ما من أخواتهن الأوروبيات عند التقدم لشغل مناصب أعلى. سترى الكثيرات منهن الصعوبات التي يواجهنها من منظور معين ويفسرن مدى تعاستهن في الحياة المهنية على أنها تمييز ضد جنسهن. ولكن إذا كان صاحب العمل الأمريكي يملك منصباً شاغراً وكان مخيراً بين امرأة غير جذابة لا تروق لغريزته الجنسية ورجل، فإن اختياره سيكون بلا شك الرجل. ويمكنه أيضا تبرير هذا القرار: عندما تتزوج المرأة، ستتخلى عن وظيفتها بمجرد أن تصبح أماً.

الرجل الذي يتزوج ويصبح أباً يتحول إلى موظف أكثر موثوقية. إذا كان مقدم طلب الوظيفة متزوجاً بالفعل، فسيكون اختيار صاحب العمل أكثر سهولة، لأنه يعلم أن راتب الرجل سيدعم بالتأكيد أكثر من شخص واحد، وبالتالي ستكون ضرورته ضعفها. المرأة العزباء تعيل نفسها، على الأكثر. من وجهة نظر صاحب العمل، من الأنسب إعطاء الوظيفة للرجل. «المرأة التي لديها عائلة» -المرأة التي تعيل رجلاً سليم الصحة وأطفاله طوال حياتها -غير معروفة من الناحية العملية في العالم المهني. من الذي يجب أن يتحمل المسؤولية عن هذا الموقف: صاحب العمل أو المرأة؟

إنه لأمر محزن ومضحك، في ذات الوقت الذي نرى به، كيف تقوم نساء حركة تحرير المرأة الأمريكية، اللاتي لديهن سببا للقتال بتوجيه كل وقتهن وطاقتهن ضد العدو الخطأ. من خلال الافتراءات المستمرة، فإنهن يبقين حلفاءهن الوحيدين، أي الرجال، في الفخ، بينما يُعْلِينَ الطرف المذنب حقاً بمجاملات مفرطة. مثل كل الحركات النسائية التحررية في التاريخ، بدأ تحرير المرأة من فرضية خاطئة وأخطأ هدفه. لكن لا قوة على الأرض سوف تقنع أعضاء هده الحركة بذلك. المسؤولية تقع على عاتق المثقفين. من المفهوم، وربما حتى المغفور، أنه نتيجة لكل التلاعب منذ الطفولة المبكرة، توصل الرجال إلى استنتاج مفاده أنه (أ) لديهم القوة، (ب) وسوف يستخدمونها لقمع النساء. لكن من غير المعقول أن النساء المثقفات، اللائي ربما رأين الأمور من زاوية (أنثوية) مختلفة، قد تبنيَّن هذا الفكر. بدلاً من القول، «من الجيد جداً أن تفكروا فينا كثيراً، ولكن في الواقع نحن مختلفون تماماً عن الطريقة التي تروننا بها، نحن لا نستحق شفقتكم ومديحكم على الإطلاق»، تقول النساء، «مع خالص الاحترام لفطنتكم، نحن مثيرات للشفقة ومقموعات ومستغلَات أكثر مما تتخيله أدمغتكم الذكورية!» لقد ادّعت هؤلاء النساء المثقفات شهرة مشكوك فيها إلى حد ما بالنسبة لجنسهن: بدلاً من أن يتم فضحهن كتجار الرقيق الأكثر مكراً في التاريخ، فقد بخسوا النساء حقهن وجعلوهن هدفاً لإحسان الرجل: رجل طاغية، امرأة ضحية. يشعر الرجال بالإطراء، بالطبع. لقد قام جزء من تلاعبهم بتدريبهم على تفسير كلمة «طاغية» كمديح. وهم يقبلون هذا التعريف الأنثوي للمرأة بسعادة. فهو يطابق تعريفهم الخاص. حتى سيمون دي بوفوار تركت هذه الفرصة تمر عندما كتبت كتابها «الجنس الثاني» عام (١٩٤٩)، الذي كان يمكن أن يكون أول كتاب عن موضوع المرأة. بدلاً من ذلك، ألفت كتيباً عن أفكار فرويد وماركس وكانط، إلخ، حول النساء. وبدلاً من البحث عن امرأة لمرة واحدة، بحثت عن الكتب التي كتبها الرجال ووجدت، بالطبع، علامات نقائص النساء في كل مكان. يكمن إبداع عملها في حقيقة أنه لأول مرة، كان رأي الرجال في النساء يحمل توقيع امرأة. لكن الطريق الآن واضح: بيتى فريدان، كيت ميليت، جيرمان جرير... كل منهن تكرار للأخيرة؛ ذهبن إلى أبعد مدى في جهدهن للتوصل إلى أدلة على السلوك الشرير للذكور. لكنهن لم يكتبن شيئا يستحق الذكر حول موضوعهن: النساء، لقد قمن بنسخ فكرة الذكور عن النساء، دون أن يدركن أن هذه الفكرة يمكن أن تكون فقط نتيجة لتلاعب الإناث، وبالتالي أصبحن، من خلال تقليد الرجال، ضحايا نظامهن (الأنثوي). لم يتغير شيء منذ ذلك الحين، على الرغم من أن النساء اليوم، أكثر من أي وقت مضى، لديهن

كل فرصة للإدلاء بتصريحات عن أنفسهن في برامجهن الإذاعية أو التلفزيونية، في أعمدة الصحف أو المجلات لكنهن لا يفعلن شيئاً سوى تكرار الأفكار القديمة التي يمتلكها الرجال حول النساء ومضغها، مضيفات تفاصيل جديدة هنا وهناك. فبدلاً من لفت انتباه أتباعهن من النساء إلى تعاستهن، فإن قمة كرامة الإناث تتحقق من خلال رفض الإعلانات عن حمالات الصدر أو البخاخات النسائية. يتم الوصول إلى ذروة الأصالة الأنثوية في اللحظة التي تحمل فيها مجلة نسائية صورة لذكر عاري من بلاي بوي. هذه هي الأسباب التي أدت إلى فشل حركة تحرير نسائية أخرى: الأعداء الذين قاتلنهم كانوا أصدقاء حقيقيين، ويبقى العدو الحقيقي دون أن يتم اكتشافه.

مرة أخرى، إن الفكرة الراسخة عن الولاء الجنسي (في ظل الظروف تضامن ضمن نقابة في أحسن الأحوال) ضللت النساء نحو الاستراتيجية الخاطئة. ولم تكن النساء واعيات لذلك. الوحيدون الذين ساعدوهن في نضالهن هم الرجال. ولكن نظراً لأنهن يعشن تحت وطأة الوهم بأنهن مضطهدات من قبل الرجال، تسيء النساء فهم مرونة الرجال على أنها دليل على قوة الإناث ويصرخن بذلك بأعلى صوت. دون أن يشعر أحد بالاستياء. من صحيفة نيويورك تايمز إلى كريستيان ساينس مونيتور، ومن بلاي بوي إلى نيوزويك، ومن كيسنجر إلى ماكغوفرن، الجميع كان مع تحرير المرأة. لم يتم تنظيم مسيرات رجال ضدهن، ولم يمنع أحد مظاهراتهن. ولم يتم توبيخ أي منهن بتهمة التشهير الذي لا ينتهي للرجال، ولم يكن السناتور جو مكارثي الذي يسخر من تحرير المرأة موجوداً، لم ترفع FBI إصبع اتهام ضدهن. كما حصل مع أسلافهن، تمكنت النساء المطالبات بحقوق الاقتراع، من ضمان حق التصويت للنساء خلال فترة قصيرة (وهو حق تركنه دون استخدام من خلال عدم انتخاب النساء لمراكز السلطة السياسية وعدم إيقاف الحرب)، تحققت معظم مطالب حركة تحرير النساء على الفور. تم وضع الظلم الفظيع في القانون من قبل الرجال لحماية المرأة. لكن السيدات أنفسهن لم يرين الأمر بهذه الطريقة، وعندما أصررن على التغيير، نجحن في غضون أشهر. حق النادلة في العمل بمناوبات ليلية، حق امرأة ميكانيكية في حمل معدات ثقيلة، والحق في تركيب أعمدة الهاتف، والحق في دفع نفقة الطلاق للرجال، والحق في استخدام اللقب الخاص بها وبهذا الحق تتصرف الزوجة كشخص مسؤول قانونياً، والحق في الخدمة العسكرية، والحق في القتال في الحرب، إلخ – استطعن امتلاك كل تلك الحقوق. بعد أن تأثرت الحكومة بهذه الموجة من الكرم العام، لم

ترغب أن تبقى متأخرة عن الركب: فقد أعلنت، أنه ف المستقبل سيتم منح العقود الحكومية فقط للشركات التي ليس لديها تمييز ضد النساء الراغبات في العمل. لكن جيش النساء المكبوتات اللاتي ينتظرن بفارغ الصبر لحظة التحرر هذه لم يتحقق. بمجرد أن صعدت أول امرأة أمريكية عمود هاتف؛ الأنثى الأولى؛ تم تصوير سبّاكة أيضاً، وعاملة بناء، وناقلة أثاث، وطبعت الصور في الصحف في جميع أنحاء العالم؛ فتلاشت الضجة. لماذا يجب أن يذهب الأمر أبعد من ذلك؟ بعد كل شيء، ليس من الممتع إصلاح أنابيب المياه أو وضع الطوب أو قطع الأثاث. على عكس الرجال، يمكن للمرأة اختيار ما إذا كانت تريد القيام بالكدح أم لا، من المنطقي أن تقرر معظمهن معارضته. وعند قيامهن بالاختيار، سيتجنبن الخدمة العسكرية والذهاب إلى الحرب. تفكر النساء في أنفسهن على أنهن دعاة سلام: فالحروب يشنها الرجال، على الرغم من حق المرأة في التصويت.

عند تركهن يتخبطن من قبل بنات جنسهن، فإن صاحبات النظريات من دعاة التحرير النسائي سيغرقن أنفسهن أكثر في التفاصيل: هل يمكن اعتبار كل اتصال جنسي مع رجل اعتداء؟ هل يجب قبول النشوة المهبلية على الإطلاق؟ هل السحاقية هي المرأة الوحيدة المحررة حقاً؟ هل مسألة المرأة أكثر إلحاحاً من مسألة العنصرية؟ وهلم جراً. انضم عدداً من النساء «المتحررات» الجذابات إلى هذه الحركة وقد أغرتهن الشهرة الواسعة التي تنتظرهن. (أين ستستقطب المرأة الجميلة اهتماماً أكبر من وجودها بين نساء قبيحات؟) وعلى الرغم من أن هؤلاء النساء الجذابات لا يمكن أن يتخيلن أنفسهن يواجهن المشكلات التي يناقشنها (التمييز ضد امرأة جذابة لا وجود له، سواء في مهنتها أو في حياتها الخاصة)، سرعان ما أخذن أدواراً قيادية داخل الحركة وحولنها إلى فرع من شركات الأعمال التلفزيونية الأمريكية، و -كما هو موضح في الفصل السابق -إلى حركة «حقيقية» للتحرر.

وفي الوقت نفسه، بدأت المستغلات اللواتي يعشن في الضواحي بالتنظيم. إن مطالب الليبراليين الصاخبة بالعمل، والرجال الذين كانوا على استعداد لإرضاء هذه المطالب، وضعوا عن غير قصد سيدات الضواحي في موقف محرج للغاية. في منظمات مثل ***Man Our Masters*** و ***Pussycat League***، أكدوا للعالم مدى خطأ أهداف تحرير المرأة ومدى السعادة التي يمكن أن تجدها المرأة في خدمة زوجها وأطفالها. وجاءت أكثر الإجراءات المضادة سخريةً من قبل زمرة داخل منظمة تحرير المرأة نفسها: «نحن لا

نريد وظائف الرجال»، احتجت هؤلاء النساء. إذا بدأت جميع النساء العمل الآن، فسنواجه قريباً أزمة اقتصادية. ما نريده هو ألا نكون مثل المخصيين، بل نريد أن نتطور بحرية، ولا نريد أن يقمع الرجل تطورنا العقلي ودوافعنا الجنسية بعد الآن. هذه الحجة غريبة ليس فقط لأن المرأة الآن تحمّل الرجل مسؤولية دوافعها الجنسية المعطلة (هو الذي لا يحب شيئاً أكثر من امرأة تعتقد أن الجنس ممتع). كما أنه يوضح لأول مرة كم هو غريب بالنسبة للمرأة أن تعتقد أنها تستطيع إعالة أسرتها. لن يخطر ببالها أبدًا أن المرأة لا تتسبب بالضرورة في حدوث أزمة اقتصادية عندما تعمل في مهنة. لن تزيد النساء العاملات بالضرورة عدد العاملين داخل مجتمعهم. لا ينبغي أن تعتمد قدرة المرأة على العمل على وجود مراكز للرعاية النهارية، لأن جودة رعاية الطفل لا تعتمد على جنس الشخص الذي يقوم بها. يمكن للآباء إدارة هذا العمل كذلك. ولكن لكي يكون عمل المرأة ممتعاً، وللتأكد من ذلك، تحتاج الزوجة العاملة إلى زوج عامل. إذا ذهبت إلى العمل، فربما تقدم بعض المطالب، وأحد هذه المطالب هو أنها يمكن أن تختار عملها وتنسحب في أي وقت ترغب فيه بذلك. لذا، فإنها تحضر طفلها المولود حديثاً إلى مركز للرعاية النهارية بدلاً من أن تفقد شريكها العامل، وقبل أن تتحول مهنتها إلى التزام ومسؤولية، فإنها تترك العمل، بدلاً من السماح لزوجها بالبقاء في المنزل في مكانها.

لقد فشل تحرير المرأة، كانت قصة المرأة المحرومة اختراعاً -ولا يمكن للمرء أن يقوم بتمرد ضد اختراع ما- من جهة أخرى الرجال هم المفجوعون، في بلد يُستغل فيه الرجل بشدة كما هو الحال في الولايات المتحدة الأمريكية، فإن الحركة التي تناضل من أجل المزيد من حقوق المرأة هي حركة رجعية، وطالما لم يتوقف الصراخ من أجل مساواة المرأة، فلن يدرك الرجل أبداً فكرة أنه هو الضحية في الواقع، حتى تحرير المرأة لم يتحقق. تحرير المرأة يعني: تنازلها عن الامتيازات التي تتمتع بها لغاية اليوم، ولكن، تحرير المرأة حريص على ألا يحدث هذا أبدًا. «من الأفضل أن ندعهم يعتقدون أنهم ملوك القلعة»، كتبت إحدى النساء المحاضرات في علم النفس اليوم، «اتكئي واعتمدي عليهم، وواصلي التحكم والتلاعب بهم كما فعلنا دائماً».

ما هو الحب؟

تم التلاعب بالرجل من قبل المرأة لدرجة أنه لا يستطيع العيش بدونها، وبالتالي سوف يفعل أي شيء تطلبه منه. يحارب من أجل حياتها ويسميه الحب. حتى أن هناك رجالاً سيهدّدون الأنثى التي يقدسونها بالانتحار ما لم تقبلهم، ليس لأن هناك الكثير من المخاطر بالنسبة لهم -فليس لديهم ما يخسرونه- غير أن المرأة غير قادرة على العيش بدون رجل. مثل ملكة النحل، لا يمكنها البقاء بمفردها. هي أيضاً تقاتل من أجل حياتها، وهي أيضا تسميه الحب. يحتاج كل منهما إلى الآخر، في الواقع، ويبدو أنهما يشتركان في شعور واحد على الأقل. لكن الأسباب والطبائع وعواقب هذا الشعور تختلف كثيراً باختلاف الجنسين. بالنسبة للمرأة الحب يعني السُّلطة، بالنسبة للرجل يعني الاستعباد. الحب يمنح المرأة ذريعة للاستغلال المالي، الرجل لديه عذر مشحون عاطفياً. «من أجل الحب»، ستقوم المرأة بأشياء ذات فائدة فقط لنفسها بينما يفعل الرجل فقط تلك الأشياء التي ستؤذيه. عندما تتزوج امرأة تتخلى عن حياتها المهنية «من أجل الحب» عندما يتزوج الرجل سيتعين عليه العمل من أجل شخصين «من أجل الحب».

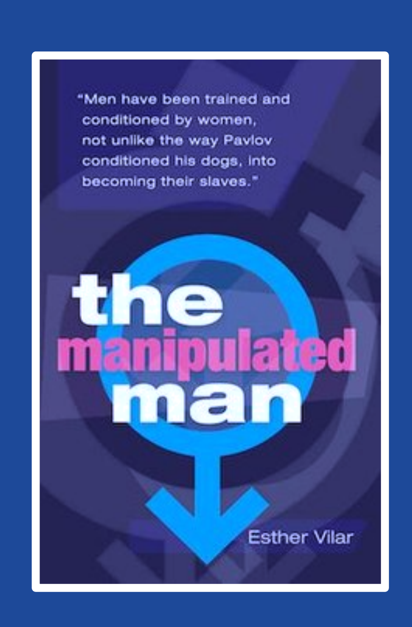
بالنسبة إلى كلا الجنسين سيكون الحب معركة من أجل البقاء، ينجو أحدهما بالانتصار والآخر بالهزيمة. من المفارقات أن النساء يمكن أن يحقّقْنَ انتصاراتهن الأكبر خلال لحظات من الهزيمة المُطْلقة وأنَّ كلمة «الحب» تمنحهن هالة من نكران الذات، حتى في لحظات خداعهن الأكثر قسوة للرجل.

نتيجة «للحب» يستطيع الرجل إخفاء مخادعات نفسه وراء ستار دخّاني من المشاعر. إنه قادر على جعلها تؤمن أن عبوديته الخرقاء للمرأة وارتهانه لها هو أكثر من مجرد تصرف ناجم عن احترام بل له هدف أسمى. إنه سعيد تماماً في دوره كعبد ووصل إلى الهدف الذي طالما أراده. بما أن المرأة تكسب ميزة تلو الأخرى من الوضع كما هي اليوم، فإنَّ الأمور لن تتغير أبداً. يجبرها النظام على أن تكون فاسدة، لكن لا أحد سيقلق بشأن ذلك.

بما أنه لا يمكن للمرء أن يتوقع شيئاً ثميناً من امرأة سوى الحب فسيظل العملة لأي حاجة قد تريدها سيظل الرجل، عبدها، في استخدام طاقاته فقط وفقاً لما تم تكييفه عليه لا لما تقتضيه مصالحه.

سيحقق أهدافاً أكثر وكلما حقق ستنفر منه النساء، كلما حاول أن يجذبها إليه، كلما أصبحت أكثر تطلباً؛ كلما زادت رغبته فيها، كلما قلّت رغبتها فيه؛ كلما زاد عدد وسائل الراحة التي يوفرها لها، كلما أصبحت أكثر غباءً وحماقة ولا إنسانية -وسيصبح الرجل أكثر عزلة نتيجة لذلك-.

المرأة وحدها تستطيع كسر الحلقة المفرغة لتلاعبها بالرجل واستغلاله -لكنها لن تفعل ذلك- لا يوجد أي سبب مقنع على الإطلاق يجبرها على ذلك، من غير المجدي أن تستسلم لمشاعرها، لأنها قاسية القلب ولا تعرف الشفقة، وهكذا سيستمر العالم، يغوص بشكل أعمق وأعمق في مستنقع الهشاشة، الهمجية، والجنون الذي يطلق عليه الأنوثة. والرجل هذا الحالم الرائع لن يستيقظ أبداً من حلمه.



التلاعب بالرجل

هذا الكتاب مخصصٌ لكل من لم يتم ذكرهم فيه: للقليل من الرجال الذين يرفضون التلاعب بهم، والقلائل من النسوة غير الفاسدات، المحظوظين بما يكفي لفقدان قيمتهم في سوق البشرية إما لأنهم كبار السن، أو قبيحين جدًا أو مريضين جدًا.

المؤلفة:

كاتبة أرجنتينية، تعود أصولها لعائلة ألمانية زراعية، اضطر والدها إلى الهجرة إلى بوينس آيرس (عاصمة الأرجنتين) باعتباره يهوديًا ألمانيًا. ولدت عام ١٩٣٥م، سافرت إلى ألمانيا عام ١٩٦٠م لدراسة الطب وعلم النفس وعلم الاجتماع، ومارست الطب قبل أن تكرّس نفسها للكتابة والأدب، وكانت أيضاً مترجمة وبائعة، وعاملة في خط التجميع في مصنع لقياس الحرارة، وعارضة للأحذية وسكرتيرة. تزوجت من المؤلف الألماني كلاوس فاجن لمدة عامين ولديهما ولد وحيد.

أهم أعمالها:

- التلاعب بالرجل
- تعدد الزوجات
- خاتمة التلاعب